أحمد بن نعمان

جهاد الجزائر

حقائق التاريخ و مغالطات الإديو جغرافيا



د . أحمد بن نعمان

جهَاد الجَزائر

حقائق التاريخ ومغالطات الإيديوجغرافيا

شركة دار الأمة
للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع

ص.ب. 109 برج الكيفان
16 120 الجزائر

الهاتف: 04 22 20 (02)

الفاكس: 04 24 20 (02)

تصميم الغلاف محمد سنوسي

الطبعة الأولى
مطبعة البعث بقسنطينة 1982

الطبعة الثانية
افريل 1998

ايداع قانوني
920 / 97

ISBN : 9961 - 67 - 050 - 7 - تدمك

الغلاف

صورة تذكارية لقادة الثورة في مؤتمر الصومام 1956/08/20 وهي تمثل من اليمين إلى اليسار:

الواقفون:

-الرائد حماي
- لخضر بن طوبال
- رمضان عبان
- يوسف زيغوت (قائد الولاية الثانية)
- بلقاسم كريم (قائد الولاية الثالثة)
- عمرو أوعمران (قائد الولاية الرابعة)
- محمد العربي بن مهيدي (قائد الولاية الخامسة)

الجالسون:

- عميروش آيت حمودة
- الرائد رويبح
- عمار بن عودة

الإهـــداء

أقدم هذا الكتاب هدية في العيد العشرين للإستقلال الى كل الشباب الوطني، من أبناء الجزائر المتعطشين الى معرفة الحقيقة للحفاظ عليها، والدفاع عنها، وتبليغها للأجيال اللاحقة خالصة من كل شائبة.

وأملي العريض أن لا يكون جيل البناء والتقدم في الجهاد الأكبر، أقل إقداما وصلابة واخلاصا من جيل التحرير في الجهاد الأصغر.

لأنه إذا كان من المطلـــوب أن يلد الصـــغار عـــظاما،
فمن غير المعقول ولا المقبول أن يلد العظام أقزاما!

المؤلف

بطاقة تعريف المؤلف

- من مواليد 23/ 01/ 1944 بتاورقة ولاية تيزي وزو سابقا (بومرداس حاليا).
- نشأ في عائلة متواضعة الحال، تشتغل بالتعليم العربي في المدارس والكتاتيب الأهلية، خلفا عن سلف، منذ الجد الأكبر المدفون في مقر الدائرة التي تحمل اسمه" سيدي نعمان" بولاية تيزي وزو حاليا.
- بدأ الدراسة على الطريقة التقليدية بحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه (قرية الخروبة) على يد جده الشيخ المحفوظ بن نعمان، ثم عمه الشيخ الشريف حتى استشهاده سنة 1957، ثم والده الشيخ محمد بقرية سيدي محمد (بلدية برج الكيفان) حتى اعدامه بها سنة 1959.
- فتح عينيه على الثورة المسلحة، وتربى في أحضان رجالها الذين بدأ نشاطه معهم في سن مبكرة.
- ألقي عليه القبض بعد اكتشاف أمره سنة 1959، وعرف ألوانا من التعذيب في معسكر تاورقة الذي فرّ منه في نفس الأسبوع ليلتحق بصفوف الجهاد كمسبل، ثم كجندي في جيش التحرير الوطني بالولاية (3) المنطقة (4) الناحية (2).
- وضع البندقية عندما حضر القلم، فترك صفوف الجيش الوطني الشعبي سنة 1963.
- التحق بسلك التعليم " كممرّن" في الابتدائي وواصل الدراسة حتى دخل الجامعة سنة 1968.
- تخرج بشهادة الليسانس في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1971.
- الماجستير في علم الاجتماع من جامعة القاهرة سنة 1978.
- الدكتوراه في "الأنثروبولوجيا النفسية" من جامعة القاهرة سنة 1982.
- ومن أهم الوظائف التي شغلها بعد ترك مهنة التعليم :
- مكلف بمهمة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية 1971- 1973.
- موظف (مندوب عن الجزائر) في إطار جامعة الدول العربية بالقاهرة 1973- 1979.
- مستشار بوزارة الداخلية بالجزائر 1980- 1986.
- مدير الدراسات والبحوث بالمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة (برئاسة الجمهورية) 1986- 1990.

وهو الآن متفرغ للبحث والتأليف والمحاضرات داخل الوطن وخارجه.

من أهم مؤلفاته

1- التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

2- كيف صارت الجزائر مسلمة عربية!؟، دار البعث، قسنطينة 1981.

3- الجهاد والثورة، دار البعث، قسنطينة 1982.

4- سمات الشخصية الجزائرية، مؤسسة الكتاب، الجزائر 1988.

5- فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل) ، منشورات دحلب، الجزائر 1990.

6- التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف!؟، منشورات دحلب، الجزائر 1991.

7- مولود قاسم نايت بلقاسم (حياة وأثار، شهادات ومواقف)، دار الأمة، الجزائر 1993.

8- هذي هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر 1996.

9- حزب البعث الفرنسي، دار الأمة، الجزائر 1996.

10- الهوية الوطنية (الحقائق والمغالطات)، دار الأمة، الجزائر 1996.

11- هل نحن أمة؟ دار الأمة، الجزائر 1996.

12- مفتاح اللغة العربية، دار الأمة، الجزائر 1996.

13- اللسان: قاموس عربي مبسط (حجم صغير).

14- المفتاح: قاموس عربي (حجم متوسط).

15- تأملات ومواقف، دار الأمة 1998.

16- وجها لوجه، دار الأمة 1998.

وإلى جانب الوظائف الرسمية المذكورة، فهو عضو منتخب في عدة هيئات وجمعيات منها:

- عضو قيادي في اتحاد الكتاب الجزائريين.
- أمين عام المجلس الإسلامي الأعلى (سابقا).
- عضو الجمعية العربية للعلوم السياسية بالقاهرة.
- عضو مؤسس وقيادي (نائب الرئيس) في الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية.
- عضو المنظمة الوطنية للمجاهدين.
- عضو المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء.
- عضو مؤسس وقيادي، في الجمعية الجزائرية لاتحاد المغرب العربي.
- حائز على جائزة الإمام عبد الحميد بن باديس للثقافة العربية الإسلامية الممنوحة من مركز المستقبل الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط، لعام 1992.

تقـــديم

بقلم العقيد: السعيد محمدي المعروف
بـ «سي ناصر»
قائد أركان حرب الثورة التحريرية، وأول
وزير للمجاهدين في حكومة الجزائر
المستقلة.

إن هذا الكتاب الذي أسعد بتقديمه للقراء يمثل بادرة خير للبلاد وهي تستعد للاحتفال بالذكرى العشرين للاستقلال الوطني الذي ما كان له أن يتحقق بالصورة التي تحقق بها لولا تلك الثورة وذلك الجهاد.

وإذا كان الاعتراف بالفضل مساويا للرجوع الى الأصل في درجة الفضيلة، فان هذا الكتاب - في نظري - قد حاز فضيلتين اثنتين: - فضيلة التأصيل، وفضيلة الاعتراف بالجميل، وهو على الرغم من صغر حجمه - نسبيا - يعتبر في غاية الأهمية من ناحية الأسلوب العلمي، والتحليل المنطقي الذي طبع كل صفحات الكتاب، وخاصة من ناحية الموضوع، فهو يتحدث عن الإسلام في ثورة التحرير، وهو ما ينبغي أن ينصب عليه اهتمام كل الباحثين الوطنيين الذين يهمهم أن يكتب تاريخ ثورتنا المباركة كتابة لا تخاف في الحق لومة لائم، لأن اللائمين غيرهم على قول الحق هم - في الحقيقة - أكبر شهود الإثبات على نزاهة أصحاب الحق وهم لا يقصدون!

إن فضل الإسلام على الجزائر لا يمكن أن ينكره حتى أعداؤها التقليديون (فضلا عن أبنائها الشرعيين) لأنه اخرج هؤلاء الأعداء من البلاد ثلاث مرات متتالية:

فقد طرد البيزنطيين في القرن السابع الميلادي.

وقاوم الصليبيين الأسبان في القرن السادس عشر.

ودمر الفرنسيين في القرن العشرين، وسيظل يطاردهم الى يوم الدين!

وإذا كان لي أن أضيف شهادتي الى الشهادات المتعددة الواردة في الكتاب فأقول: إن الثورة قامت على مبدأ الجهاد، وانتصرت بروح الجهاد، وقد كان الشعب يرى المجاهدين ملائكة منزهين، أو صحابة مقربين، وقد برهن المجاهدون - حقا وصدقا - على هذه المكانة تطبيقا لبيان أول نوفمبر القائل:

«لكي نبين بوضوح هدفنا فاننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي:

الهدف: الإستقلال الوطني بواسطة:

- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادىء الإسلامية». فكان المجاهدون أول من قضى على الآفات الاجتماعية بتطبيق مبادىء الإسلام دون تحريف أو تزييف، لقد كان شعارهم في المعارك (الله أكبر) وكانت خطبهم الى الشعب من القرآن، وبلغة القرآن، وظلوا على عهدهم قدوة لتطبيق الأقوال في ميدان الأفعال. وأية قدوة أعظم من أن يتسابق المجاهدون الى ساحة الشهادة، يَفْدون بأرواحهم بعضهم بعضا، ناكرين الذات، ملحين على القادة منهم أن يحافظوا على أنفسهم حفاظا على الثورة التي يصعب عليها أن تعوضهم بسهولة، لأنهم كانوا أكثر خبرة وأكثر قدوة.

لقد تحدث المؤلف عن اختلاف تصريحات بعض المجاهدين من قادة الثورة في الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة عن الدافع الأساسي الذي كان يحدوهم عند الالتحاق بصفوف الثورة. فهل كان هذا الدافع هو الرغبة في الذهاب الى الجنة أم الرغبة في الحصول على الاستقلال فقط ؟

وأحب أن أصرح – مرة أخرى – بأني من أصحاب الموقف الأول ولكنني أؤكد في الوقت ذاته – للذين يعلمون والذين لا يعلمون – أنني لو عشت في عهد الاحتلال الروماني لكنت أول من يحمل السلاح مع يوغرطة وتكفاريناس، ولأن رغبتي في الذهاب الى الجنة لا يمكن أبدا أن تتعارض مع حبي لوطني، واعتقد أن الخائن لوطنه لا يمكن – اطلاقا – أن يكون مسلما حقيقيا!

وقد حكمت عليه الثورة الجزائرية بالاعدام عن جدارة واستحقاق، فذلك ما يجب أن يذكره، أو يعرفه كل الرفاق.

السعيد محمدي
الجزائر في 6 جمادى الأولى 1402 هـ
الموافق لـ 1 مارس 1982م.

مقدمة الطبعة الثانية

إن الطبعة الأولى من هذا الكتاب صدرت سنة 1982 عن دار البعث بقسنطينة بمناسبة العيد العشرين للاستقلال كما هو معلوم، والجدير بالاشارة أن بعض فصول الكتاب كانت قد نشرت وألفت في شكل مقالات أو محاضرات بمناسبات وطنية ما بين 1979 و1982، وقد تركت الفصول كما هي في هذه الطبعة، مع إجراء التنقيحات، أو إضافة ما ارتأيناه ضروريا من التعاليق والتوضيحات التي تطلبها التطور الزمني.

والذي يستحق الاشارة والتنويه هنا هو أن كاتب التقديم للطبعة الأولى المجاهد الكبير العقيد محمدي السعيد "سي ناصر" قد توفاه الله قبل صدور هذه الطبعة الجديدة، ولذلك ارتأينا أن ندرج صورته تقديرا لجهاده الصادق ووفائه الرائد للمبادئ الجهادية النوفمبرية الخالصة ... وتخليدا لذكراه كأحد عظماء هذا الوطن من أبطال ثورة الجهاد الذين ينطبق عليهم قوله تعالى ﴿... رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ فرحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه مع الشهداء والصالحين كما كان

يأمل ويعمل بصدق حتى آخر لحظة من حياته الجهادية الطويلة والحافلة بالمآثر والمواقف والتضحيات الرائعة والرائدة الخليقة بأن يقتدي بها كل الصغار !!

والجديد في هذه الطبعة هو إضافة العديد من الملاحق التي تمثل حقائق في وثائق تخدم الفكرة الرئيسية للكتاب وتدعم التحاليل والأحكام والاستنتاجات الواردة في مختلف فصوله، وهذا سعيا منا وراء اظهار بعض الحقيقة لوجه الله والوطن والتاريخ لتكون الأجيال الصاعدة على بينة من بعض ماضيها المجيد فتقتدي بمن أو ماهو أهل للاقتداء والاتباع وتعرض بعد الروية والاقتناع عن مغالطات الأدعياء والمنتحلين، وشراك العملاء المضللين و"المحللين" غير المأجورين.

الجزائر 1997/12/20



صورة تذكاريـــــة للقائديـــــن:
كريم بلقاسم، ومحمدي السعيد (سي ناصر) - الولاية الثالثة سنة 1956

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن شعبا بدون تاريخ هو شعب فاقد للذاكرة، يعيش على هامش التاريخ كالنباتات الطفيلية العارضة التي تنبت في رمال الصحاري دون جذور ضاربة في الأرض، فتظل معرضة للزوال في كل حين، دون أن تترك أثرا يذكر الأحياء بها في الوجود... ذلك أن بقاء الكائنات المشابهة لها مرهون بمدى ضرب جذورها في الأعماق، فإذا هي فقدت الجذور فقدت الحياة، وخسرت البقاء بالضرورة...

على أن الفرق بين عالم البشر وعالم الشجر يكمن في أن الأول هو الذي يقوي جذوره ويمدها طواعية ويحافظ عليها بإرادته الواعية، بينما الثاني تبقيه جذوره القوية الممتدة في أعماق الأرض وتحافظ عليه في مواجهة الهزات العنيفة التي تعصف بكيانه على مر فصول الأيام وتبدل الأحوال الجوية المتقلبة.

وعليه فان التاريخ ليس بضاعة تستورد مثل المواد الاستهلاكية، وإنما هو فيض غزير متجدد الأخذ والعطاء تصنعه الأمم والشعوب خلفا عن سلف ،لتجدد به كيانها كتجدد الهواء النقي في رئتي الكائن الإنسان.

ومن هنا وجدنا الشعوب الواعية تعتني بتاريخها كاعتنائها بمقومات وجودها المادي، فتقويه وتضيف إليه أمجادا على أمجاد ليظل عملاقا يتزايد ضخامة وعمقا جيلا بعد جيل... على اعتبار أنه هو الوجود المعنوي الخلاق للشعوب، ومبعث العزة لديها والفخار، ومصنع الرجال الذين يواصلون عملية المد الحضاري لضمان

الاستمرارية الفعالة لهذا التاريخ، لأن أجيال الأخلاف إذا توقفت عن صنع التاريخ الذي بدأه الأسلاف والسير به في الاتجاه الأقوى والأسلم فانها ستتحول الى أجيال مستهلكة للتاريخ، والشيء المستهلك معرض حتما للنفاد والزوال!

وإذا كنا نلتمس الأعذار في دنيانا لبعض الأقوام من ذوي الرصيد التاريخي الزهيد عندما نلفيهم يصنعون بإعلامهم الواعي من الحبة قبة في تخليد المآثر... فاننا عاجزون كل العجز عن إيجاد مبرر واحد لشعوب لها رصيد عملاق من التاريخ المجيد، وتتهاون في إعطائه الأهمية المطلوبة لضمان حيويته وصيرورة تبليغه للأجيال اللاحقة، سواء عن تقصير، أو عن قصور، أو بدعوى التواضع المزيف، أو الاتكال على شهادات الأعداء أنفسهم فيما يتاجرون به من أفلام ومجلات متخصصة (كجلة أسطوريا الفرنسية مثلا) والاكتفاء بترديد ما تبلغه هذه الأجهزة (بلغتها) عن أمجاد الأمم... الى غير ذلك من الأسباب...

وأيا ما كان السبب المقدم فان شعبا مثل هذا الذي يتهاون في تخليد أمجاده بأيدي أبنائه الذين صنعوا هذا التاريخ، فانه سيعرض أمجاده ومكاسبه الحقيقية الى خطر التزييف، وقطع فيض الاستمرارية المنشودة، وفقدان عرى التواصل بين الآباء والأبناء، فضلا عن التواصل بين الأجداد والأحفاد!

والجزائر تأتي في مقدمة هذه الأمم والشعوب التي لها تاريخ يحسدها عليه جل شعوب العالم، لأنه تاريخ صنعته بالبطولات النادرة والكفاح المرير، والنجاح في اجتياز الامتحانات الصعبة التي لا تتأتى إلا لأولى العزم من الشعوب الحية المجاهدة... ولذلك لم نعدم في الوقت الحاضر - ولن نعدم في المستقبل - العديد من الأفكار المضللة والأطروحات المدمرة، كالقنابل (العنقودية) ذات الانفجار المتقطع والموقوت في عالم شبيبتنا الناشئة...

ومن ذلك: الايهام بعدم جدوى الاهتمام بالماضي، بل الحث على الثورة عليه، بدعوى الثورة على مخلفات الماضي للبدء من (أصالة) الصفر أو ما تحت الصفر، عملا ببعض الشعارات المزيفة، كالعلمانية والمادية التاريخية والصراع الطبقي... الى غير ذلك مما هو مروج (بكساد) في سوق الإيديولوجيات المعاصرة...

ولذا حق لنا أن ندق جرس التنبيه الى الخطر لكي يتدارك جيل الآباء والأجداد ذلك التقصير الذي ارتكبوه في حق تاريخنا وأمجادنا القريبة والبعيدة، ونحمد الله أن الذي صنع تلك الأمجاد الجهادية القريبة ما زال حيا قويا وبيده زمام المبادرة لتدارك عجلة التاريخ قبل خروجها عن الخط المستقيم...

نقول ذلك! لأننا إذا كنا بعد أقل من عشرين سنة من الحصول على الاستقلال السياسي نلاحظ من بين شبابنا الذي دخل الجامعة بفضل ديمقراطية التعليم التي أوجدها هذا الاستقلال الغالي... نلاحظ من ينادي بوضع التاريخ في المزبلة، وينوه بالكرم الحاتمي لرئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة، وحكمته في إهداء الاستقلال للجزائريين... ويطالب بالتالي الآباء والأشقاء والأصدقاء بضرورة الاعتراف بالجميل لهذا العجوز (الكريم) بالتعامل مع مخلفاته في البلاد (من لغة وثقافة وذهنية) بموضوعية وروح رياضية، كأشياء حضارية، ووسائل مفيدة (جدا) للتقدم والتنمية، واللحاق بضباب الحضارة الغربية، بحجة أن تلك اللغة إذا كانت معتبرة في الماضي لغة المحتل المفروضة على الآباء والأجداد بقوة السلاح، فهي الآن – في نظرهم هم – غير ذلك، ومن ثمة وجدناهم ينصحون غيرهم بأن يعاملوا هذه اللغة كأشياء ثمينة مستوردة، أو كسلاح حيوي في يد المستعمر (بفتح الميم) للخروج من التخلف والوصول الى درجة المستعمر ذاته ووجدنا بعض هؤلاء الأبناء «الجامعيين» ينصحوننا بالتحلي

بالموضوعية والتبصر والروية والابتعاد عن الانفعال والعواطف الوطنية الممزوجة بالأفكار الميتافيزيقية (كحب الوطن من الإيمان مثلا) التي لا تخضع الى القياس بالآلات الالكترونية أو التحليل المعملي في المخابر العصرية...

ونعود للتأكيد على ضرورة دق ناقوس التنبيه الى الخطر الموقوت الناتج عن الفراغ المدمر في مجال الاهتمام باستمرارية الوصل التاريخي الذي شارك جيلنا في تكريسه مع الأسف بحكم بعض الظروف العارضة أو الغامضة والتي أخذت في الزوال والتجلي والحمد لله فنقول:

لو استمر التهاون في عملية تدارك هذا الخطر فاننا لا نستبعد أن ينعت شهداؤنا (بالفلاقة) والخارجين عن القانون، ويتهم مجاهدونا الأحياء وقادة ثورتنا بالقتلة العنصريين الذين فرقوا بين أبناء (الأمة الواحدة)، وبالتالي لا نعدم من يطالب بتصحيح الأخطاء السابقة، ولم شمل أفراد العائلة الواحدة، بارجاع المياه الى مجاريها الغالية (نسبة الى بلاد أجدادنا) الغاليين Les Gaulois الذين كنا نقرأ عن أمجادهم في برنامج التاريخ الذي وضعه أسلاف الشيخ ديغول لتنوير عقولنا، قبل أن يتفضل «باهدائنا» الاستقلال (كما يقال) ويتركنا نعتمد على أنفسنا! كما قد يطالبوننا بوصل وشائج أطراف البحر الأبيض المتوسط (الذي قال عنه جاك سوستال: إنه بحر يعبر فرنسا) La Mer Méditerranée qui traverse la France والذي صيره الشهداء بحيرات من الدماء بفضل التضحيات قرونا من التاريخ المجيد في سبيل الاستقلال السعيد.

إن مثل هذه الأطروحات (الحصرمية) التي يحتمل أن تتحول الى أطروحات (عنقودية) لا يمكن أن نرضى بأن تنطلي على عقول شبيبتنا المنخدعة والمضللة، ولعله من باب (الوقاية خير من العلاج) ومن حسن الحظ أن يتفطن في الوقت المناسب بعض من صنع التاريخ

في بلادنا الى أهمية التاريخ وخطر النسيان والنكران، فبادروا بعقد أول ملتقى لكتابة تاريخ الثورة مع مطلع شمس الاحتفال بالذكرى العشرين للاستقلال، وقبلها شاهد كل المخلصين في هذه البلاد وبكل ارتياح وتفاؤل: أحياء ذكرى يوم المجاهد بكيفية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاستقلال... مما يطمئن قلوب الأحياء ويبرهن للشهداء بأننا على الطريق، ومن سار على الدرب وصل إن شاء الله.

إن هذه الثورة عظيمة بكل المقاييس، ومثلما كانت معجزة في ربانيتها، ونادرة في أصالتها، وعملاقة في فعاليتها ونتائجها، كانت أيضا ذات خصوصيات فريدة من نوعها، ومن هذه المميزات أنها ثورة ذات مناعة ذاتية، ومما تتجلى فيه هذه المناعة الذاتية أنها ثورة يؤرخ لها صانعوها ومفجروها، بما لها وما عليها، بعيدا عن كل تزييف أو تخمين أو حكر على مجلة (أسطوريا) وحدها، كما أن تاريخ هذه الثورة ملك لكل الثوار، وكتاب مفتوح أمام شعب الثوار، لا يستطيع أن يزيد فيه حاضر على غائب، لأن المجاهدين لا يكذبون، وإذا نسى بعضهم سيجد من يذكره - حتما - لأن الأمس ليس ببعيد، وآثاره ما زالت ظاهرة على الأبدان، فضلا عن رسوخها في الأذهان...

واننا إذ نستبشر خيرا بهذه البداية الصحيحة والفصيحة، ونطمئن على وصل تاريخنا المجيد بكتابته في عهد صانعيه ومباركتهم وبأقلام بعضهم... نرجو الاستمرار والفعالية لهذه الانطلاقة القوية لسد الفراغ وردم الهوة الفاصلة بين جيل الاستقلال السياسي وصانعي الاستقلال السياسي الحقيقيين في ذكراه العشرين... فعسى أن تشمل عودة الوعي كل العقول، فينتفع بالذكرى المؤمنون عن أجيال الخلف، والغافلون من أجيال السلف!

ومن باب الأدلاء بشهادتي كرجل مخضرم عايش جيل السلف بقدر سنوات العمر التي عايش بها وفيها جيل الخلف، وفي غمرة

الفرحة بما فات والتطلع الى الغاية الكاملة في ما هو آت لا أجد بدأ من أن أخصص هذه الوقفة التأملية لهذا الموضوع وهذه الذكرى، فأجسل شهادتي عن أحداث عايشتها وانفعلت معها وفيها جسدا وروحا، ولم أقرأ عنها في المجلات، أو أسمع عنها في الإذاعات.

وإذا لم يكن بالإمكان أن نقول كل شيء في هذه الوقفة، فليس من المعقول ألا نقول أي شيء!

وطالما أن الأمر فيه اختيار وتفاضل، ففضلنا الأهم - في نظرنا - على المهم، وخصصنا هذه الوقفة - إذن - للجهاد والثورة، وذلك لاعتبارات كثيرة لا تخفى على الذين يعرفون مواقفنا السابقة، أما للذين لا يعرفون فنقول:

إن الإسلام هو أغلى ثروة، وأغدق عطاء جادت به السماء على هذه الأرض، ولو لم يكن قد أتانا لسعينا في طلبه، ولو لم نرثه عن آبائنا وأجدادنا المحافظين الميامين لاوجدناه أو سعينا في طلبه وأورثناه لابنائنا، وطالما انه موجود بفضل وعي الأجداد، الأقارب والأباعد، فلا أقل على الأحفاد من أن يحافظوا عليه حفاظهم على أرواحهم وقلوبهم، لأن عطاء البترول وثروات الأرض قد تنفد، أو يساء استغلالها في غياب الأخلاق الفاضلة، أما عطاء القلوب المفعمة بالإيمان والعقول المتفتحة في الإسلام على الإسلام، فانها هي الثروة الباقية المتجددة الى الأبد، والضامنة لحسن استغلال الثروات الأخرى...

ذلك أن التاريخ إذا لم يحدثنا عن أقوام زالوا من التاريخ بسبب فقدان البترول في أراضيهم، فانه حدثنا عن أقوام، قدامى ومعاصرين، زالوا من الوجود الحقيقي في الخريطة التاريخية للحضارة البشرية، بسبب فقدان الإيمان في قلوبهم والقيم في واقعهم رغم ما تزخر به أراضيهم من ثروات طائلة قد استغل مردودها في عمليات الانتحار

الحضاري، والتحلل من القيم الإنسانية الى عالم الوحوش الضارية الكاسرة والنباتات الهامشية العابرة، والحشرات الطفيلية الغابرة!

إن الاستقلال الوطني ثمين جدا، وأثمن منه روح الجهاد التي أوجدته، وإذا كان من الواجب علينا أن نحافظ على الاستقلال المكتسب، فانه من باب أولى أن نحافظ على عوامل وجود هذا الاستقلال الثمين، لأنه إذا كان الصعود الى القمة مهمًا فإن الأهم - في نظرنا - هو المحافظة على عوامل البقاء في هذه القمة، حتى لا يتحول الجهاد الى (عجلة احتياط) نلجأ إليه في بعض الملمات والأقراح، وننساه في المسرات والليالي الملاح، وكأنما الحياة الكريمة ليست كلها جهاد وكفاح!؟

ولذلك فلا يعتبر من نافلة القول أن نؤكد ها هنا مذكرين بأن الجهاد الأكبر المتواصل لا يمكن أن يؤتي ثماره المرجوة إلا بتطبيق القواعد الذهبية التي نجح بها الجهاد الأصغر (كما سنحاول أن نبين ذلك في فصول هذا الكتاب) وزيادة! لأن جهاد الوصول الى القمة، وجهاد المحافظة على البقاء في هذه القمة يتطلب كلاهما العديد من الأسلحة النوعية (الحديثة) وفي مقدمتها الأسلحة العقائدية والثقافية (الفكرية والروحية) التي تحرك العضلات وتوجهها، وتفجر الطاقات وتستغلها - ان سلبا أو إيجابا - في كل الحالات وفي جميع الاتجاهات!؟

الجزائر في: 7 من ربيع الثاني 1402 هـ (1 فيفري 1982م.)

الفصل الأول

المادة والروح

إذا كان للإنسان أن يسيطر بفكره الخلاق على المادة، ويسبر أغوارها، ويكشف قوانينها الدقيقة والمحكمة التي أوصلته الى الاتفاق المطلق على وجود العديد من الحقائق فيها وجودا قطعيا ملموسا يخضع للملاحظة المباشرة والتجريب العلمي...

فان الإنسان يظل على العكس من ذلك في عالم الفكر والماورائيات... هذا العالم الذي استنفذ التطلع الى كنهه طاقات هائلة من العقل البشري، وما يزال يستحوذ على عقول الفلاسفة والمفكرين دون أن يفضي مجهودهم الذهني فيه الى أي إجماع أو كلمة نهائية.

ولقد كان من الطبيعي والحالة هذه أن تنتج عن هذا القدح الفكري اختلافات مبدئية أو تنشأ مدارس فكرية ومذاهب متباينة... لأن أمر الاقتناع فيه متعلق بالاستنتاج الشخصي، والتخمين المحض، والعقول درجات.

وهكذا وجد الإنسان نفسه أمام فزياء واحدة وكيمياء واحدة، ورياضة واحدة، وفلسفات وعقائد معقدة ومتعددة، لأن الأولى تتعامل مع المادة وحدها، والثانية تتمحور حول الإنسان المعقد ذي الأبعاد التي تتجاوز بحكم تكوينه الثنائي حدود المادة، وتخترق حجب الفزيقا الى ما وراءها.

فمن هنا ظهرت على مسرح التاريخ الفكري للبشرية مدارس ومذاهب فلسفية شمولية ذات طابع وثوقي لا تفتأ تتناقض فيما بينها وتتعارض تعارض الأرض مع السماء، والمادة مع الروح.

ومن أهم وأشمل هذه المدارس الفلسفية: المادية والروحية، والمثالية والواقعية، والاثنينية.

وما دام حديثنا منصبا على المادة والروح، فنركز على المدرسة الأولى - والأشياء بنقائضها تعرف.

فالمذهب المادي - كما يدل عليه اسمه - يرجع الوجود بكل ما فيه وما عليه من ظواهر متباينة متنوعة، الى المادة وحدها، أي الى الأصل المادي الصرف...

فالإنسان في عرفه مادة، والحيوان مادة، والنبات مادة، والحجر مادة. وما التفكير لدى الأول، والاحساس والغريزة لدى الثاني والأول، والحياة لدى الأول والثاني والثالث، والجمود لدى الأربعة معا، ما هذه الظواهر المختلفة في حقيقتها إلا نتيجة لتفاعل مواد كيميائية موجودة في هذه الكائنات المنتخبة، والمرتبة على هذا النحو تلقائيا، وبالمصادفة البحتة دون أي مسبب أو علة خارجة عن الطبيعة، وبعبارة أوضح دون أي خالق مطلق مدبر، تدركه الأبصار المجردة، وتقيسه الأمتار المحددة (!)

هكذا يفكر الماديون المذهبيون في أصل الوجود، وهكذا يفسرون ظواهره اللامادية أو اللامرئية، وبالتالي ينطلقون الى إنكار أي وجود خارجي للعالم اللامتناهي المتمثل في الله، والنفس، والملائكة، والوحي، والبعث، والخلود، وأقوى حجج الماديين في ذلك أن هذه المسميات كلها من نسج الخيال، ولا توجد إلا في أذهان أصحابها، دون أن يكون لها أي وجود فعلي في العالم الخارجي بدليل أنها لا تخضع للتجربة الحسية، ولا ترى بالعين المجردة، بل ولا تدرك حتى بالمجهر الألكتروني الذي يكبر صور الجسيمات ملايين المرات (!)

ذلك هو المذهب المادي، وتلك هي حـجج الماديين، وتلك هي مـبادئهم التي ينطلقون منها في الأبحاث والاستنتاجات، وإصدار الأحكام على الروحانيات من انكار للألوهية والوحي، الى التعريض بالأديان ورفض الرسالات...

وإذا أمكن للماديين أن ينكروا الحقيقة الماورائية الأولى المتمثلة في الاله بحجة عدم الرؤية (...) فانه لم يمكنهم (ولن يمكنهم) إنكار صلة الروح بالمادة وانعكاسها عليها، والمتمثلة في وجود الأديان كحقيقة ملموسة في حياة الأفراد والمجتمعات...

ولذلك نجدهم إذ ينكرون وجود الله بتعصيب الأعين والأفكار، وادعاء عدم الابصار (..) لا يجدون بدا من الاقرار بوجود الدين (على الأقل كظاهرة واقعية وملموسة)، محركة للمادة البشرية، ومؤثرة في الواقع الاجتماعي... إلا أنهم نعتوه (بالافيون) تمشيا مع مبادئهم في الخلاف وعدم الاعتراف! والحقيقة أنه إذا لم يكن باستطاعة أحد أن ينكر على الأعمى عدم رؤية الشمس الساطعة فانه أيضا لا يمكن أن ينكر على المبصر مشاهدة أشعتها، والاحساس بدفئها، لأنه ليس كل ما لا يرى أو لا يدرك بالحس غير موجود إذ قد يكون الخلل في البصر وليس في الأثر!

إن الله سيظل موجودا في القلوب والعقول المتفتحة ما دام العلم البشري عاجزا عن الإجابة القاطعة على العديد من الأسئلة المحيرة للعقول منذ الأزل، وطالما أن هذا العلم نسبي ومن ثمة سيظل عاجزا عن معرفة سر الحياة للمحافظة عليها - فضلا عن إيجادها - فان الله، سيظل موجودا الى الأبد ولا يهمه أو يضره من جحد لأنه الحق الصمد.

والى هنا اعتقد بأن القارىء قد اتضح لديه ما يوجد من خلاف جوهري بين هذا المذهب المادي في نظرته للوجود وبين المنظور الإسلامي

(الأثنيني) للوجود، الذي يقر بوجود المادة ووجود الروح، ووجود الدنيا ووجود الآخرة، ووجود الله ووجود الرسل، ووجود البشر ووجود الملائكة، والدين جوهره الصلاة، والصلاة صلة بين المادة والروح، أو بين المخلوق والخالق، فهل يمكن أن نقر هؤلاء على حكمهم على الدين بأنه أفيون الشعوب؟

قطعا «لا» ولكن لا يقبل من صاحب عقيدة أو مذهب أن يقول (لا) أو (نعم) دون تبرير ذلك (اللا) والاقناع أو - على الأقل - الاقتناع بذلك (النعم). فما هي حجة الماديين في حكمهم على الدين بأنه أفيون الشعوب؟ وما هي الأسباب التي دفعتهم الى ذلك؟

أولا: انطلاقا من إنكار الماديين للعالم الروحي والالهي أصلا، يذهبون في اعتقادهم الى أن الدين (أي دين كان) لا يعدو أن يكون ظاهرة اجتماعية، ومنتوجا إنسانيا صنعه البشر أنفسهم، ومنتوجات البشر في عرف هؤلاء لا تقاس قيمتها إلا بما تعود به من نفع مادي على المجتمع، ومن هذه الرؤية كان الدين بطبيعة الحال - في نظرهم - غير ذي نفع مادي، يرى بالعيون ويملأ البطون!

ثانيا: إن الظروف التاريخية التي عاصرها ماركس (زعيم المدرسة المادية وصاحب الحكم على الأديان) في أوروبا، كانت السلطة خلالها في يد الكنيسة التي خرجت عن تعاليمها السامية لتستغل إيمان الكادحين البسطاء، متحالفة مع الاقطاعيين الطغاة، متخذة الدين وسيلة لارضاء المستضعفين، وكبح جماحهم عن الثورة وتبصيرهم بوصف النعيم، والقصور التي تنتظرهم في الدار الآخرة، إذا ضاعفوا من خنوعهم وتقبلهم لتلك الحالة من الحرمان والاستغلال والشقاء التي كانوا يعيشونها تحت لفحات السياط التي تتلقاها جنوبهم على أيدي الجلادين (النبلاء)، والاقطاعيين الذين يتبايعون الأراضي فيما بينهم بمواشيها، وعبيدها...

فهذا الاعتقاد الأعمى للطبقات المستغلة من طرف الاقطاعيين باسم الدين المسيحي الذي جعلهم إيمانهم بمبادئه (المزيفة من طرف الكنيسة) يحجمون عن الثورة والتمرد ضد الاقطاع، ويصمتون في صبر جميل موكلين أمر الجزاء الى رب العباد في يوم اللقاء والبقاء...

فهذا الاستغلال الجزئي والفئوي للدين المسيحي من طرف بعض محتكري العفو والغفران هو الذي أمد الماديين بالحجة للتدليل على حكمهم المطلق على الأديان. ونحن إذا سلمنا مع الماديين (بعد هذه الحيثيات) بأن التضليل قد وقع فعلا من طرف الكنيسة، وأن السرد التاريخي صحيح، وهو أمر غير مستبعد الحصول حتى في أيامنا، ولعل التضليل برفع المصاحف في بعض البلاد، من طرف المؤمنين لقتل المؤمنين لاشهر من أن يذكر كدليل على إمكانية الحدوث مع أي دين للتدمير والتخدير باسم الملك أو الأمير (...) وأبسط دليل على هذا التضليل، هو عدم سماح الأمير برفع المصاحف إلا في بعض المصالح، والمتاحف!

نعم يجب أن نكون نحن المؤمنين أولى بنقد أنفسنا ومعرفة عيوبنا من الأعداء، وإذا أردنا أن نحرص على الدفاع عن ديننا في مواجهة حجج الخصوم فيجب أن يكون ذلك الدفاع بالأفعال المطابقة للجوهر وليس بالأقوال، وغرس الرؤوس في الرمال، ونعت الثوار بالكفار، للابقاء على الأحوال ولو أن بقاء الظلم من المحال...

فأين الظالم والمظلوم؟ وأين الداء والدواء؟ لاشك أن الظلم هو الداء والدين هو الدواء. ولكن الدواء كما هو ضروري للشفاء يمكن أن يقتل إذا أسيء استعماله من طرف الصيادلة والأطباء الجهلة والأدعياء...

واعتقد أنه من التعسف واللامنطق، أن توجه التهمة للدواء، وليس لصاحب الداء من الدهماء والأدعياء الذين أساؤوا الاستعمال

لنيل المنال في السيطرة والاستغلال... مع أن الوصفة دقيقة في الكتاب لأولى الألباب، من العاملين ليوم الحساب.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نوافق الماديين في ضرر استعمال الدين كسلاح ذي حدين، ولكن السلاح دواء في الأساس مثل اختراع القنبلة الذرية. فهل (ابن هايمر) المخترع هو الذي دمر اليابان أم الأمريكان، وهل التاريخ والمنطق يحكم أو يحاكم الألمان المخترعين، أم الأمريكان المجرمين؟؟ وبعد هذا فهل يوافقنا الماديون بأن الدين في الأصل دواء للقلوب وليس أفيونا للشعوب وأن الجهل هو الأفيون!؟

فإذا سلموا بالمنطق والجدل، ووافقوا بالأعمال على صحة الأقوال، كان هو المنال، وإلا فلنظهر الدافع المدسوس بتحليل وتحكيم الواقع الملموس.

فبعد اقرارنا مع الماديين بأن الدين قد استغل فعلا وما يزال يستغل في بعض البلدان مثلما تستغل العديد من المبادىء السامية، كالحرية والديمقراطية، من أجل تحقيق مآرب شخصية أو فئوية لا تمت الى البادىء بصلة قول صادق، أو فعل مطابق، نقول:

بعد اقرارنا بهذا الواقع دون تعميم يحق لنا أن نناقش الماديين في أحكامهم المطلقة على الأديان في كل زمان ومكان... فعلى هذه الوثوقية والشمولية يؤاخذ منظر المادية نفسه، ويناقش بكل موضوعية في موضوعيته العلمية، وماديته التاريخية والكمال لله وحده.

فلو كان هذا المفكر (الكبير) صاحب مقولة «الدين أفيون الشعوب» موضوعيا، وعالما متواضعا لأقر بأن الإطلاق في الأمور الإنسانية هي خرافة أبدية، وبالتالي كان حكمه على الدين بأنه أفيون الشعوب على الاطلاق هو تعسف وظلم وجهل لا يطاق، بدليل أن تنبأه الشهير بقيام الثورة الأولى في البلاد الغربية الصناعية ذات النظام الطبقي البرجوازي المتعفن (حسب وصفه) قد كذّبه واقع أوروبا

الغربية الطبقية اللبرالية الحالية، وعداء الصين الشعبية الزراعية الشيوعية لروسيا القيصرية الثورية الاشتراكية... ولو كان عالما ومطلعا على التاريخ الذي بنى عليه فلسفته (المادية التاريخية) التي تمثل منظومة مذهبية شاملة لتفسير الوجود وظواهره وأصله ومآله، لو كان كذلك لعرف ما قام به الإسلام - كدين - من ثورة عارمة وما حققه من حضارة إنسانية خالدة ولأستثني هذا الدين من حكمه - على الأقل - في بعض الزمان والمكان...

فمن هنا أتى خطأه القاتل الذي ذهب ضحيته المقلد والجاهل، والملاحظ أن العديد من هؤلاء المقلدين عندنا من المتاجرين بقمصان الرجعية والتقدمية، لم يتبنوا مثل هذه المبادىء (القطعية) من أجل إصلاح اجتماعي، أو تطور اقتصادي، أو تقدم علمي، كما هو شأن (اللينينيين والماويين) الحقيقيين، وإنما تبنوها ونسبوا أنفسهم إليها زورا وبهتانا لا لشيء إلا لخدمة أغراضهم الآنية، واشباع غرائزهم الحيوانية (...) ولا أدل على ذلك من أن سلوك هؤلاء مع أنفسهم وفي محيطهم الضيق يختلف اختلافا صارخا عن سلوك (الفرد) المؤمن بالمبادىء، والثوري التقدمي في السلوك، والمضحي من أجل تقدم البلاد (حتى في الجانب المادي الذي لا يدعون الإيمان إلا به) كالذين يفطرون جهارا في رمضان بدعوى مضاعفة الإنتاج ثم يصومون بعد ذلك عن الإنتاج الحقيقي كل شهور السنة (...) وقد أثبت هؤلاء الانتهازيون لكل من يتمتع بحاسة الإدراك أن ارتداءهم لقميص التقدمية والالحاد في المواسم والأعياد، ليس إلا غطاء وذريعة سفسطانية للتخلص من الالتزام بالقيم الأخلاقية والضوابط الدينية التي ما تزال - والحمد لله - قوية ورادعة للخارجين عنها في القرى والأرياف، وفي بعض المدن الوطنية، مما يحرم هؤلاء المارقين والصابئين من العديد من الملاذ المحرمة التي ينشدونها في ظل التحلل من

الالتزامات الدينية والأخلاقية التي ماتزال تمثل البعد الخلاق لمجتمعنا المسلم الأصيل. وبدون أن نذهب بعيدا في الجدل المنطقي واستعراض الحجج الغزالية، والرشدية، والديكارتية، والكانتية التي تغوص بنا في جذور الميتافيزيقا... لكون ذلك فضلا عن أنه يرجعنا الى أصول الاختلافات المذهبية الفلسفية التي لم تتحقق فيها الضربة القاضية لفريق على الفريق الآخر... فهو أسلوب غير مرغوب فيه من طرف فلاسفة المادة والتابعين الذين يفضلون الاستناد في النقاش الى الواقع المادي المعاش. فلنتخاطب - فقط - بهذه اللغة الواضحة المفهومة من الجميع... وهنا يكفي أن نوقظ ذاكرتنا، ونفتح أعيننا متأملين واقع مجتمعنا خلال الثورة التحريرية المظفرة التي نحيي ذكراها، ونعيش نتائجها الحية المجسمة المتمثلة في وجودنا أحرارا مستقلين... لنرى ما إذا كان مؤسسوها ومجاهدوها وشهداؤها من الوطنيين المسلمين الذين يؤمنون بقول الله تعالي: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» و«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» أم كانوا من الماديين الذين لا يؤمنون إلا بالوجود الدنيوي والحتمية التاريخية!؟

لا شك أن الذي عاش تلك الأيام بعقله وجسده (وما الأمس ببعيد) يشهد للتاريخ ويقر بأن ثورة 1954 الجهادية المباركة لم تقم إلا أصيلة على أسس وطنية ودينية قوية متكاملة كتكامل «حب الوطن من الإيمان» و«النصر أو الاستشهاد» ولا أدل على ذلك من إطلاق اسم (مجاهد) على جندي جيش التحرير الوطني، وزغردة النساء على أبنائهن الشهداء (الأحياء) وعدم انتحار المجاهدين في أقسى حالات الخطر والشدة، الى غير ذلك من الأمثلة التي سنذكرها، والتي تدل دلالة قطعية على أن الوازع الديني لدى الأفراد كان قويا جدا أيام ثورة الجهاد، وأن غالبية فئات الشعب والمجاهدين على وجه الخصوص

كانوا على درجة عالية من الإيمان والتدين لا يفوقهم فيها إلا الصحابة المقربون (..) قلنا على درجة من الإيمان والتدين لأن هناك من هم مؤمنون نظريا وليسوا متدينين تطبيقيا، والإيمان جزء من التدين، وليس العكس (أي إذا كان كل متدين مؤمنا فليس كل مؤمن متدينا) فالإيمان مستغرق بالضرورة في فئة الدين ومن هنا نقول: إن عنصر الإيمان هذا لدى المجاهدين الجزائريين كان متلازما جدا مع الجانب التعبدي والتطبيقي في الدين، ومن أسمى صور هذا التطبيق والتعبد: الجهاد. فكان الإيمان بمبدأ الجهاد وتطبيقه هو الهيكل والأرضية الصلبة للثورة التحريرية المسلحة، على طول امتدادها، ولئن اعتبر المفكرون أن نجاح أي مشروع عظيم لابد أن يتوفر على شرطين أساسيين متلازمين في الوجود هما:

1) الإيمان بمبدأ المشروع والاقتناع بمشروعية الأهداف المسطرة...
2) توفر الوسيلة العملية التي تطبق المبادىء وتجسد الأهداف في الواقع...

فإن واقع الثورة التحريرية أثبت أن شرطي الإيمان والوسيلة، لم يكونا متلازمين في الوجود الفعلي منذ البداية، حيث أن الإيمان قد سبق الوسيلة وهو الذي أوجدها لتحقيق الأهداف. فلقد تم التنظير للثورة مبدأ ووسيلة. ولكن أين الوسيلة؟ فكان ذلك الإيمان بمبدأ الجهاد وحده هو السلاح المعنوي الذي أنتج الوسيلة المادية، ليجتمعا معا فتتحطم أمامهما إرادة الاستعمار المالك لاحدث الأسلحة التكنولوجية... وتجسد في هذه الحالة أعظم صراع بين الروح والمادة وبين الجبر والحرية... ذلك أنه إذا كان الإنسان الثائر يتحرك ويحارب بدون سلاح متكافىء (على الأقل...) فان السلاح لا يتحرك بفعالية إلا بإنسان مؤمن بفكرة... وإذا كانت القوة المادية الاستعمارية تملك القدرة على أسر الأبدان فانها عاجزة كل العجز على التحكم في روح

الإنسان، فكان الارتباط الروحي بالعالم العلوي لدى المجاهد هو الذي يجعله يجابه الدبابات والطائرات ويقتحم القواعد المحصنة ببنادق الصيد القديمة، وهو الذي يقنعه بالاستشهاد تحت التعذيب دون أن يحصل منه العدو على أية كلمة سر، وهو الذي يدفع المسبّل (نوع من الثوار) الى اقتحام المعارك الطاحنة بيدين عزلاوين ليفتك منها قطعة سلاح (مادي) كي يصبح بعد ذلك عضوا في صفوف جيش التحرير الوطني (وهو ما كان يعرف بالتسلح الذاتي) وكم من نفس راضية رجعت الى ربها في مثل هذه العملية الاستشهادية الفذة. ويعلم الله أيضا كم من سلاح جهنمي للعدو أرتد الى نحره بنفس العملية... ويكفي القول أن الثورة بعد سنوات قليلة كادت أن تحقق الأكتفاء الذاتي في بعض المناطق من الوطن نتيجة لهذا الأسلوب، وهذا الإيمان أيضا هو الذي يجعل الأم الحنون ذات العاطفة الجياشة تزغرد أمام جنود الاحتلال على وحيدها (الذي أوتى لها به شهيدا مخضبا بدمائه)... تعبيرا على سعادتها بمشاركته في ثورة الجهاد وفوزه بالوعود والخلود... وعندما نذكر هذه الوقائع الحية التي عايشها جيلنا تطفو بقوة على سطح الذاكرة مجموعة من الأمثلة الحية التي سنكتفي بذكر واحد منها وهو مثال ذلك الشاب القادم من جامع الزيتونة بتونس تلبية لنداء الجهاد المقدس في مسقط رأسه بالناحية الأولى من المنطقة الثالثة بالولاية الثالثة (دائرة ذراع بن خدة بولاية تيزي وزو حاليا) والذي وقع أسيرا في إحدى المعارك (سنة 1958) وتم استنطاقه أمام الأهالي في القرية (عملا بسياسة الترهيب والترغيب التي كان ينتهجها العدو لقمع ثورة الجهاد...) وقد جرى الحوار على الصورة التقريبة التالية:

الضابط الفرنسي: ما أسمك؟

المجاهد: اسمي سي محمد الشريف (وهو اسمه الحقيقي).

الضابط: لماذا ذهبت الى الجبل؟ (يعني الثورة).

المجاهد: ذهبت للدفاع عن ديني ووطني.

الضابط: ها قد ألقينا عليك القبض!..

المجاهد: إن ورائي آلافا من المجاهدين الذين سيخلفونني.

الضابط: ألا تخاف الموت عندما انضممت الى الخارجين عن القانون..؟!

المجاهد: لا أخاف الموت!

الضابط: لماذا لا تخاف الموت؟؟

المجاهد: لأن الله عندما يريد أن يتوفى شخصا يتوفاه في أي مكان، والدليل على ذلك أنني كنت في المعركة ولم أمت!

الضابط: لماذا لم تمت!؟

المجاهد: لأن الله لم يقدر لي أن أموت اليوم!

الضابط: أمسك الرشاش بكلتا يديه وقال للمجاهد (ليس الله هو الذي يقتل، بل أنا الذي أقتل، والآن سأقتلك ولن ينجيك الله...)

المجاهد: لست أنت ولا رصاصك هو الذي يقتل، بل الله هو الذي قدر لي أن أموت على يدك اليوم.

الضابط: ابتسم في استهزاء وأرجع الرشاش الى خلف ظهره قائلا: (لن تموت إذن).

المجاهد: إن الله لا يريد أن يتوفاني اليوم!

الضابط: تفجر غيظا وتحطمت أعصابه أمام إيمان ذلك المجاهد الشاب، فأمسك الرشاش بكلتا يديه وبكل هستيرية، وأفرغ كل ما كان في بطنه من رصاص في صدر ذلك الشهيد رحمه الله!!

تلك حالة من عشرات، بل آلاف الحالات المماثلة المتكررة بكيفيات مختلفة على طول امتداد الثورة التحريرية، وأن استشهادنا بهذه الحالة النموذجية (على سبيل المثال لا الحصر) نراه كافيا للتدليل على أن التدين، والارتباط بالعالم العلوي، إذا كان عن وعي وصدق، ليس أقوى منه دفعا للشخص المؤمن على الإقدام على اقتحام اللهيب دون أن يخشى الاحتراق... وأن مفهوم القضاء والقدر في الإسلام إن أدى فهمه الخاطىء (السلبي) الى تجميد عقول شعوب إسلامية عربية وغير عربية، وقفت في القرآن عند «**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**» و«**ويل للمصلين**» و«**ان الإنسان لفي خسر**» وفي الأثر عند «**أعمل لآخرتك كأنك تموت غدا!**» فان مفهوم القضاء والقدر الذي أدركه المجاهدون بالمعنى الإيجابي الصحيح (كما هو واضح من ردود الشهيد على الضابط الفرنسي قبل حين) قد صنع البطولات النادرة، وحقق الانجازات العظمى في الثورة الجهادية الخالدة!.

ذلك أن المجاهد اعتقد أن الموت بيد الخالق الذي قطع على نفسه بأن لا يغير ما بقوم حتى يبادروا بتغيير ما بأنفسهم... وأن لا ينصرهم حتى يؤمنوا وينصروه مصداقا قوله تعالى: «**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**»و«**وان تنصروا الله ينصركم**» والسؤال الذي نطرحه الان بعد كل هذه الاستدلالات هو:

لماذا لم يكن تدين هؤلاء المجاهدين مخدرا لهم وعائقا عن تحقيق النصر المبين، وإحياء القيم الإنسانية السامية المتمثلة في الخير والحق والحرية؟؟ وعندما نقرر في اعتقاد راسخ بأن الدين كان المحرك الأساسي للثورة الجهادية وسفينتها الضخمة العملاقة التي اجتازت بها بحر الدماء والدموع الى جزائر الاستقلال والحرية... فأننا لا ننسى أن نعترف بأن هناك من أعوان الاستعمار من كان يحارب الثورة المباركة (في أيامها الأولى) باسم الدين، كالقول بتحريم الجهاد بدون

سلطان (..) وأن الاستعمار قضاء وقدر لا مفر منه ويجب تقبله بصدر رحب كاختبار إلهي أو على الأقل التغلب عليه بالصبر الجميل، لأنه ابتلاء من الله... الى غير ذلك من التبريرات المرفوضة عقلا ونقلا، والتي تنم عن الفهم الساذج لمبادىء الجهاد في الإسلام دين التحرر والانعتاق. ولكن هل ظفر المضللون بطائل؟ كلا! لأن الوعي الديني والوطني لدى غالبية أفراد الشعب الجزائري المسلم والمؤمن كان أقوى من أن يقضى عليه... بل هو الذي قضى على خصومه وخيب آمالهم والثوار الأحياء شهود (...) ولقد يعترض بعضهم أو يناقش قائلا: إذا كان الدين وحده هو الحافز والمحرض على التحرر والثورة فهل «شي غيفارا» الذي كان مثلا أعلى في التضحية من أجل العدالة الاجتماعية والحرية الإنسانية، ووهب نفسه فداء لهما في بوليفيا (بأمريكا اللاتينية)... فهل كان متدينا؟؟ فالجواب أن «شي غيفارا» كان شيوعيا ملحدا، أي غير مؤمن بإله أو متدين بدين سماوي، ولكنه كان مؤمنا إيمانا راسخا بمبادىء وقيم إنسانية اتخذها معبودا له وتدين بها، فكان وفيا لمعبوده وصادقا في عبادته، ولولا إيمان «شي غيفارا» لما ذكره التاريخ في مثل هذا المقام. غير أن الذي نستخلصه من هذا الواقع هو أن الدين الذي أساسه وجوهره الإيمان (بقطع النظر عن نوعية المعبود) ليس أفيونا للشعوب في أصله، بل هو ضروري للنجاح في الحياة وتحقيق أسمى الأهداف فيها، ونعتقد أن الإيمان بالله عند المليون والنصف من شهداء الجزائر الذين جمعتهم كلمة الجهاد - أميهم وعالمهم، غنيهم وفقيرهم - كان محققا لكل الأهداف التقدمية (الدنيوية) التي طمح إليها (شي غيفارا) زائد على ذلك الطموح الأخروي الذي هو خير وأبقى. ونفس المثال ينطبق على الفيتنام، وإيران، والفلبين، ونيكارغوا، وفلسطين، وما سيأتي، وهذا الأخير (أي الطموح الأخروي) اعتقاد روحي متأصل في النفوس

لا يمكن لأية قوة مادية أن تستأصله، وهذا هو حجر الزاوية، والرابطة العضوية بين الإسلام والثورة أو بين الإسلام والتغيير، والإصلاح والتقدم.

غير أن بعضهم قد يستنتج أن البعد الروحي له دوره الإيجابي والضروري في الحروب والثورات التحريرية فقط... وينتهي هذا الدور عند الاحراز على الاستقلال السياسي؟

والحقيقة أن الدين بمبادئه واحد وثابت وأما الذي يتغير فهم الأشخاص الذين تختلف كيفية فهمهم للدين واجتهادهم فيه من حالة الحرب الى حالة السلم ومن الثورة التحريرية الى الثورة الاقتصادية والثقافية، حيث تتغير الأوضاع، وتتنوع الظواهر الاجتماعية وتتباين حول أمور كثيرة، ومنها دور الدين وجدواه في مواصلة المسيرة التحريرية وكل مفهوم له منطق ومنطلق ومبررات، لأن الأمر في ذلك لا يتعلق بالمادة الجامدة القابلة للقياس والاختبار... وإنما هو داخل في عالم الروح والماورائيات التي لا تخضع للتجربة الحسية والتحاليل المعملية، وإنما تدرك بالاستدلال المنطقي والتأمل الأصيل والطويل، والمصالح والمذاهب أنواع، والعقول دائما درجات، ودركات، مثل درجات الجنة، ودركات الجحيم!

الفصل الثاني

اختلاف وجهات نظر الأجيال حول «الجهاد» في الإستقلال

تمهيد

نخصص هذا الفصل لشريحة من واقع حياتنا الثقافية والفكرية في ما بعد الجهاد الأصغر، حيث تباعد الزمن واختلفت المفاهيم، وتلونت بألوان الشارب، وتباينت حول أشياء كانت في يوم من الأيام بديهية أسطع من الشمس، ولكن مع الغيوم وتقلب الأحوال الجوية أصبح المستحيل ممكنا، وصارت الشمس محاطة بظلمات كثيفة من التشكيك. وغاب الشاهد الحق، وحضر الغائب ليشهد بما لم يرا

والمثال التالي يبين لنا كيف تقلص مفهوم الجهاد الذي حرر البلاد والعباد الى مجرد (حرب مقدسة) ضد الكفار، وبالتالي أصبح تقليلا (في نظر أصحاب هذا المفهوم) من عظمة ثورة نوفمبر، التي كانت ثورة تحريرية عارمة تجاوزت أبعادها حدود القارات والمحيطات، واستفاد منها مئات الملايين من أبناء البشر المضطهدين. وكأن الجهاد الحقيقي الذي وقع - فعلا - ليس بإمكانه أن تكون له كل هذه النتائج الهائلة، ولابد من استعارة مفهوم (الصراع الطبقي مثلا) لتفسير الانتصار الأعظم الذي حققته الثورة الجزائرية بالجهاد والجهاد

وحده. والمقال التالي يعتبر عينة لاختلاف المفاهيم حول الثورة في الاستقلال، وهو يمثل تعليقا نقديا عن محاضرة ألقاها المؤلف بمناسبة إحياء الذكرى 25 لاندلاع ثورة نوفمبر بعنوان «المادة والروح وثورة نوفمبر» وهي تدور في مجملها حول موضوع الفصل الأول من هذا الكتاب...

وإننا ننشر ترجمة التعليق كما ورد في صحيفة المجاهد اليومية الصادرة باللغة الفرنسية، ونعقب بالرد الذي كتبه المحاضر، ونشر في نفس الصحيفة، من باب حرية الفكر والتعبير وحقوق الردّ.

انتقاص خطير

ERDUCTION DANGEREUSE

إن تطور الإنسان والمادة، وفي كلمة واحدة كل التطور التاريخي يتحدد بقوة الفكر.

إنها تلك القوة التي استغلت التاريخ وترأست مستقبل الإنسان.

إن الفكرة (idée) تشبه قنبلة يحدث انفجارها - على الأمد البعيد - تفكك الأنظمة القائمة على استغلال الإنسان والقيم المشيدة على حساب الأشخاص.

إن هذا التلازم بين الروح والمادة من جهة، والآثار الناتجة عن تأثير العقل على المادة من جهة أخرى، يقاس بمفاهيم التطور والديمقراطية والحرية، وفي كلمة واحدة التطور الاجتماعي والاقتصادي.

كيف ينمو هذا السياق الاجتماعي والاقتصادي؟

انه ما حاول الدكتور أحمد بن نعمان أن يحدده في العلاقة التي توجد بين المادة والروح وثورة أول نوفمبر 1954. بعد أن ركز المحاضر على «الروح» كمادة أولية لاستدلاله. فقد شرح بعد ذلك مفهوم الوعي الفردي والجماعي الذي نتج عنه اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 ورد الاعتبار للشعب.

وهكذا، وانطلاقا من هذه الفكرة الأساسية، فان المحاضر شرح دور الدين في اندلاع الثورة مستندا الى المعطيات الدينية (العقيدة - الإيمان - الحاجة الى العدل والديمقراطية والمبادىء الإسلامية) وأكد الدكتور أحمد بن نعمان على الصيغة الدينية واعطى صفة «الجهاد»

لثورة أول نوفمبر 1954 وحسب رأيه فان الروح - مأخوذة في إطارها الديني - قد حثت الإنسان في تطلعاته وفي أعماله من أجل تغيير المعطيات المادية أو طريقة العيش التي فرضها الاستعمار. *وبعد أن أبعد فكرة تصارع الطبقات كعنصر ديناميكي*، فان المحاضر قد أكد على أن «هذه الحرب قد جمعت كل الطبقات الاجتماعية» مع اعترافه بأن «الحتمية الدينية غالبا ما انقصت من عنصر المطالبة، لصالح القبول بمصير ما، وتقبله كما هو، كأن يكون شيئا حتميا».

إن هذا الانتقاص من ثورة نوفمبر لتصبح مجرد «جهاد» يذكرنا بأفكار تنطوي على مغالطة تاريخية - كيف يمكن تبرير اندلاع الثورة دون ذكر الدور الذي لعبه المنشطون السياسيون الطلائعيون في توعية الجماهير؟

لماذا يركز المحاضر في استدلالاته علي الإيمان كعنصر وحيد للتحرير؟ لاشك - وقد أثبت التاريخ ذلك - أن الدين عنصر توتر في حالة المجابهة بين عقيدتين، وهو كذلك عنصر تضامن من الناحية العقائدية، ولكن لم يكن أبدا أساس الثورة.

إن الدين يمكن أن يكون - إذا نظرنا إليه من زاوية معينة - أحد عناصر الثورة لدى الشعوب، حتى في إيران وهي آخر أحداث العالم التي يظهر فيها العنصر الديني جليا، فان الدين لم يكن سوى عامل تضامن مؤقت صهر الجماهير المستغلة لمكافحة القوة المستغلة، فالوسيلة إذن هي أحد الأسباب وليست غاية.

ولهذا فان إعطاء ثورة نوفمبر 1954 مقاييس *«الجهاد» نعتبره أمرا خاطئا وخطيرا*. انه إنكار دور المستعمر في مجالات أخرى غير المجال الديني انه بتر للمكونات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحركة التاريخية، التي لعب فيها الإسلام دورا توحيديا لاشك فيه، ولكنها كانت قبل كل شيء تعبيرا عن إرادة الحرية ورفض كل أشكال الظلم.

تعريبا عن مقال جريدة المجاهد (الفرنسية)
في عددها الصادر يوم 1979/10/25م

الـــــــرد

أين الإنتقاص الخطير من ثورة نوفمبر!؟

لقد طالعت باهتمام كبير ما نشرته صحيفة «المجاهد» في عددها الصادر يوم الخميس 1979/10/25 عن المحاضرة التي ألقيتها في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة يوم الاثنين 1979/10/22.

وإني أشكر الصحيفة على اهتمامها بارسال مبعوث «لتغطية» هذه المحاضرة التي تهم كل المثقفين بقطع النظر عن اللغة التي يعبرون بها عن أفكارهم... كما أشكرها على هذه البادرة البناءة التي تهدف الى كسر الحواجز اللغوية الاستعمارية التي وضعت بين أبناء الوطن الواحد... على أنني إذ أشكر «المجاهد» على هذا الواجب، أرجو أن يفتح صفحته الثقافية بالقدر الذي تمكن القارىء من الاطلاع على كل جوانب موضوع المحاضرة أو المناقشة أو معظمها (على الأقل) حتى يكون الحكم على الكل وليس على الجزء، والا حصل (الانتقاص الخطير) الذي يهدم الثقافة أو ربما الحقيقة، وبالتالي يزيد من تلك الحواجز ولا يزيلها... وليسمح لي «المجاهد» أن أتقدم ببعض التوضيحات لازالة اللبس الذي وقع حول بعض ما قصدت في محاضرتي، وذلك اظهارا للحقيقة التي ننشدها جميعا.

كان عنوان المحاضرة كما هو معلوم: «المادة والروح وثورة نوفمبر» والتزاما بالمنهج العلمي، كانت المحاضرة ترتكز على موضوعات رئيسية يمكن تلخيص أهمها في النقاط التالية:-

1 - سبب اتفاق العلوم الدقيقة حول الطبيعة، واختلاف العلوم الإنسانية حول الإنسان.

2 - سبب نشوء الفلسفات، واختلافها في نظرتها الى الكون وتفسيرها لظواهره المختلفة.

3 - عرض المذهب المادي عرضا فلسفيا، مع التركيز على نظرته للوجود وتفسيره لعالم الروح والميتافيزيقا، وبالتالي نظرته للأديان كظاهرة اجتماعية ليس لها أصول عُلْوِية إلَهية...

4 - تبيان الأسباب التي جعلت الماديين يحكمون على الدين بأنه «أفيون الشعوب».

5 - عرض المذهب الروحي، وتبيان أن نظرته للوجود وتفسيره للظواهر الكونية تختلف اختلافا عكسيا، عن المذهب المادي، وذكرت المثل القائل أن ماركس قلب فلسفة هيجل رأسا على عقب.

6 - عرض المفهوم الفلسفي الإسلامي للمادة والروح واتخاذه موقفا وسطا بين المذهب المادي والمذهب الروحي، حيث أنه يعطي قيمة للمادة، كما أعطاها لها الماديون، ويزيد عنهم بالإيمان بحقائق العالم الروحي والميتافيزيقي التي يثبتها الروحيون وينفيها الماديون.

7 - التأكيد على أن الفلسفة الإسلامية تنظر الى الكائن الإنساني كأبرز مثال يظهر فيه التقاء المادة بالروح، حيث ترى أنه مكون من جسد أصله من التراب والمواد العضوية، وروح تعود الى عالم الروح، دون أن تنفي وجود التأثير المتبادل بين هذا الجانب على ذاك...

8 - الدين همزة وصل بين عالم الروح وعالم المادة، وهي ظاهرة مختصة بالإنسان دون الكائنات الأخرى، والدين متصل من حيث أن جوهره روحي بروح الإنسان ومتصل من حيث أنه معاملة

وتكاليف بحياة الإنسان، الاجتماعية والاقتصادية، وقد استخلصت من خلال العرض المذكور لتلك المذاهب، بكل موضوعية، ودون إطلاق أحكام القيمة على هذا المذهب أو ذاك..

استخلصت مجموعة من النتائج يمكن ذكر أهمها في الآتي:

1 - إن لكل مذهب من المذاهب الفلسفية منطلقات، وحججا معتبرة لا يمكن دحضها بسهولة، ومن ثمة تكون المسألة في الإيمان بالحقائق الميتافيزيقية مسألة استدلال واقتناع، أكثر مما هي مسألة إقناع، والعقول درجات وأنواع...

2 - ان إصدار الأحكام المطلقة على بعض الحقائق المتعلقة بعالم الإنسان واعتبارها قاطعة مثل الحقائق المتفق عليها في عالم الطبيعة، هو خطأ كبير، لأن الإنسان بما أوتى من فكر حر وقدرة مطلقة على الرفض والقبول والفعل ورد الفعل، والاعتقاد والشعور... لا يمكن أن نقيس أبعاده اللامتناهية بالأمتار والكيلوغرامات مثل الأحجار والأشجار.

3 - ان ما ينطبق على هذا لإنسان أو ذاك المجتمع من أحكام لا ينطبق - حتما - بنفس الكيفية على هذا الإنسان أو ذاك المجتمع، لأن كل مجتمع، بل كل كائن إنساني قد يمثل عالما بذاته كما يقول بعض الفلاسفة!

4 - ان الاستدلال على صحة الحقائق التي يثبتها البعض أو ينفيها البعض الآخر يجب أن يحتكم فيها الى الواقع الملموس وليس الى الجدل الميتافيزيقي الذي قد لا تتحقق غلبة فريق فيه على فريق... وقد اتخذت من ثورة نوفمبر واقعا ملموسا لاختبر فيه صحة النتائج التي توصلت إليها، وصحة النظريات الفلسفية المادية والروحية التي عرضتها... وقد توصلت الى الحقائق التالية:

1 - ان الحكم المطلق على الأديان بأنها أفيون للشعوب، حكم خاطىء، وإن انطبق على بعض الأديان في بعض الزمان والمكان، فهو لا ينطبق على كل الأديان في كل زمان ومكان.

2 - ان الثورة الجزائرية انطلقت أصيلة مبنية على أسس وطنية ودينية متكاملة كتكامل (حب الوطن من الإيمان) أي مادية وروحية معا.

3 - ان الدين الإسلامي بمبادئه الثورية كان عاملا أساسيا وهاما في تحقيق الانتصار الأعظم، ولم يكن قط أفيونا للشعب الجزائري وأثبت ذلك بالأمثلة الحية.

4 - إذا نجحت ثورات كبرى في العالم بالصراع الطبقي، وعقائد وضعية، فان الثورة الجزائرية نجحت بعقيدة (الجهاد) وهي عقيدة ذات أصل إلهي أي روحي...

5 - دحض فكرة القضاء والقدر الخاطئة لدى بعض المسلمين الجهلة، واستغلال الاستعمار لهذه الفكرة لإقناع المسلمين بالأمر الواقع، وأيهامهم بأن الاحتلال قضاء وقدر وابتلاء من الله يجب التغلب عليه بالصبر الجميل.

6 - إثبات الفهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر لدى المجاهدين الواعين في ثورة نوفمبر والتي تنطلق من المبدأ القرآني القائل: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

7 - إثبات قوة الاعتقاد بالعالم العلوي (الروحي)، ودورها في التأثير كطاقة إيمانية جبارة في الحياة المادية للأفراد خلال الثورة، مع اعترافي بتأثير العوامل المادية في حياة الإنسان، ولكن في سياق آخر غير ثورة نوفمبر، كاعترافي باحتمال وجود الصراع الطبقي في الجزائر بعد الاستقلال، لو لم يكن ساستنا حازمين في تحقيق العدالة الاجتماعية.

8 - البرهنة على قوة الإيمان بالعالم الروحي لدى المجاهدين، وكيف عوضت النقص المادي في السلاح، وتغلبت على أقوى الأسلحة المادية التي لم يكن وراءها عقيدة دافعة، دون أن أنكر أن هذه القوة الدافعة قد يكون مصدرها إيمانا بمبدأ روحي مثل الجهاد عندنا، كما قد يكون مصدرها إيمانا بمبدأ وضعي وقيم إنسانية آمن بها أصحابها فضحوا من أجل تحقيقها...

وبعد هذا العرض الموجز لوضوع المحاضرة وأهم نتائجها أدعو القارىء أن يتبين معي الأسباب التي أدت الى «الانتقاص الخطير» كما قرأنا في التعليق على المحاضرة في «المجاهد».

أولا: نفي عامل الصراع الطبقي في ثورة نوفمبر:

عندما اسقطت الصراع الطبقي من حسابي في المحاضرة لا يعني أنني لا أقر بوجوده كواقع تعيشه العديد من المجتمعات في العالم، كما لم أنفه كعامل أساسي لنجاح بعض الثورات الكبرى في العالم، وذكرت ثورة كوبا، وانجولا ونيكاراجوا... ولكنني قلت بأن الصراع الطبقي ليس (Passe-partout) بحيث يمكن أن نفسر به نجاح كل الثورات في العالم، وأثبت أن الثورة الجزائرية نجحت بعقيدة الجهاد، وهي لا تتكامل مع نظرية الصراع الطبقي للأسباب التالية:

أ - أن الجهاد في الإسلام مفروض على الفقراء والأغنياء على حد سواء.

ب - ان مبادىء الإسلام لا تفرق بين الناس في التكليف بالواجبات الدنيوية والأخروية.

جـ - لم يكن بإمكان أحد في الثورة أن يقفل باب الجهاد والاستشهاد أمام المؤمنين الأغنياء، ولا يفتحها إلا أمام الفقراء المعدمين.

د - كان بإمكان الأغنياء الجزائريين - لو أرادوا - أن يتحالفوا مع الأغنياء المستعمرين ضد المستضعفين المقهورين من الجزائريين والفرنسيين في الجزائر وفرنسا!.

هـ - الواقع يثبت أن المجاهدين كانوا من الأغنياء والفقراء. ومن الأميين والعلماء، والخونة - أيضا - كانوا من الفقراء والأغنياء ومن المتعلمين والجهلة.

و - ان عقيدة الجهاد المتأصلة في نفوس المجاهدين ذويت بفضل الوعي الثوري كل الطبقات (ان كانت هناك طبقات) وأصبحت لا تفرق إلا بين المجاهد والخائن وليس بين العامل ورب العمل، لأن عقيدة الجهاد ارتفعت بالمجاهدين فوق مستوى المصالح والتضحية بالأشياء المادية الى التضحية بالروح الغالية في سبيل الوطن والدين والحق والحرية.

ثانيا: القضاء والقدر وقبول الأمر الواقع:

لقد تجاهل المقال تعرضي بإسهاب لهذا الموضوع ومناقشته، واظهار جوانبه الإيجابية والسلبية، وأحيل القارىء الى صحيفة الشعب التي أظهرت هذا الجانب من المحاضرة وكان على صاحب المقال أن يستدل بكلامي بين قوسين كما فعلت الشعب، ثم يعلق كما يشاء إن أراد التعليق، غير أننا مع الأسف رأيناه يطلق الأحكام غيابيا دون شهود، فكان كمن يحاكم شخصا على قول لم يقله، أو كمن يقفل بابا كان مفتوحا، ثم يفتحه ويدعي أنه الفاتح الأول...

ثالثا: هل الدين كان أساسا وحيدا لثورة نوفمبر؟

لم أقل قط في المحاضرة أن الدين الإسلامي كان أساسا وحيدا لثورة نوفمبر، ولا يمكن أن أقول ذلك، لأن مجتمعنا لم يعتنق الإسلام سنة 1954 ولقد قلت بالحرف الواحد وكلامي منشور ومسجل بصوتي «إن ثورة نوفمبر لم تقم إلا على أسس وطنية ودينية متكاملة كتكامل حب الوطن من الإيمان» فلقد ذكرت الوطن أولا ويمثل الجانب المادي والسياسي، والدين ثانيا ويمثل الجانب العقائدي والروحي.

رابعا: كيف تفسر عمليات التوعية السياسية لتعبئة الجماهير الشعبية للثورة؟؟

صحيح أنني لم أتعرض الى الإجابة عن هذا السؤال في المحاضرة مباشرة لأنه لم يكن يهمني في السياق العام للمحاضرة، ولكن الجواب متضمن في قولي يتكامل المبادىء الوطنية والدينية، فقد كان قادة الثورة سياسيين وعسكريين، أكثر مما هم علماء دين، مع العلم أنهم متدينون ولا يوجد واحد من مفجري الثورة يقرّ بأنه شيوعي أي *ماديّ المذهب*... ونظرا لأنهم كانوا كذلك (ومعظمهم مازال حيا يرزق) فقد كانوا يستعينون دوما بالمجاهدين من علماء الدين للقيام بالتوعية السياسية والدينية للجهاد ضد المحتل، وكان التكامل واضحا بين رجال السياسة وعلماء الدين، وهذا ما جعل الثورة تحقق الانتصارات العسكرية في الداخل بفضل (الجهاد) وتحقق الانتصارات السياسية في الخارج بفضل السياسة. وبهذا أرجو أن أكون قد أجبت على السؤال الموجه الي في المقال.

خامسا: القول بتركيزي على قوة الأفكار، واغفالي للجانب الاقتصادي والمادي...

والحقيقة أنني قلت في نص المحاضرة: «أي مشروع ثوري لابد له من فكرة موجهة ومبدأ مؤمن به، ووسيلة مادية لتحقيقه وتجسيده في الواقع» ولم أنكر قط دور الوسائل المادية لأن المفهوم الإسلامي يرى أن للنفس حقا على البدن، كما أن للبدن حقا على النفس. وكما لا نغذي الروح بالطعام والخبز، لا نغذي الجسد بالصيام والصلاة أيضا... ولم أقل ان الفكرة هي التي حاربت، وإنما قلت أن الطاقة الروحية كانت وراء بندقية الصيد القديمة، التي حطمت الدبابات، والطائرات، وغنمت الأسلحة الجهنمية من أيدي العدو المسلح بالمادة وحدها»!!

سادسا: القول بتقليلي الخطير من قيمة الثورة بجعلها مجرد «حرب مقدسة:

لقد قلت فعلا ان ثورتنا المسلحة نجحت بفضل عقيدة الجهاد، (كفكرة موجهة) وهذا عشته وأومن به، واعتقد أن القول بأن الثورة نجحت بالجهاد لا ينقص من قيمتها، ولا يحد من أبعادها السياسية العالمية لدى أي تقدمي حقيقي...

غير أن سبب اللبس الواقع، يرجع الى سوء فهم معنى الجهاد في الإسلام، وقصره على محاربة الكفار. حيث ترجمه الصحفي بـ «الحرب المقدسة» وأعذر الصحفي في اجتهاده لترجمة «الجهاد» ولا أملك إلا أن أنصحه (حتى لا يتكرر هذا الانتقاص الخطير من ثورة نوفمبر ومن المحاضرة أيضا) أن يفهم معاني الكلمات في لغاتها الأصلية، وسياقها الصحيح... فالجهاد في المفهوم الإسلامي الذي نقصده في المحاضرة لا يعني قتل الكافر فقط، وإنما هو محاربة الظلم حيثما كان، والموت في سبيل الوطن والعرض والمال والدين، والدفاع عن الحق والخير والحرية والاستقلال والمستضعفين... كله جهاد في سبيل الله، وإن كان مردود هذا الجهاد في صالح البشر أولا وأخيرا، بشرط أن ينوي المسلم ذلك الجهاد لوجه الله.

وإلا كيف نبرر استباحة الإسلام قتل الخونة من الجزائريين، مع أنهم غير فرنسيين أي غير مسيحيين؟؟ فالجواب هو أن الجهاد ضد الظلم وليس ضد الدين (كما فهم الصحفي من كلمة الجهاد)، ونفس المثال ينطبق على ثورة الشعب الفلسطيني والثورات الأخرى المماثلة فان قتلاها (ان كانوا مؤمنين) يعتبرون شهداء لأنهم يحاربون الظلم وينصرون الحق والحرية... وهل من الضروري أن تصطنع الصراع الطبقي في الثورة الفلسطينية أو الجزائرية لكي نكون تقدميين ولا نكون خطرين على الأقل؟؟

والآن أود أن أوجه بعض الأسئلة بدوري الى صحفي المجاهد:

1 - لقد تحدثت في المحاضرة عن الجهاد الأكبر في مجال البناء والتشييد وتحقيق الثورة الثقافية، والصناعية، والزراعية... فهل تترجم كلامي بالحرب المقدسة الثقافية والصناعية والزراعية؟؟

2 - من أين أتى اسم الصحيفة التي يكتب فيها، فهل هي تسمية أصيلة أم مستوردة؟؟

3 - لماذا كان اسم جندي جيش التحرير الوطني (المجاهد) وليس الرفيق أو الثائر أو المحارب؟؟

4 - هل يجد لنا مرادفا لكلمة «مجاهد وجهاد» في أية لغة من لغات العالم غير اللغة العربية وفي أي سياق غير السياق الإسلامي الأصيل؟؟

5 - هل يجد لنا دولة في العالم عندها وزارة المجاهدين مثل الجزائر، وهل يترجم وزارة المجاهدين بوزارة (الذين شاركوا في الحرب المقدسة؟؟).

6 - وهل بإمكانه أن يقول لقادة الثورة الأحياء، انكم انقصتم من قيمة ثورتكم عندما أطلقتم على المحارب فيها اسم مجاهد وليس رفيقا، واطلقتم على عقيدتها اسم الجهاد وليس الصراع الطبقي أو الصراع الفكري!!؟؟

أحمد بن نعمان

أصل الرد الذي نشر مترجما الى الفرنسية

في نفس الجريدة بتاريخ 1979/11/20م

الفـصـل الثـالـث

نقاط على بعض حروف التاريخ

لقد عشت مثلما عاش ملايين المواطنين، وسعدت مثلهم بعودة الوعي الذي تمثل في تنظيم الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة وما تبعه من ندوات ومحاضرات لقادة الثورة الذين لم يبخلوا بالادلاء بشهاداتهم الناصعة والصافعة أحيانا، والمرة كالحقيقة في فم من لم يتعود طعمها.

وكم كانت دهشة الجميع عظيمة بتلك الصراحة المعهودة لدى المجاهدين وتلك الشجاعة، وأخيرا تلك الذاكرة العجيبة التي يتمتع بها هؤلاء الشهود مما يبعث على الارتياح والتفاؤل بقراءة تاريخ صحيح وفصيح يكون في مستوى عظمة تلك الثورة، وأولئك الرجال الذين فجروا الثورة، فصنعت بهم الثورة تاريخا مجيدا للبلاد.

وأولى تلك الصفحات المؤلمة، والاجوبة المفحمة (المسجلة في ذلك اللقاد). للذين يجهلون، أو يتجاهلون ثمن الاستقلال، وتصلب الجنرال في موقفه الى آخر رصاصة في جعبته بعد أن جرب كل العمليات الجهنمية المادية منها والنفسية، لتفتيت الصفوف والنيل من العزيمة الثورية، والوحدة الوطنية، فتحطمت كل مخططاته على صخرة الجهاد الصلبة التي لا تلين لباطل، ولا تحول دون هدفها أية قوة بشرية، لأنها قوة باركها الله وتعهد بنصرتها مصداقا لقوله تعالى:

«وكان حقا علينا نصر المؤمنين»، «ان ينصركم الله فلا غالب لكم» وما أصدق المجاهدين في إيمانهم، فكان وعد الله حقا. تلك حقيقة أولى (خاصة بكرم الجنرال ديغول) في نظر بعض (الكرماء).

وثاني الحقائق الساطعة والصادقة التي أسفر عنها الملتقى هي أن الاستقلال لم يكن نتيجة الصراع الطبقي، وإنما كان نتيجة إيمان بالحق والوطن، واقتناع بمبدأ الجهاد (الذي لا يفرق بين صغير وكبير أو غني وفقير) وتوقان الى الكرامة والشرف اللذين لا يعوضان أبدا بالترف أو العلف!!

وثالث الحقائق: هي أن الزعيم الأول للثورة كان وسيظل هو الشعب الجزائري من أقصاه الى أقصاه، ولا يعود الفضل لشخص بعينه مهما كان دوره في الثورة (اللهم إلا من حيث أنه فرد من هذا الشعب وجزء من هذا الكيان).

ورابع الحقائق المتصلة بالحقيقة الثالثة:

هي أن الجيل الذي خطط للثورة وفجرها لم يبقها حكرا عليه بحكم ظروف اختيارية أو اضطرارية، بل ترك الباب مفتوحا لكل الكفاءات المخلصة من أبناء الوطن، بحيث ان الذي فجر الثورة ليست هي الجماعة نفسها التي فاوضت على الاستقلال، بل تعاقب على الثورة رجال وأجيال...

فكانت سياسة (عمل الفريق) هي السائدة طوال أيام الثورة، حيث كان الثوار في عمومهم عبارة عن فريق محترف لكرة القدم، هذا يمرر لذاك، وهذا يتخلى عن موقفه - عند اقتضاء المصلحة العامة - لذاك، دون أية حساسية أو أنانية لأن الثقة متبادلة، وغاية الجميع هي كأس النصر دون الاكترات بمن يحقق الهدف، ذلك أن الهدف ليس فرديا، وإنما هو هدف يمثل غاية الجميع، بقطع النظر عن الأدوار التي يقوم بها كل فرد في عملية الاحراز على الكأس!

ومما يجدر ذكره وتوضيحه زيادة على هذه الحقائق الثابتة والصارخة... هو ظهور موقفين متعارضين لدى بعض الملتقين...

أصحاب الموقف الأول وهم الأكثرية: يصرحون بأن الانضمام الى صفوف الجهاد كان بدافع الرغبة لديهم في الاستشهاد من أجل تحرير الوطن والالتحاق بعالم الوعود والخلود...

وأصحاب الموقف الثاني: يؤكدون بأنهم لم يلتحقوا بالثورة - قط - من أجل الجنة، وإنما التحقوا بدافع الوطنية وحدها، وبوازع من الإيمان بضرورة التحرر، والاستقلال، وطرد المحتلين من الأرض لا غير، وأنهم سعداء - جدا - بعدم استشهادهم في الثورة كي ينعموا بالاستقلال والحرية...

وأمام هذين الموقفين أو الرأيين (اللذين يبدوان غير متفقين في الظاهر!) لا نملك إلا أن نقف قليلا لنستوضح ونوضح الحقيقة الخامسة للأجيال القادمة:

فللفريق الأول نقول أين الوطنية؟ أليس حب الوطن من الإيمان؟ فإذا قالوا بأنهم يعرفون ذلك جيدا نقول إذن: ينبغي أن تكون الجنة (التي تنال بالاستشهاد)، بديلا لحياة الذل والعبودية، والظلم الاستعماري المفروض والمرفوض، ولا تكون الجنة غاية وحيدة في ذاتها نستعجلها على حساب أي شيء آخر (فالانتحار محرم شرعا، والأعمار بيد الله) إذ المؤمن يستطيع أن يدخل الجنة بطرق أخرى غير الاستشهاد في المعارك أو تحت التعذيب الجهنمي...

والدليل على ذلك أن أصحاب هذا الفريق ما زالوا أحياء يرزقون (مع التمني لهم بالعمر المديد) فهل معنى ذلك أن هدفهم من الجهاد لم يتحقق؟ فهل خسروا الرهان بعد عمرهم الذي أمتد لرؤية العلم الوطني يرفرف على المؤسسات الرسمية؟ واندثار الأنذال،

وتحقيق الاستقلال، واسترجاع «أوراق» الجنسية في انتظار استكمال باقي مقومات السيادة والشخصية الوطنية؟!

في الحقيقة ان هذا الفريق قد حقق (كما هو مفروض) هدفا مضاعفا، أو هدفين اثنين من الجهاد الأصغر حيث نعموا بالهدف العاجل المتمثل في تحقيق الاستقلال، وسينعمون - إن شاء الله - بالهدف الأجل في جنة رضوان لأنها هي خير وأبقى إن ظلوا أوفياء بعهدهم وجهادهم لمواصلة المعركة الى أن يتوفاهم الله غير مبدّلين ولا مغيرين.

ولذلك وردت الآية صريحة في حق هذا الفريق حيث تقول: **«فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».**

وهنا تظهر شمولية الإسلام، وعبقرية التنزيل التي يجب أن تفهم في سياقها الصحيح وإطارها الكامل، حيث جعل الله عز وجل الآخرة والدنيا تخدم كلاهما الأخرى، ولا تقام الواحدة على حساب الأخرى.

فلولا الدنيا ما استشهد شهيد، ولولا الآخرة ما تحرر عبيد!

تطلب الموت فتأتيك الحياة، وتجاهد من أجل الجنة فتنال الاستقلال والحرية رغما عنك! تحقق الاستقلال للآخرين بجهادك، فتكتب لك الجنة، إن عاجلا أو آجلا، وتنال الحسنيين بدلا من حسنى واحدة ان بقيت على عهدك ونيتك. أليس الجهاد هو أفضل تجارة رابحة على الاطلاق؟! بحيث أن صاحبه يفيد ويستفيد دائما، إذا تمسك بجعل دنياه في خدمة أخراه، وأخراه في خدمة دنياه، وهذا على الأصح هو المعنى الذي يجب أن يفهم بالنسبة للجهاد والاستشهاد في الإسلام. فهل يستطيع أي كان أن ينكر على الفريق الأول إخلاصه وبلاءه في الجهاد، من أجل تحقيق هذا الاستقلال الذي ينعم به كل المجاهدين وغير المجاهدين!؟

وأما بالنسبة لأصحاب الرأي أو الموقف الثاني فنقول: إن لكل ثائر أو مجاهد الحق في أن يصرح بما كان ينويه، لأن الأعمال بالنيات، وكل فريق صادق في شهادته عن ذاته. إلا أن الذي يهم في هذه الحالة هو رأي الأغلبية من المجاهدين الشهداء والأحياء. وهنا يحق لنا أن نسأل - للتاريخ - عن الذي كان يحدو الأغلبية الساحقة من أبطال الجهاد هل كان الدافع الجهادي والاستشهادي بالمعنى الذي فهمه الفريق الأول أم كانوا يحاربون فقط من أجل الاستقلال دون أية نية في الاستشهاد والفوز بالجنة كبديل محقق للمخلصين في نيتهم الجهادية لوجه الله والوطن!؟

فإذا كان الجواب بنعم فمن أين أتت كلمة (جهاد، والاستشهاد، والمجاهد؟) فهل وجد هذا المصطلح في ثورة أخرى غير ثورة الجزائر في التاريخ المعاصر؟

فلماذا لم يختر قادة الثورة اسما (تقدميا) آخر للثوار؟ غير هذا النعت الديني الصرف المقدس (حتى أننا لاحظنا طوال أيام الثورة أن العديد من المواطنين كانوا يقسمون (بحق الجهاد) بدلا من (حق العباد) من (الأولياء والصالحين...).

وإذا أجاب أحدهم بأن بعض قادة الثورة قد اتخذوا من الإسلام وسيلة، والجهاد منهجا وطريقة لتحميس وتعبئة الجماهير (الأمية المؤمنة) فقط، دون أن يكونوا هم مؤمنين بما يقولون... فنقول: هل كان قادة الثورة - إذن - مخادعين يقولون مالا يفعلون أو ما لا يؤمنون به؟ وهذا ما ننزه عنه كل القادة الشهداء - على الأقل - لأنهم كانوا (بشهادة الأحياء عنهم) على درجة عالية من الإيمان بالله، والتقوى والتدين، وبالتالي لم يكونوا يكذبون، ولا ينافقون، ولا يخادعون، وإذا وجد بعض الثوار من الذين لم يلتحقوا بالجبال بنية الذهاب الى الجنة (كما يصرحون اليوم!) فان ذلك من حقهم وهو ليس

غريبا ولا مستبعدا وقوعه في كل عصر ومصر! ولكن الغريب والعجيب أن نعتقد أن هذه النسبة القليلة جدا من الثوار هي التي حققت الاستقلال (أو بعبارة أخرى أن هذه الفئة كانت لابد أن توجد كي ننعم اليوم بالاستقلال) وليس الملايين من المؤمنين الصادقين الذين لم يكونوا يعرفون غير (الله أكبر) في المعارك سلاحا (والجنة للشهداء جزاء) هم الذين كانوا وقودا للثورة وطعما للرصاص طوال سبع سنوات ونصف.

ونعود الى التذكير بضرورة معرفة معنى الجهاد في الإسلام والذي لم يدرك بكل أبعاده لدى بعض هؤلاء المجاهدين مع الأسف!

ولتوضيح ذلك نريد أن نسأل هنا - جدلا - أحد أصحاب هذا الفريق (من الذين لم ينووا الذهاب الى الجنة عند الالتحاق بصفوف المجاهدين) هل كان يضع الموت في حسبانه عندما التحق بالجبل أم لا ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فهل كان مؤمنا بالبعث الأخروي أم لا ؟ وإذا كان مؤمنا بالاخرى حقا، فهل كان سيرفض الذهاب الى الجنة لو قدر له أن سقط في الميدان؟ أم سيقول إنه عندما ذهب الى الجبل لم يكن يرغب في الجنة، ولكن إذا فرضت عليه في الأخرة فلا يرفضها!.

وهنا بصرف النظر عن درجة النيات ونوعيتها لدى الفريقين، فاننا نجدهما يلتقيان بالضرورة في نقطة واحدة أو هدف واحد - على الأقل - وهو الاستقلال، والله أعلم - دائما - بمن يختار الى جواره وكيف ومتى يتم هذا الاختيار (!؟)

أما إذا كان الجواب بالنفي أي أن هذا الفريق لم يكن يؤمن بالآخرة (لا خيرها ولا شرها) فكيف ينتظر منه الخير الكثير للوطن ولغيره مادام يحب الحياة ولا يؤمن بسواها بديلا، وتكون الأسباب التي دفعته الى الموت (إذا افترضنا أن بعضهم كان صادقا في

تضحيته بعمره) - حنيئذ - لا تعدو أن تكون شبيهة بدوافع المنتحرين والمغامرين في عرف المؤمنين...

نقول ذلك لأننا نعلم أن شعار الحزب الشيوعي هنا في الجزائر وفي فرنسا أيضا، قبل الثورة وبعدها، كان يتمثل في شيئين اثنين هما: (الخبز والأرض) وإذا حدثنا التاريخ عن أقوام ماتوا من أجل الكرامة والشرف، فلم يحدثنا عن أقوام ماتوا بسبب الجوع مهما كان نوعه، لأن الإنسان يستطيع أن يحيا بالحشيش ولا يموت، وقد فعلها ألوف المجاهدين في حرب التحرير حين جاعوا فأكلوا الحشيش (أثناء عملية المنظار الشهيرة) (*) ولم يستسلموا الى الخبز في ثكنات العدو، لان الشرف عند المجاهدين فوق العلف، بل فوق الحياة الدنيا ذاتها!

وبعد هذا وذاك فان التاريخ القريب يشهد لنا أن الذي حقق الاستقلال للجزائر هو جهاد وصمود الأبطال أمثال محمد العربي بن مهيدي الذي استشهد تحت التعذيب دون أن يبوح للعدو بكلمة سر واحدة، بشهادة جلاديه أنفسهم! فالذي حرر الجزائر - في نظرنا - ومتعنا بالاستقلال هم المجاهدون المؤمنون بالجنة والحياة الكريمة معا!

إنهم أمثال ذلك الشهيد الذي كان يحتضر تحت الاستنطاق والتعذيب الشنيع ولما أبى البوح بأي سر عن الثورة، تعجب منه الضابط الفرنسي المستنطق وسأل في استغراب عن سرّ ذلك التحمل العجيب...! فأجابه أحد الحاضرين من أبناء جلدتنا (أمام شهود مازالوا أحياء يرزقون) بان هذا النوع من «الخارجين

(*) لقد روى أحد ضباط جيش التحرير الوطني، في الندوة التلفزيونية التي نظمت على هامش الملتقى الوطني لكتابة تاريخ الثورة وهو الرائد حميمي (من الولاية الثالثة...) أن أحد المجاهدين بقي خلال هذه الأثناء (أي عملية المنظار) أسبوعين لم يذق خلالهما طعاما، وعندما التقى برفاقه واعطوا له قطعة من الكسرة أمسكها بكلتا يديه وقال مخاطبا إياها: والله لقد ظننت انك قد استشهدت أيتها الكسرة!!

عـن القـانون» قـد عاهـدوا «الفـلاقـة» (وهي التسـمية الفرنسية للمـجـاهدين) وأقسـموا على القـرآن بأن لا يبـوحـوا بأي سـرّ كي يذهبوا الى الجنة!!

وهـذا الشـهـيـد ليـس إلا واحـدا من الآلاف الذين صنعـهم الإسـلام الواضح والإيمان الراسخ في مـدرسـة ابن مـهـيـدي الجـهـادية والوطنية النموذجية.

وإذ نكرر مرة أخرى مبدأ الأعـمال بالنيات وأن لكل امرىء ما نوى... لا نقبل أن يتـحـول الاستـثناء الى قـاعـدة، والقـاعـدة الى استـثناء، فذلك من أقدس مـهـمات البـاحـثين والحريصين على كـتـابة تاريخ ثورة الجهاد للأولاد والأحفاد... وهناك تصريح آخر لأحد قادة الثورة في شهر أفريل من هذه السنة (1982) أثناء محاضرة ألقاها في اتحاد الكتاب الجزائريين (*) (وقد كنت من بين الحاضرين):

حيث ورد على لسانه ما يفيد بإن الجمعيات الدينية (بما فـيـهـا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كانت أكبر عثرة واجهت الثورة عند اندلاعـهـا... والحقـيقـة أن هذا التـصريح يؤكد لنا مرة أخرى ما قلناه عن الدور الأساسي للدين في الثورة، لان الشعب الجزائري المؤمن لا يثق في أحد غير متدين، ولذلك بقيت الكلمة الأخيرة للدين ورجاله الموثوق في اخلاصـهم وجهـادهم، وهو أكبـر دليل على دور الدين في تعبئة الجماهير للثورة، والذين ظل الشعب ينتظر تزكيتهم وفتـواهم لمشروعية الجهاد، وهذا ما قد حصل بالفعل (**).

ولقـد تفطن الاستـعـمار الى هذه الخطورة التي يمثلها الدين في تحريك الجماهير للجهاد والاستشـهاد فأراد أن يلعب على هذا الوتر - بالفـعل - وبدأ يحـاول تشـويه سـمـعـة المجاهدين، والتـشـكيك في

(*) هذا المحاضـر هو عبـد الله بن طوبال المدعـو (لخضـر) وهو من قـادة الولاية الثانية، وقد التحق بالوفد الخارجي سنة 1957 حيث أصبح عضواً في الحكومة المؤقتة فيما بعد وبقي وزيراً بهاحتى الاستقلال.

(**) انظر: الملاحق.

أخلاقياتهم، ولكن من حسن حظ الثورة أنها كانت قد تمسكت - قولا وعملا - بحبل الدين القويم قبل أن يتفطن إليه العدو ويلعب به ورقته الدنيئة، وقد فشل في ذلك فشلا ذريعا كما هو ثابت، لأنه لم يجد ثغرة دينية أو أخلاقية تسيء الى سمعة الجهاد والمجاهدين في نظر المواطنين! فالشريعة السمحة (من أوامر ونواه) كانت مطبقة تلقائيا من طرف المجاهدين (حتى قبل التأكيد عليها في لوائح مؤتمر الصومام التاريخية) حيث نص النظام الداخلي لجيش التحرير الوطني، (في البند الخامس من الفصل الثاني) على «كل مجاهد مسؤول عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، سيرة المجاهد الحسنة المتصفة بالأخلاق الإسلامية ترفع من سمعة الجيش وترغب في حب الثورة».

وورد في الفصل الثالث الخاص بالجزاءات والعقوبات ما نصه: «كل تهاون أو تقاعس أو غلط أو عدم احترام آخ لأخيه، يعاقب مرتكب هذه المخالفات بانذار أو شغل شاق أو بحراسة. والعقوبات المسلطة على مرتكبي الغلطات الفادحة تصدرها المجالس العسكرية، وهذه العقوبات قد تصل الى الحكم بالاعدام» ونذكر من بين المخالفات الفادحة:

- إفشاء السر.
- ضياع السلاح.
- كل نشاط ضار بالوحدة الوطنية أو الطاعة العامة للجيش.
- رفض تنفيذ الأوامر.
- سيرة مخلة بقواعد الإسلام.
- الاختلاس والاحتيال...
- القتل ذبحا ممنوع منعا باتا.
- التمثيل بالجثة ممنوع منعا باتا.
- تنفيذ الاعدام يكون رميا بالرصاص.

فكان التحلي بالسلوك الإسلامي الرفيع من طرف المجاهدين هو الحصن المنيع الذي حمى الثورة ورجالها من أي قدح فيهم، أو أية ثغرة تمكن المستعمر من التسلل الى التشكيك في جهادهم وتنفير المواطنين منهم.

ولقد حاول قادة الاحتلال - إذن - أن يجدوا بعض الثغرات التي تسيء الي سمعة المجاهدين في نظر الشعب، ولكنهم لم يحصدوا إلا الفشل والخيبة الكاملة، لأن الكذب لا يثبت - أبدا - أمام الحق في الميدان، والميدان كان لصالح الحق وحده...

ومن الوقائع الطريفة التي رواها المحاضر المذكور في هذا المجال: (أي مجال استغلال القادة الفرنسيين للدين من أجل ضرب الثورة) أن أحد الضباط الفرنسيين قد استحلف إمام إحدى القرى بناحية ميلة (في الولاية الثانية) على المصحف الشريف بأن يخبر المركز الفرنسي إذا قدم (الفلاقة) الى القرية! وذلك إدراكا من الضابط المحنك بما للقرآن من قدسية لدى المواطنين، ولكن خفي عن هذا الفرنسي أن قدسية الجهاد الحق لم تكن أقل قدسية من القرآن وهو ما جعل الإمام (الذي كان منزله مقرا للمجاهدين بشهادة المحاضر!) يسرع الى منزله ليخبر المجاهدين بما وقع له مع الضابط (ودون أن يراهم!)، واعتذر لهم عن ذلك التصرف معهم حتى لا يضطر الى التبليغ عنهم بعد ذهابهم، لأنه لا يستطيع أن يحنث بعد أن أقسم على المصحف الشريف!

والذي نستخلصه من مثل هذه الحالة وغيرها هو أن الإسلام كان ومازال وسيظل المرجع الأساسي لهذا الشعب، وقصب الرهان في أي مشروع ولأية سياسة يرجى لها النجاح في هذا الوطن، والذي يخلص لمبادىء هذا الدّين هو الذي سيفوز حتما، وهذا ما جربته الثورة مع الشعب فنجحت بالصدق وليس بالكذب!

ونترك للباحثين مهمة تحديد الخائنين للوطن والثورة من الذين ربتهم جمعية العلماء في مدارسها الحرة، بالمقارنة مع من نشأوا وترعرعوا في المدرسة الفرنسية برعاية الأباء البيض والسود!!

دون أن يمنعنا ذلك من الاقرار بأن رجال جمعية العلماء لم يفجروا الثورة بحكم وضعهم كجمعية لها برنامجها، واستراتيجيتها الخاصة في توعية الناشئة لليوم الموعود:

«يا نشء أنت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها ... وخض الخطوب ولا تهب
... واقلع جذور الخائنين ... فمنهم كل العطب
وإذا هلكت فصيحتي ... تحيا الجزائر والعرب»

ونعود مرة أخرى لتأكيد دور جمعية العلماء بالذات، في تصفية عقيدة الجهاد مما علق بها من شوائب الخرافات والانحرافات لتجدها الثورة جاهزة للتطبيق الفعال، ونقول: إذا كان للثورة الفضل على رجال جمعية العلماء في الأول، فان هؤلاء الرجال كانوا عند حسن ظن الثورة فتبنوها عن صدق وانخرطوا في صفوفها أفرادا وجماعات، حيث ثبت أن نسبة عالية من رجال الجمعية كانوا وقودا للثورة على طول امتدادها ومادة في سجل الخالدين، وأئمة ومعلمين للغة القرآن في السجون والمعتقلات استعدادا لمعركة التعريب التي كانوا يحضرون لانطلاقها بعد الاستقلال...

وما من شك أن رجال الجمعية لم يحضروا للثورة (ماديا) بحكم تلك الاستراتيجية المستقبلية (التي لا نملك أهلية الحكم لها أو عليها) إلا أنهم لم يترددوا - قط - في أن يحتضنوا الثورة بكل قواهم، بعد اندلاعها. وهم وان فاتهم شرف المشاركة في تفجيرها فلم يفتهم شرف الانفجار من أجلها، وامدادها بأغلى ما يملكون، ولعل أحسن الأعمال خواتمها كما ورد في الحديث الشريف، ونتحدى هنا من يوجد لنا شخصا واحدا وقف صراحة الى جانب العدو بقلمه وسلاحه من رجال الجمعية أو من أبناء معهدها ومدارسها الحرة عَبْر كافة أرجاء الوطن!.

الفصل الرابع

الى شباب الإستقلال

إذا كانت أيام الشباب لدى الكائن الإنساني تمثل أقوى وأغلى أيام عمره المديد... إذ بها وفيها يتقرر مصيره، وعليها يتوقف - غالبا - نجاح أو فشل حياته المستقبلية... فإن الشبيبة من الأمة ليست إلا بمثابة فترة الشباب بالنسبة لحياة الفرد، فهي عصبها الحساس، وطاقتها المحركة والدافعة الى تحقيق الأهداف المأمولة بكل عزم وفعالية...

ولا يبالغ المرء إذا قرر في اعتقاد بأن الشبيبة من أبرز المؤشرات التي يمكن أن يقرأ بها مستقبل مشروع خطير تعتزم الأمة انجازه في مختلف مجالات حياتها.

والجزائر إذا امتازت وتميزت في القرن الحالي بانجاز أخطر وأعظم... نقلها من شبه اللاوجود، الى رأس قائمة البلدان الحرة في العالم، فانها تلك الثورة التحريرية الخالدة التي ما تزال جراحها نازفة في الأجسام وصورها ماثلة في الأذهان، لا تفتقر إلا لوسيلة التعبير التي تنقلها لجيل ما بعد الثورة، وما أعجز هذه الوسيلة - مهما أوتيت من البراعة والبلاغة - أن تنقل الصور الحقيقية المطابقة للوقائع، وما أصعب - في الوقت ذاته - أن يصدق هذا الجيل بأن تلك الحقائق وقعت في عالم الشهادة!.

ولا أدل على ذلك من تلك التعاليق التي ما نزال نسمعها على بعض الأفلام الثورية (كمعركة الجزائر، وريح الأوراس، الليل يخشى الشمس، الأفيون والعصا...) والتي تتهم بأنها مغرقة في الخيال والمبالغة (والوسترنية) في الوقت الذي لم تكن تعبر في مضمونها وشكلها، إلا على جزء يسير جدا من حقائق الثورة وعمقها!

ولكن لا نتعجب كثيرا عندما نعرف أن هذه الحقائق قد اذهلت العالم وغيرت الكثير من مفاهيم علمائه، ومفكريه وسياسييه، واذهلت المستعمر الفرنسي ذاته، وفاقت جميع تصوراته وتخطيطاته بالرغم مما كان عليه هذا العدو من خبرة ودهاء...

ولا شك أن إنجازا كهذا، لابد أن تكون للشبيبة به علاقة، ولابد أن يكون لها فيه دور، فما هي هذه العلاقة، وما هو ذلك الدور الذي قام به الشباب الجزائري في الثورة الخالدة؟

إذا كان من الثابت أن أول من تلقف مبادىء الثورة وتبناها باخلاص ولا تردد، هي الطبقات المحرومة، فان أكثر من في هذه الطبقات تحمسا للثورة وتفاعلا معها هو شبابها...

فلقد أقبلت الثورة على الشباب الجزائري بمبادئها وأهدافها وقيمها ونظامها، وهو في حالة من الفراغ المادي والذهني مدمرين، صيراه ينظر الى الحاضر نظرة ملل ورفض، والى المستقبل نظرة تخوف ويأس، مشتتا وحائرا، بين مغامر ومهاجر، وصابر منتظر... فجاءت الثورة المباركة لتمثل أفضل منقذ وأضمن مخرج وأوسع فرج لهؤلاء، فانجذبوا إليها بقوة، فصهرتهم، وخلّقتهم (بتشديد اللام) وصنعت منهم ثوارا واصلوا المسيرة الى النهاية، فكانوا أقوى الامدادات المتجددة لها على طول امتدادها. وهكذا حصل تفاعل المبادىء السامية مع الإرادة القوية فتحقق الانجاز الأعظم...

غيـر أن هذه العلاقة التفاعلية بين الشباب والثورة ما كانت لتحدث بنفس الكيفية لولا توفر مجموعة من العوامل المتكاملة التي صيرتها على تلك الدرجة من الفاعلية التي تقترب من درجة الكمال!

وبعد الاجتهاد في تحديد أهم تلك العوامل يمكن تفصيلها بايجاز فيما يلي:

أولا: العامل النفسي:

من المسلم به في العلوم السيكولوجية أن فترة الشباب هي أخطر الفترات التي يحدث فيها تغيير رئيسي وهام في حياة الفرد، وفي تكوينه الجسمي والعقلي. ينقله من طور الطفولة والمراهقة الى طور الرجولة والاكتهال، ومن حالة العالة الى حالة العائل المسؤول ومن الأحلام والآمال الى مجابهة الواقع، وتحمل أعباء الحياة الثقيلة والطويلة...

وهنا كثيرا ما تتحطم آمال الشاب أمام الواقع المغاير لطموحه فتبعثه الثقة بالنفس الى تجاوزه بالرفض والتمرد، فيكون الشباب بذلك أكثر فئات المجتمع انصياعا لأي جديد، يتخذ منه متنفسا يتخطى به ذلك الواقع المفروض والمرفوض، كما يكون أكثرها ميلا الى التحرك - سلبا أو إيجابا - وسلبية أو إيجابية هذه الحركة تتوقف على نوعية المبادىء والأفكار التي يقتنع بها ويتشربها هذا الشباب المتعطش.

ويرجع هذا الميل الشديد والسريع في الاقتناع بالأفكار الجديدة والتحمس لها الى خلو ذهن الشباب، وفقر تجربتهم الحياتية (التي قد تدفع بعض الكهول الى التردد في اتخاذ المبادرات الخطيرة) الى جانب ما يأنسونه في أنفسهم من قوة جسدية، وحيوية تبعث على الاعتداد بالنفس، وركوب المخاطر، وخوض المغامرات...

وهكذا اجتمعت هذه العوامل النفسية، وتكاملت مع ما فطر عليه الشباب الجزائري من خصال طبعية وتطبعية متوارثة عبر الأجيال... فكانت من أقوى العوامل التي ساعدت على تكوين شباب الثورة التحريرية.

وإذا وضعنا العامل النفسي في المرتبة الأولى فذلك لاعتقادنا أنه أمر مهم جدا بالنسبة للشباب...

ولئن رأى البعض أن العامل الاقتصادي هو الأهم في الثورة والتفاف الجماهير من حولها... فان ذلك أن صدق على الفئات الاجتماعية الأخرى فانه لا يصدق بالضرورة على الشباب، ولا أدل على ذلك من أن معظم الثورات، والانتفاضات المعاصرة التي خاضها الشباب في العالم لم تكن أسبابها اقتصادية أكثر مما كانت رفضا جريئا للأوضاع السياسية والاجتماعية، سعيا وراء تغييرها وتجديدها ببنيات وأنظمة يراها أفضل...

ثانيا: العامل الديني:

لقد كانت المبادىء الإسلامية السامية التي انطلقت منها الثورة التحريرية (كما أسلفنا)، واعتمدت عليها طوال قيامها من الأسباب القوية التي رغبت الشباب في الالتحاق بها، ومن عظمة الإسلام أن مبادئه الإنسانية السمحة قد تقنع الجاهل والعالم، والأمي والمتعلم، والصغير والكبير... فوجد جل الشباب ضالتهم في الثورة، فتحمسوا لها، وازدادوا تشبثا بمبادئها لما كان يتجسد فيها من مطابقة الأقوال للأفعال، ومسايرة المبادىء للطبيق، فكانت المحرمات محرمة على الكل، لا على البعض دون الآخر، أو على فئة دون الأخرى... وكانت المنكرات تغير باليد قبل اللسان والقلب، والوعود تنجز، والعهود توفى، والواجبات تؤدى - ان طوعا أو كرها - وكانت العدالة والنزاهة في ذلك تسود كل سلوك ثوري (ماعدا بعض الاستثناءات التي لها

حيثياتها الخاصة...). فكانت الثورة بذلك متجاوبة مع توقانات الشباب الدينية منها والدنيوية. فمحاربة المستعمر لديهم كانت ذات طابعين متداخلين: طابع ديني يتمثل في جهاد الكفار، وطابع وطني يتمثل في تحرير البلاد واسترجاع مقومات الشخصية الوطنية، وكلا المبدئين جمعهما الإسلام وثورته في معنى (النصر أو الاستشهاد) و(حب الوطن من الإيمان).

فكان الانضمام الى صفوف الجهاد هو أحسن مراهنة رابحة بالنسبة للشبيبة الجزائرية حيث لا تخرج نتائجه عن إحدى الحسنيين: إما مستقبل مضمون في الحرية والاستقلال، أو خلود موعود في الجنة والنعيم...

وهكذا أثرت الثورة، (بمبادئها الدينية والدنيوية المتكاملة) في نفوس الشبان، فنقلتهم من رعاة وطلاب ومشردين ومهاجرين... الى أبطال أشداء مؤمنين أقوياء... وهل يوجد أشجع وأقوى من الشاب الذي يتطوع لتنفيذ حكم الاعدام في والده أو أحد أعزائه الأقربين إذا حكمت عليه الثورة العادلة بالخيانة؟!

وقد ساعدت على ذلك وحدة العقيدة الدينية والمذهبية في الجزائر وانتشارها بين كافة الأوساط الوطنية، ووحدة المذهب (الأشعري الغالب) الذي يوثر الفعل - بعد العقل - على القول والجدل العقيم!...

فكان الشاب المؤمن مخلص الاعتقاد سريع التنفيذ قليل التذبذب والتردد في اتخاذ القرار والتصميم على بلوغ الهدف الذي يقتنع بشرعيته... فاقتنع فعلا، وقرر وصمم، فاستشهد وتحرر... وكان للعقيدة الإسلامية في ذلك دور لا ينكره حتى أعداؤها المتعصبون!

وأذكر أن أحد قدماء المجاهدين قال لي مرة «إنني كنت قبل الثورة التحريرية شيوعيا اعتقد أن الدين أفيون الشعوب، كما علمونا... ولكن عندما التحقت بصفوفها تعرفت على حقيقتها، وآمنت أن الدين بالنسبة للثورة الجزائرية - على الأقل - كان محررا للشعوب، ومنبها لها، ولم يكن أبدا أفيونا مخدرا؟!»

هذا شاهد واحد، وأن الأمثلة على فاعلية الوعي الديني في تحريك الجماهير الشعبية المؤمنة عموما، والشباب على وجه الخصوص... نحو الثورة والانعتاق، لهى أوسع من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر...

ثالثا: العامل الوطني:

فبقطع النظر عما يوجد بين الدين والوطن من علاقة متينة كما ذكرنا... فان مفهوم الوطنية الذي كان يعتبر الدين عنصرا مستغرقا في فئته المركبة من العناصر الثلاثة المتمثلة في الوطن والدين واللغة، وكما عبر عنها الإمام عبد الحميد بن باديس بـ (الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، العربية لغتنا) والذي ظل من الشعارات البارزة في الثورة التحريرية التي دفعت بالشعب الى البحث عن نفسه، وادراك ذاتيته وشخصيته التي كانت أبسط نظرة واعية الى المستعمر الاستطاني في الجزائر تثبت أنها شخصية متميزة تميزا جوهريا في المعتقد واللغة والعادات والتقاليد والقيم، وحتى في الصفات الفزيولوجية، فضلا عن الفوارق الصارخة في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي كانت تفصل أبناء الوطن وتميزهم عن أولئك الغزاة الذين أقل ما يمكن وصفهم به أنهم مغتصبون للبلاد وحقوق العباد! فصيروا المواطن غريبا في وطنه لغة ودينا وتاريخا، وحقوقا اجتماعية وسياسية، مما جعل كلمة عربي (مواطن أصلي) تأتي مقابل كلمة (ڤاوري) أي أجنبي دخيل...

وكلمة عربي في المفهوم الدارج عندنا ماتزال تعني الجنس واللغة والدين، ولا أدل على ذلك من أن مجتمعنا الى الآن في معظم شرائحه لا يفرق بين مفهوم عربي ومسلم، فعنده كل مسلم عربي، والعربي لا يتصوره إلا مسلما (!!!)

وإن هذا الخلط الذي نتج أصلا عن ارتباط المواطن الجزائري الشديد بالإسلام دينا والعروبة لغة وثقافة... قد قوى أكثر من ضغينة النخبة الوطنية على الاستعمار، وضاعف من روح وطنيتها، ودفعها أكثر الى أن تدرك بالقوة وبالفعل ذاتيتها المتميزة تلك، وتحبط كل مناورة سياسية استعمارية أو حزبية وطنية، بما في ذلك سياسة الادماج التي أجمعت النخبة الوطنية والاستعمار معا على رفضها بدوافع مختلفة حيث رفضها الوطنيون بدافع التمييز، ورفضها المستعمر بدافع العنصرية والتعالي على الأهالي الذين ظل يعاملهم - بكل استغباء - كعبيد فوق الأرض!

واعتقد أن من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها الاستعمار هو عدم تشجيعه لسياسة الاندماج، (التي نادت بها بعض الأحزاب) إلا بعد فوات الأوان!

علما بأننا لو فرضنا أن المستعمر قد شجع ذلك المخطط الادماجي منذ البداية ونجح فيه، فقد يتمكن من تأجيل موعد اندلاع الثورة التحريرية الى حين، ولكن لابد من حتميتها في النهاية إذا ظل الشعب غير الشعب والدين غير الدين واللغة غير اللغة بفضل جهاد إمام الجزائر رحمه الله الذي كان يعبر عن لسان الشعب الجزائري قائلا:

شعب الجزائر مسلم — والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله — أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا له — رام المحال من الطلب

ففي غمرة هذا الصراع العنيف الذي خلق جوا من الشعور بالإحباط واليأس لدى الشاب الجزائري الذي لم يحصل، لا على حقوق

اجتماعية وسياسية على غرار رعاة وفضلات إسبانيا وإيطاليا الذين استوطنوا بلده وشرفتهم فرنسا بجنسيتها، ومنحتهم كل حقوق المواطنة على أرضه أمام أعينه! ولا على شخصيته واستقلاله الذي يخول له العيش الكريم تحت راية وطنه وسيادته، فكان هذا الشعور بالظلم قويا في نفوس الأفراد... ثم سرعان ما عممته وعمقته ثورة الجهاد، فكان الشباب أول من رقص بلا تردد على أنغام رصاص نوفمبر الذي صحح فيما بعد المفاهيم الخاطئة لكل تلك الأحزاب، فكان منها الذي اعترف ورجع الى الصواب باتباع الطريق الوطني الأصح والأسلم، وكان الذي تعصب وتكبر فاندحر واندثر(!!)

رابعا: العامل الأخلاقي:

قد يتبادر الى الأذهان لأول وهلة أن الدين والأخلاق شيء واحد في حين أنهما مختلفان على الرغم من وجود ترابط وتداخل شديدين بين الاثنين...

والدليل على ذلك أننا قد نجد أناسا متخلقين جدا (بحسب معيارنا الأخلاقي) وهم غير متدينين، كما نجد أناسا متدينين، وهم أقل تخلقا، وبعبارة منطقية نقول: إذا كان كل متدين متخلقا فليس كل متخلق متدينا بالضرورة... (مع اعتبار كل ما في معاني الأخلاق من نسبية في المكان والزمان) ومن هنا أردنا أن نبرز هذا العامل كعنصر مستقل له تأثيره الواضح في انجذاب الشباب الوطني الى الثورة، وتحمسه لها...

فما من شك أن جل القيم الأخلاقية المتأصلة في المجتمع الجزائري ترجع في أصولها الى العقيدة الإسلامية، إلا أن هناك بعض الصفات الطبعية والتطبعية لدى أفراد الشعب الجزائري قد ساعدت على التمسك بهذه القيم الأخلاقية، وتقديسها بكيفية تفوق أحيانا (لدى البعض) التمسك بتأدية الشعائر الدينية ذاتها (!!)

وتتمثل هذه القيم على الخصوص في (الإباء، الأنفة، الاستماتة في الدفاع عن الحق، والتمسك بالمبادىء والوفاء بالعهد، وعدم مخالفة الوعد...) على أن هذه القيم الإسلامية وإن كانت مميزة للشعب الجزائري في عمومه إلا أنها غير مطلقة، وبالتالي فهي غير ثابتة وستظل معرّضة للتغير والضعف والزوال إذا لم يحافظ عليها عبر الأجيال وتقلب الأحوال!!

أما الدليل على أن هذه المعايير والقيم ليست متمشية بالضرورة مع تأدية الفرائض الدينية... فهو عدم وجودها بنفس الدرجة والفاعلية في مجتمعات عربية وإسلامية أخرى بالرغم من انتشار الظواهر الدينية فيها بكيفية قد تفوق انتشارها في الجزائر (...)

فكم نعرف من أشخاص في مجتمعنا يرتكبون معاصي كثيرة من الوجهة الدينية (...) ولكنهم لا يجرؤون على نقض عهد أو خلف وعد، أو احتقار صغير، أو تملق كبير، أو خذلان رفيق، أو خيانة صديق...!!

لقد تبنى مجتمعنا هذه القيم واتخذ منها معايير لتقويم الأفراد، فيقال: فلان كريم، وفلان شجاع، فلان حليم، فلان وفي، فلان وطني، ويكفي أن تتوفر لدى الفرد مجموعة من هذه الصفات الحميدة، كي يكون محبوبا ومحترما لدى غالبية أفراد المجتمع حتى ولو لم يكن يؤدي كل الشعائر الدينية، وان كانت تأديتها تزيد من قيمة الشخص في نظر الجميع. ولا تنقصها أبدا.

وعندما جاءت الثورة الخالدة الصادقة مجسدة بمبادئها وأعمالها لأسمى صور هذه المعايير والقيم الدينية والأخلاقية التي كانت بحق أسمى صور المثل الأعلى الأخلاقي الذي يمكن أن يتحقق في مجتمع إنساني معاصر، فكان لها قوة جذب شديدة لالتفاف الشباب س حولها، حيث ظل الالتحاق بصفوفها عنوان شرف يجب كل ما يمكن

أن يكون للشباب من عيوب سابقة... فكانت الثورة للبعض منهم (فضلا عن الدوافع والعوامل النفسية والدينية والوطنية السابقة) هي عملية اكتمال أخلاقي وتتويج للشخصية، وللبعض الآخر عملية تعويض وتغطية لما كان يشوب سمعتهم من نقائص وعيوب (..) غير أن الثورة في جميع الأحوال كانت أكبر وأفضل مصنع لإنتاج الرجال والأبطال والقادة والشهداء، وأصدق محك لاختبار العزائم والقدرات ومكارم الطبائع والصفات.

خامسا: العامل الاجتماعي:

إن الظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها الشباب الجزائري قبيل اندلاع الثورة بين حرمان وفقر وأمية جعلت أبواب المستقبل أمامهم مسدودة، ووسائل العيش الكريم مفقودة، مما لم يترك أمامهم أي خيار سوى الانتقام من الاستعمار بالارتماء في أحضان الثورة المباركة التي دخلت كل قرية ومدينة وفتحت ذراعيها لكل شاب وطني دون أي شرط لشهادة علمية أو مهنية أو سوابق عدلية سوى الإيمان بالمبدأ والإخلاص في العمل، فحلت الثورة بذلك في نفوس الشباب، محل المنقذ من الضياع، فوجد فيها جلّه خير مفجر لتوتراته، وانتقامه من واقعه المر الذي كرسه ظلم العدو الغاشم...

وقد ساعد على ذلك أيضا عدم التزام الشباب بالمسؤولية العائلية حيث أن الغالبية العظمى منهم لم يكونوا متزوجين، وبالتالي لا تترتب على انضمامهم الى صفوف الجهاد أية نتائج عاطفية على أنفسهم أو عبئية على الثورة بالتكفل بأبنائهم، أو أزواجهم، (مع الإشارة الى أن هذه العوامل نذكرها هنا على سبيل الاجمال والعموم دون أن يعني ذلك عدم وجود استثناءات كثيرة...).

كما أن حياة البؤس والشقاء التي كان يعيشها معظم أفراد المجتمع الجزائري في المدن، وبصفة خاصة في الأرياف، لم تكن

لتختلف بكثير عما قد يعانونه في صفوف الجهاد، فكان الالتحاق بالثورة بالنسبة للكثير من الشبان هو عملية انتقال من حالة حرمان وعذاب مفروض عليهم بقوة القهر الاستعماري الى حالة عذاب وحرمان هادف، ومرغوب فيه باعتباره خير وسيلة للانتقام من الحرمان المفروض...

فكانوا بذلك مهيئين في عمومهم تطبعيا، واجتماعيا، ونفسيا الى تحمل مشاق الثورة وحرمانها وأخطارها الفائقة... فاقبلوا على صفوفها بكل استعداد وعزيمة، فكانوا أقوى دعم ومدد لها على طول استمرارها، ويشهد التاريخ أن نسبة الشباب في صفوف ثورة الجهاد كانت تفوق الثلثين إذا حددنا هذه المرحلة بما دون الثلاثين سنة.

ولا أدل على ذلك من أن معظم الشهداء من قادة الثورة كان معدل العمر لديهم يتراوح (ما بين 20-34 سنة) باستثناء الشهيد الأكبر مصطفى بن بولعيد الذي ولد سنة 1917 أما البقية فكلهم من مواليد العشرينيات والثلاثينيات:

01 - رمضان عبان:	1920	07 - احمد زبانة:	1926
02 - يوسف زيغود:	1921	08 - احمد بوقرة:	1926
03 - بوجمعة سويداني:	1922	09 - مراد ديدوش:	1927
04 - العربي بن مهيدي:	1923	10 - رمضان بن عبد المالك:	1928
05 - الحواس:	1924	11 - لطفي:	1934
06 - عميروش:	1926		

.وعن علاقة الشباب الجزائري بثورة أول نوفمبر يحدثنا الأستاذ الطيب العلوي (في محاضرة له عن بيان أول نوفمبر) فيقول:

«فلنبدأ من البداية.. ولنرافق الشبان الذين أسسوا الجبهة، وأعلنوا الثورة في تطوراتهم السياسية التي عاشوها، ومع الأحداث التي عاصروها وانعكست على حياتهم وتفكيرهم، إذ في مرافقتنا

لهؤلاء الشبان نرافق تطور الحركة الثورية، فنفهم مغزى تأسيس «جبهة التحرير الوطني» ونفهم «بيان أول نوفمبر» فهما واعيا... والذي جاء فيه:

«... وذلك بإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن *إطار المبادىء الإسلامية*، وبأحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني».

لقد استعمل الفرنسيون طوال الحرب العالمية الثانية كل وسائل الخداع والمناورة والمماطلة الى حين انتصارهم فظهروا على وجههم الطبيعي الحاقد وارتكبوا أضخم مجزرة في تاريخ الاستعمار.

جرت هذه الحوادث، وعاشها ملايين الأطفال والشباب ومن هؤلاء الشبان مؤسسو «جبهة التحرير الوطني» الذين كانوا يتقدون حماسة ووطنية في ريعان شبابهم، وهذا أول درس تلقوه على يد الوحشية الاستعمارية وعاه كل شاب عاش الحدث وأقسم بعض الشباب أنهم سينتقمون...».

* * *

وتأكيداً لتلك الحالة التي كان عليها الجزائريون عموما والشباب على وجه الخصوص أثناء عهد الاحتلال البغيض نورد هذه الفقرة الواردة في تحقيق أعد عن حياة الشهيد بوجمعة سويداني في مجلة أول نوفمبر (عدد 43-1980).

«في عام 1941 صدر قرار من طرف السلطات الاستعمارية، يقضي بمنع المواطنين الجزائريين من ارتياد الأماكن التي يرتادها الأوروبيون، وكانت دور السينما والملاهي على وجه العموم من ضمن هذه الأماكن المحرم على الجزائري ارتيادها، وحسب افادة زملاء الشهيد أن سويداني بوجمعة كان في غالب الأحيان يقضي معظم أوقاته مع أبناء الأوروبيين، وذات يوم صاحب مجموعة من أصدقائه

من الأوروبيين لقضاء إحدى الأمسيات في التمتع بمشاهدة فيلم، ولكن ما أن بلغوا السينما حتى وجدوا لافتة معلقة مكتوب عليها بخط واضح - يقرأ من بعيد - العبارة التالية: «ممنوع دخول السينما على الأندجان». وكلمة الأندجان مصطلح أطلقه الأوروبيون على السكان الأصليين الذين ليس لهم مكان في حاضرة الأوروبيين، ولما لاحظ الشهيد تلك العبارة تسمر في مكانه متجهما من شدة التأثر، ثم سيطر عليه شعور حاد غريب، وهم على الفور بالعودة من حيث أتى، وحاول أصدقاؤه الأوروبيون اثناءه عن تنفيذ فكرته، وقالوا له بان هذا لا يعنيه هو، لكنه أدرك بحاسته الوطنية أنه أمام حركة عنصرية حاقدة، وبادرهم قائلا: إن هؤلاء الاندجان كما تدعون هم من جلدتي وأنا واحد منهم. ومنذ هذه اللحظة تغيرت مواقف الشهيد وتصرفاته تجاه الأوروبيين كما يفيد زميله المجاهد (ابن الساسي) الذي قال: «إن الشهيد يومها لم يعد الى منزله كالعادة وإنما ذهب الى الحي الشعبي من المدينة وجمع نفرا من شباب الحي الذين قاموا بمظاهرة طافوا خلالها أنحاء الحي تنديدا واستنكارا لهذا الموقف العنصري الحاقد وألقي القبض على إثرها على ثلاثة شبان وكان الشهيد على رأسهم، وقدموا للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر وغرامة قدرها 600 فرنكا قديما».

* * *

وعن وصف حالة الشاب الجزائري وتشوقه الى الالتحاق بصفوف الجهاد يحدثنا أحد المجاهدين الشباب في كتاب له بعنوان: «ثورة الجزائر كما شاهدتها وقرأت عنها» صادر عن مطبعة البعث بقسنطينة 1981 - يقول المجاهد جودي الأخضر بوطمين:

«كنت طالبا مغتربا حين اندلعت الثورة الجزائرية وكنت بعيدا عن بلادي بحوالي 7000 كلم ولكن هذا البعد لم يكن يذكر أمام

الفرحة الكبرى التي عمت البلدان العربية وكل الطلبة العرب ومنهم الطلبة الجزائريون الذين كانوا بالعراق وكنت أحدهم، تلك الفرحة التي هلل لها وكبر واستبشر بها كل المعذبين في الأرض وكل الذين حرمهم الاستعمار من نعمة الحرية والاستقلال، وكل الذين ولدوا فوجدوا أنفسهم تحت سيطرة الأجنبي وهو يعمل جاهدا لسحق التفكير في شيء اسمه الحرية، ووجد نفسه غريبا عن وطن أبائه وأجداده، فأين يتجه يجد لغة غير التي فطر عليها، وأين يتجه يجد الباب مسدودا أمامه، وعليه ان أراد أن يعيش أن يتعلم لغة الأجنبي الحاكم، وان يتخلق بأخلاقه وأن يتنكر لأصله، وإلا عد من الذين يحق عليهم العذاب والنقمة على الدوام، لكن من حسن حظي أنني خلقت في هذا البلد الذي يمكن أن يسهل عليه التضحية بأشياء كثيرة وبكل شيء أحيانا، ولكنه لا يقبل أبدا أن يتنازل عن مقوماته ولا يقبل أن يضحي لا بقليل ولا بكثير من هذه المقومات ومن أهمها لغته، لذلك فانني وجدت أين أتعلم هذه اللغة رغم الصعوبات والعراقيل التي كان الأجنبي يضعها أمامها وأمام كل من يعلمها ويتعلمها، ورغم أنفه تعلم هذه اللغة الكثير من أبنائها وتقدم بهم السن وتطلب منهم الاغتراب فاغتربوا وكانت طريق الشرق تستهوي الكثير منهم في تونس وما جاورها حتى العراق، البلد الذي كنت أدرس فيه ضمن أول بعثة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المكونة من 12 طالبا بعد أن درس بعضهم في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ثم تونس والبعض الآخر كان يدرس بتونس دون المرور بالمعهد المذكور.

اندلعت الثورة سنة 1954 وانتشر أمرها واستفحل، ومرت ذكراها الأولى وطغت أحداثها، وملأت صحف العالم واحتلت إذاعاته، وانتشر رجال جبهة التحرير في شتى أنحاء العالم، وهناك كان اللقاء معهم من طرف الطلبة الجزائريين فكان السؤال وكان البحث وكان

التشاور، ولكن لم يكن أحد ليستطيع أن يتخذ مسؤولية الطلبة بالتحديد مسؤولية موقفهم من الثورة هل يلتحقون بها أم يستمرون في مواصلة دراستهم؟ رأيان شغلا عقول الطلبة وكلاهما صالح ونافع للوطن. ويبقى التفاضل والاختيار بين هذين الرأيين وسواء بالنسبة للطلبة الجزائريين في المشرق أم لأخوانهم في أوروبا، فبعض رجال الجبهة يرون أن حاجة الوطن ومصلحته الآتية تتطلب تجنيد الطاقة الحية في البلاد وخاصة الشباب المثقف وصوروا الوطن بالمريض وإذن لابد له من علاج، وعلاجه لن يكون من طرف الفلاحين والعمال فقط، بل يجب أن يكون هذا العلاج من المتعلمين والمثقفين ورأيهم هو الالتحاق بالثورة ولو أنهم لا يباشرون اتخاذ المسؤولية بأنفسهم وكان هذا العدد قليلا، أما أصحاب الرأي الآخر وهم الكثيرون فيرون عكس هذا الرأي ويقولون بأن الأفضل للطلبة الجزائريين سواء الموجودين منهم في الشرق أو في الغرب أن يواصلوا دراستهم وأن حاجة الوطن لهم ليست اليوم، بل بعد الاستقلال، ولكنهم كزملائهم السابقين لا يقبلون أبدا أن يتحملوا مسؤولية تأخير الطلبة عن المشاركة العملية في الثورة ونتج عن كل هذا التردد من طرف المسؤولين أن الطلبة اتخذوا مسووليتهم بأنفسهم فتابع معظمهم دراسته واتجه البعض منهم نحو مهنة التعليم في الأقطار العربية، واتجه عدد قليل منهم الى الثورة، ونجحوا بعد مجهودات شاقة في التوصل الى الأفراد القلائل المكلفين بالثورة المسلحة وشؤونها الحربية، والى الاتصال بالمسؤولين السياسيين الموفدين الى الخارج إذ ذاك، وهكذا تمكن هؤلاء من فترات تدريبية ثم السفر نحو الجزائر ولم يصلوا الى التراب الوطني إلا بعد أن مروا بصعوبات يشيب لهولها الأطفال».

* * *

وعن الزعامة الشابة التي نبتت في ميادين القتال يحدثنا رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية في افتتاحيته الشهرية بمناسبة قرارات ايقاف القتال بين الجزائر وفرنسا، فورد في العدد 42 لسنة 1962:

«إن الزعامة الجزائرية نبتت من ميادين القتال. كلهم جنود، وكلهم خططوا عند خطوط النار ودبروا. وكلهم عرفوا الحياة أجفى ما تكون، وأمر ما تكون، وأخطر ما تكون.

فهم من الفئة التي لم تبال الموت ولن تباليه وهم شبان، أسماؤهم مغمورة غير مشهورة وهم شبان كفروا بالخلافات التي هدت كيان البلاد، فصنعوا ما صنعوا بمعزل عنها. وجعلوا من وحدة الصف بينهم غاية، هي عندهم من أمهات الغايات، ومن الوحدة التي نشأت بينهم اضطردت الوحدة في صفوف المحاربين الذين هم دونهم، وعمت من أجل هذه الوحدة الثقة بهم والطاعة وليدة الثقة، والأوامر كانت تخرج الى الجند المحاربين المتطوعين فتجاب بلا تردد، ولو كان في إجابتها الموت.

انهم بالوحدة انتصروا، وبالوحدة هم لاشك منتصرون».

* * *

... وعن أمثال هؤلاء الشبان أنشد الشاعر العربي قائلا:

حي أرض الأسود حي القساور حي ربع الأباة حي الجزائر
حي أرضا تخضبت بدماء زاكيات فأزهرت بالمفاخر
حي فيها الكفاح يزدد عزما ومضاء مبددا للدياجر
حي روحا تقحمت كل هول في شباب على الظالم ثائر

* * *

وبعد هذه الاستشهادات المتنوعة عن دور الشباب في الثورة، يجدر التنبيه الى أن العامل الاجتماعي الأخير ليس إلا واحدا من العوامل الكثيرة مع العلم أن هناك من الشباب من ترك يدي عروسه

مخضبة بالحناء ليلتحق بعالم الخلود، كما أن هناك من كان على درجة عالية من اليسر وترك الأرائك الوثيرة ليلتحف السماء ويفترش الأرض في الجبال والأودية، فهذا كله موجود ولا يتناقض مع ما أوردناه في مكانه من تحليل للعوامل السابقة...

وبالنسبة لعامل الفقر والحرمان، كم أذكر تلك العبارة التي كان يرددها بعض شبان جيش التحرير الوطني، عندما تتراءى لهم أضواء العاصمة من أعالي جبال جرجرة الشماء بقولهم: «أحييك أيتها الجزائر التي أكافح عنك دون أن أعرفك» وكم استشهد من هؤلاء البراعم دون أن ترى عيناه عاصمة الجزائر البيضاء!

وبالنسبة للعزيمة والوعي، فاعترف أنني لا أذكر إطلاقا مثالا لأي أب اعتزم الالتحاق بالثورة فوجد معارضة من أبنائه إن لم يجد تشجيعا ودعما... في حين أذكر عشرات الأمثلة عن شبان التحقوا بالجهاد عصيانا وتمردا على طاعة الوالدين.

وكم يدعوني هذا الى اكبار إمامنا عبد الحميد ابن باديس على تلك النظرة النافذة والمراهنة الرابحة على الشباب الجزائري حيث يقول:

«يا نشء أنت رجاؤنا — وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها — وخض الخطوب ولا تهب»

فقد كان رجاؤه في الخلاص من الاستعمار منصبا على الشباب فكان الشباب عند حسن رجائه.

ولعلنا بهذا نكون قد أتينا على ابراز بعض العوامل التي جعلت من الشباب الجزائري أقوى دعم للثورة التحريرية...

ونعتقد أننا لم نف إلا بالقليل الرمزي مما يتطلبه ابراز دور الشباب في الثورة الجزائرية، لأن هذا الدور أعمق من أن يحلل، وأوسع من أن يحاط به في صفحات كهذه، ولكن حسبنا أن ذكرنا شباب الاستقلال بما قدمه شباب الثورة، فرب مذكر ومصدّق ومعتبر،

لمواصلة المسيرة الجهادية، لان الاستقلال الكامل لم يتحقق بعد، ولن يتحقق بزوال العلم الفرنسي من كل المؤسسات الرسمية، واختفاء جنود الاحتلال من الشوارع وزوال الفرنسيين (بالجنسية) من كراسي الإدارة الوطنية... بل هناك بناء وهناك تعمير، وهناك تحرير للفكر والإرادة بعد تحرير الأرض واسترجاع السيادة.



صورة لأحد مجاهدي جيش التحرير الوطني بجبال جرجرة (الولاية الثالثة)، وعمره آنذاك لا يتجاوز سبع عشرة سنة.

(بدون تعليق)

الفصل الخامس

الدرس المستفاد من ثورة الجهاد

إذا كان من الطبيعي، بل ومن المطلوب أن تفتخر الأمم والشعوب بأمجادها الخالدة، وتحيي ذكراها السنوية والمائوية عبر الزمان والمكان، لنقل مفاخر الآباء والأجداد، لأعيان الأولاد والأحفاد ووصل السلف بالخلف...

فانه لا ينبغي أن يكتفى في مثل تلك الأعياد السعيدة بتنظيف الشوارع وإنارة الطرقات، وزركشة الميادين بأشكال وألوان من الأعلام واللافتات... لتزول بعد أيام وتعود الشوارع الى دكنتها، وتظل القلوب والعقول على حالها، بل الواجب على الأمة الخليقة بتلك الأمجاد والمآثر، أن تتخذ من مثل هذه الأعياد عبرة للاقتداء، ومناسبة للتذكر والتدبر، ومحطة لتنظيف القلوب، وتنوير العقول، قبل إنارة الشوارع وتنظيف الشرفات، لأن من يكن ذا قلب مريض أو فم مرّ يجد مراً به الماء الزلال (على رأي أبي الطيب المتنبي) ومن يكن ذا نفس مشرقة جميلة مؤمنة يرى الوجود جميلا، ولو كان مضاء بالقناديل الزيتية...

فالعبرة - إذن - هي مراجعة الجواهر قبل تغيير الأعراض... ومن غير الطبيعي الا يتعثر الكائن الإنساني في سعيه الحثيث من أجل حياة أفضل، لأن الذي لا يتعثر هو الذي لا يسير أو لا يتحرك، والذي لا يتحرك يعتبر ميتا، لأن الموت سكون والحياة حركة، والحركة

فعل، والفعل عمل، والعمل المنظم الهادف هو ضمان الحياة السعيدة والكريمة، والذي لا يخطىء هو الذي لا يعمل...

فمن هنا كانت المراجعة واجبة، لأن العامل متعرض للخطأ، والساري متعرض للضلال، والخطأ المضر هو الذي لا يصحح ولا يتدارك قبل فوات الآوان، والضلال المضيع هو الذي لا يراجع صاحبه خط سيره على ضوء مبدأ المراجعة، ،لا أقول التراجع، لأن التراجع قد يعني أن البداية لم تكن صحيحة، أو بعبارة أخرى لم تكن مبدئية، أما المراجعة فتعني أن البداية سليمة ومبدئية، غير أن احتمال ما يمكن أن يتخلل الانجاز من انحرافات استوجب ظهور مبدأ المراجعة، وهو المنهج الواقعي السليم، الذي يقره العقل الناضج، وقد أكده، بل وطبقه أبو الفلسفة الحديثة (روني ديكارت 1596-1650).

فمن هذه الحيثيات سيكون حديثنا منصبا على المراجعة وليس على التراجع، خاصة، واننا نرفع شعار الثورة المستمرة، ونؤكد إيماننا دوما، بأن لنا بداية صحيحة، ومنهجا مستقيما، ومبدأ ثابتا...

فهذا يجعلنا ملتزمين أكثر بمراجعة الحاضر المتطور في ضوء الماضي الذي نعتز بذكراه، ونحاول أن نعي مغزاه، ونصل عراه، لأن الزمان إذا كان غير الزمان، فالإنسان بجوهره الخلاق هو الإنسان.

وإذا كان لنا أن نقف عند أبرز ما يتعين علينا مراجعة حاضرنا فيه على ضوء ثورة الجهاد، فهو: ضرورة توفر الإيمان وتلازمه مع العمل.

فالإيمان والعمل من التكامل في الحياة بحيث يكونان وجهين لعملة واحدة، وهما أشبه في ضرورة التلازم بالقطب السالب والقطب الموجب في الطاقة الكهربائية، حيث أن ملايين الأقطاب السالبة أو الموجبة منعزلة بعضها عن بعض، لا تحدث طاقة تذكر، بينما يحدثها التقاء قطبين اثنين من الأقطاب السالبة والموجبة...

فكذلك بالضبط يكون الإيمان والعمل والقرار والتطبيق (فالإيمان ليس بالتمني والقرار ليس للادخار) على أننا نلاحظ أنهما يذهبان ضحية تباين الادراك، وضعفه أحيانا، أو فقدان الإرادة لدى الأفراد والجماعات، حيث يهتم بعضهم بالعمل وحده، ويعد الإيمان من الغيبيات، ويهتم البعض الآخر بالإيمان وحده، ويترك العمل للآلات، ولا يهتم الفريق الثالث لا بهذا ولا بذاك. في حين أن العلم يثبت لنا أن الإيمان عملية وجدانية فكرية تحدث داخل العقل بفعل عوامل نفسية وفزيولوجية معينة... والعمل هو الشكل الخارجي لذلك الإيمان الباطني، كما برهن على ذلك السلوكيون الذين يرون أن كل فعل إرادي يقوم به الإنسان ناتج عن دوافع نفسية كامنة في الأعماق (...)

ولذلك كان الإيمان بدون عمل هو أشبه بنفط موجود في باطن أرض يطبخ أصحابها بالهشيم، وينيرون خيامهم بالفوانيس السحرية، أو الزيتية!!

وإذا كان العلم يثبت لنا العلاقة العضوية عند الأسوياء بين العقل والعضلات، فكذلك تكون العلاقة في حياة الأسوياء بين الإيمان والعمل. حيث أن العضلات مجرد آلة إنسانها هو العقل، باعتباره الآمر الناهي، والعقل السليم لا يستمد القدرة على إعطاء الأوامر، إلا بقدر ما يكون مقتنعا بفائدة العمل الذي يأمر به العضلات...

وانطلاقا من هذه المسلمة نأتي الى التطبيق في حياتنا العملية الجماعية التي يهمنا أن تسير في توازن دقيق بين جميع عناصرها دون افراط ولا تفريط...

ولعل أقوى دليل (نصي) لنا في ذلك هو الحديث الشريف القائل: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى...» حيث

نستنتج بالضرورة أن الأساس في كل عمل هو النية التي تكون لدينا في أذهاننا (بقطع النظر عن نوعيتها أو مضمونها) والتي تكون الدافع للقيام بذلك العمل...

ولئن كانت النية أو الفكرة سابقة بالضرورة عن العمل الإرادي، أيا كان نوعه، كما نرى (...) فان الإيمان سابق بالضرورة على النية ذاتها، لأنه هو مولدها في النفوس، ومفجرها في العضلات...

فالإيمان هو الذي يولد النية لدى الشخص ليستشهد في سبيل الله والوطن، أو يموت من أجل الخير والحق والحرية، وهو الذي يدفع الفرد ليعمل بجد ومثابرة في المصنع والمزرعة، والمدرسة، والإدارة، ويشيد الحضارات، ويغزو الفضاء، ويرود المحيطات...

ومن هنا يمكن القول بأن أي خلل يصيب سير الحياة المثلى لأي مجتمع، أو أمة، يعود في بعضه، أو كله، الى عدم التوازن بين لإيمان والعمل، فاما أن يوجد إيمان ينقصه العمل، وهو جمود وركود، واجحاف لحق الجسد على الروح، وأما عمل (شبه - لا إرادي) مفروض على الأفراد لتلبية الضرورات البيولوجية، دون أن يقتنعوا به، وهو عمل دون إيمان ودون هدف، وبالتالي هو أشبه بانتاج الحيوانات أو الآلات الجامدة التي تحتاج الى إنسان يصونها ويصلحها عندما تتعطل!!

وأقصد بالإيمان هنا: الاقتناع بمبدأ أو فكرة، مستمدة من وحي سماوي، (أو حتى عقيدة وضعية) كما أقصد بالعمل: الحركة الهادفة الملتزمة التي تدخل في نطاق المنظور الإسلامي للعمل (كقيمة) في الدنيا، كالعيش أبدا، ووسيلة للتزود الى الآخرة كالموت غدا...

وكأني بالذين يكتفون بالإيمان دون تجسيده بالعمل الصالح للدنيا والأخرى... قد فهموا من الحديث القائل بأن الأعمال بالنيات... أنه يكفي أن ينوي المرء الاستقلال والتحرر...

فقد استقل وتحرر... أو ينوي بناء مسجد أو معمل، أو ينوي التعلم فقد أصبح عالما (!)

فهذا الفهم لسنة الحياة المثلى يخطئه الواقع المعيش لثورة الجهاد التي نحاول أن نراجع واقعنا على ضوء حقائقها الثابتة... كما يخطىء واقعها - أيضا - من يفرغ الإنسان من بعده الخلاق، البعد الروحي، والطاقة المعنوية الجبارة... وينتظر منه الاخلاص والتفاني في العمل من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادي والثقافي، والخروج بالأمة من الدائرة الحضارية للعالم الثالث.

فمن واقع ثورة الجهاد نؤكد أنه لا الأول يجعل من إيمانه واقعا ملموسا دون جهاد باليد قبل اللسان والنوايا الطيبة، ولا الثاني يضمن لأعماله (الآلية أو اللاارادية) مقومات الاستمرارية والفعالية والنجاح. لان العمل بدون دافع إيماني سام - كما رأينا - هو سلوك حيواني لا يتعدى (في أحسن الظروف) اشباع الحاجات البيولوجية للإنسان، في حين أن الإنسان كما نعتقد هو جسد وروح، وعقل وعضلات وقوام حياته المثلى هو الإيمان والعمل.

ومادمنا نتحدث عن تلازم الإيمان مع العمل والقرار مع التطبيق في ثورة الجهاد، فلا نجد بدا من الوفاء بحق القارىء علينا في الاستشهاد ببعض النماذج المعيشة في تلك الليالي المضيئة.

ولعل أبرز ما يفرض نفسه على الذاكرة بقوة، هو ذلك التكامل والتلازم بين الإيمان والعمل، الذي يصعب على أبرع الكتاب قلما أن يصفه لأبناء اليوم، كما يعسر على أخصب أبناء هذا الجيل خيالا أن يتصور حقيقة ذلك الواقع المثالي.

فهل يمكن لشخص اليوم أن يصدق بسهولة أن مجاهدا (وعددهم بالعشرات والمئات) يتطوع لتنفيذ حكم الاعدام في أقرب وأعز الناس إليه (كالأم أو الأب، أو الأخ، أو الأخت)؟ اعتقد أن من يصدق بأن

هذا الاجراء كان يحصل بكيفية اعتيادية على طول مراحل ثورة الجهاد... لا يتردد في أن يتهم هؤلاء المجاهدين (على أقل تقدير) بأنهم قساة، أو غير أسوياء عقليا!

والحقيقة أنهم كانوا قمة في الاعتدال والتقوى والشفقة والتواضع أمام ما آمنوا بأنه الحق... وليس إلا ذلك الإيمان المتأصل في نفوسهم هو الذي جعلهم يحكّمون العقل والمبدأ، قبل العاطفة والمصلحة الأنانية أو الآنية، وبالتالي صيرهم في نظر بعضنا اليوم بأنهم غير عاديين!

ولكن هذا الاتهام في محله إذا نظرنا إليه بمنظور اليوم حيث أن الآية قد انعكست في نظر هذا البعض...!

وصورة أخرى للإيمان والعمل، هي تلك المتمثلة فيما يشبه الانتحار في يومنا الحاضر، وهو اقتحام المجاهدين العزل لوطيس المعارك، والقلاع المحصنة... من أجل الحصول على قطعة سلاح أو نيل الشهادة. وكم كانت رائعة ودالة تلك التسمية التي كان يتندر بها المجاهدون الذين يمتلكون قطع السلاح، من زملائهم (المسبلين) الذين كانوا يجابهون نيران الطائرات والمدافع بأيديهم البيضاء، إذ يسمونهم (أصحاب الإيمان) ويبقى المجاهد من هؤلاء (العزل) في عداد أصحاب الإيمان... الى أن يفتك قطعة سلاح في المعارك التي يخوضها الزملاء المسلحون، أو يستشهد دونها... وكم من نفس راضية رجعت الى ربها في مثل هذه الأعمال الجهادية الرائعة والفدائية النادرة!

وعندما أتأمل اليوم تلك التسمية التي كان يطلقها الزملاء بكيفية عفوية على من لا سلاح له أجد أن لها دلالة أعمق من الفهم السطحي الفكاهي الذي كنا نفهمه في ذلك الوقت (...) وأولى الحقائق المستنتجة من هذا الواقع هو أن الإيمان القوي المقرون بالعمل، هو الذي يخلق السلاح المادي (أو وسيلة الإنتاج كما يمكن أن نطلق

عليها اليوم)، وليس المادة هي التي تخلق الإيمان، لأن الإيمان شيء معنوي شعوري مرتبط بالجانب الروحي في الإنسان، والمادة مسألة مرتبطة بالجانب المادي في الإنسان، والروح (كما نعتقد) هي التي تحرك المادة الجسدية، وليس المادة الجسدية هي التي تحرك الروح، بدليل أن الإنسان عندما يفارق الحياة (نتيجة سكتة قلبية مثلا) لا ينقص جسده شيء إلا طاقة الروح المحركة الخفية ***«ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»*** بينما قد يفقد الجسد العديد من أعضائه وأجزائه، ولا يفقد الحياة، لأن الروح لم تفارقه، وإذا فارقته الروح توقف كل شيء، (ولهذا الكلام تعليلات علمية لا يسمح السياق بعرضها) فالإيمان إذن هو المحرك الأول، والعمل عنصر ضروري مكمل لهذه الحركة، وإذا كان الإيمان روحي المحتوى فالعمل مادي المحتوى، ومن ثم يكون كلاهما ضروريا للآخر من أجل تكوين الفرد المتزن السوي وخلق المجتمع القوي، لأن الفرد كما أكدنا هو مادة وروح، وعقل وعضلات، وفكر وعمل.

وإذا اتفقنا على ضرورة تلازم الإيمان مع العمل على هذا النحو الذي تؤكده لنا ثورة الجهاد المظفرة، سيبقى السؤال مطروحا حول كيفية تولد هذا الإيمان المقرون بالعمل.

والجواب يكمن في حقيقة علمية (سوسيولوجية) مفادها أن أية ظاهرة أو فعل قد تم انجازه في الماضي، يمكن تكرار التجربة لانجاز مثيل له في الحاضر والمستقبل إذا توفرت نفس الشروط...

والثورة التحريرية المسلحة انجاز قد تحقق فعلا وأعطى نتيجته الملموسة المتمثلة في الاستقلال الذي ننعم به اليوم.

ومادمنا مقتنعين برفع شعار الثورة المستمرة، أو الجهاد الأكبر، من أجل الخروج من التخلف المادي والفكري وتحقيق الاستقلال الكامل الجدير بتضحيات الشهداء... يتعين علينا أن نراجع تلك الشروط المتوفرة في ثورة الجهاد، ومن أهمها في اعتقادنا:

أولا: مطابقة الأفعال للأقوال:

إذا كان العدل هو أساس الملك ***فلاشك أن الصدق هو أساس الثقة، والثقة*** هي أساس التلاحم بين الأفراد والجماعات، وهي أساس التضحية لأن من لا تثق فيه لا تضحى معه ولا تضحي - قطعا - من أجله!

وإذا فقدت عوامل التلاحم الاجتماعي المتمثلة في مثل هذه القيم السامية فقد الأفراد عوامل الترابط، والإيمان بخيرية بعضهم لبعض، وفقدت الغيرية مكانها لتبقى الأنانية وحدها في الميدان دون منافس.

فمطابقة الأفعال للأقوال هي معيار الصدق المولد للثقة، فالكافر صادق إذا قال أنا كافر، والكاذب صادق إذا قال أنا كاذب، والمؤمن كاذب إذا قال أنا كافر، والصادق كاذب إذا قال أنا كاذب...

وإذا أتينا بهذه القضايا، والمقدمات البديهية فذلك لنصل الى توضيح الترابط الوثيق بين الإيمان بالمبادىء والصدق في التطبيق...

فالعاقل لا يؤمن بشيء أنه حق إلا إذا اقتنع أن هذا الشيء كذلك، ***والاقتناع يأتي عن طريق الاستدلال والاستقراء والمشاهدة والمقارنة،*** أي مقارنة المبدأ بالتطبيق، ومقارنة الأقوال بالأفعال. ومن هنا يكون الاقتناع سابقا للإيمان، كما يكون الإيمان سابقا للفعل بحكم الأصول.

وإذا طبقنا هذا المعيار النظري على واقع ثورة الجهاد نجد أن الأفعال كانت متطابقة مع الأقوال، وما كان على اللسان صورة لما في الجنان، فتولدت الثقة بين الأفراد، وقوى الإيمان، لأن الكلام صدق والعهد حق والوعد وفاء!

فلا يخاف المجاهد على أولاده ما داموا في رعاية الأوفياء (...) ولا يتردد الجندي في التحام النار ما دام الضابط في طليعة

الشهداء، ولا يشك الشعب في إيمان الجيش ما دام الجيش قمة في الفداء، ولا يخشى الجيش من خذلان الشعب ما دام الشعب قمة في العطاء!

فالثقة المتبادلة بين الأفراد كانت هي أساس التفاني في الجهاد، وقوام التآلف والتكاتف والاتحاد.

فلنراجع هذا الشرط في أنفسنا وواقعنا اليوم على ضوء ثورة الجهاد، ونتساءل عما إذا كانت أقوالنا تطابق أفعالنا حتى نضمن الثقة بين الأفراد ونحقق الهدف المنشود من الثورة المستمرة فذلك أول الشروط.

ثانيا: الاحتكام الى المبادىء...

إذا كان من الطبيعي أن تقع بعض الاختلافات بين الأفراد في مسائل الانجاز الثوري، التي تخضع لاجتهادات الأشخاص المعرضين للسهو والخطأ، فانه من غير الطبيعي ألا يقع الاحتكام الى المبادىء بدلا من الاحتكام الى المصالح. فهذه هي نقطة القوة وتلك هي نقطة الضعف في حياة أية ثورة مهما كانت عارمة، لان الاحتكام الى المبادىء عامل جمع واتحاد وقوة، والاحتكام الى المصالح عامل تمزق وضعف وعزلة.

فالثورات مبادىء وانجازات، والمبادىء أفكار موضوعية خارجة عن ذوات الأشخاص، ومن ثم كانت قادرة على أن تجمع من حولها الملايين من الأفراد، لأنها ثابتة في مكانها ولا تتغير مع الأهواء، فهي تؤتى ولا تأتي، تغير ولا تتغير، فمن يرد أن يتعرف عليها يجدها في مكانها، على حالها، فإذا اقتنع آمن بها، ووجب عليه التزام تحقيقها في الواقع الملموس واتخاذها خطا للرجعة في كل انحراف، وأصلا للاحتكام في كل خلاف.

فالإيمان شيء معنوي كما رأينا، ولا يمكن أن نجعل شخصا مؤمنا بقوة السلاح المادي.. لأن طريق الإيمان الوحيدة هي الترغيب،

ومثلما لا نستطيع أن نصير شخصا مؤمنا بمبدأ معين بالقوة المادية، لا نستطيع أن نغير إيمان شخص بنفس الوسيلة، فالأفكار لا تغيرها إلا أفكار مثلها، ولا يفلّ الحديد إلا بالحديد، فإذا آمن الفرد بمبدأ معين حق الإيمان، أعطى حياته رخيصة من أجله، وإذا لم يؤمن ضن حتى بالكلمة الملتزمة المفيدة، فضلا عن بذل الجهد والعرق والحياة! وما دام الإيمان شيئا معنويا فانه من السهل على أي فرد كذاب أن يقول أنا مؤمن بمبدأ كذا وكذا، وليس لأحد منا الحق أن يخلع عنه ذلك الإيمان، وفي هذه الحالة قد يكثر المؤمنون، ويختلط المؤمن الحقيقي بالمؤمن المزيف، إلا أن المحك الذي سيبقى فيصلا في هذه الحالة هو السلوك الذي يقوم به هذا الفرد أو ذاك.

فالسلوك والممارسة الفعلية للمبادىء هي التي تحدد وتجسد نوع الإيمان وكمه الكامن في باطن الفرد.

ومن تجربتنا في ثورة الجهاد نذكر كيف كان يختبر الإيمان بالعمل، والمبدأ بالسلوك... ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما عرف في إحدى مراحل الثورة (بمؤامرة الزرقاء) ومفاد هذه الواقعة كما تحتفظ بها الذاكرة ويؤكدها الزملاء هي محاولة القيادة العسكرية للاحتلال، تقويض بناء الثورة المسلحة من الداخل، بعد أن فشلت بكل الوسائل في إخماد نارها من الخارج، وتتمثل تلك المؤامرة في غرس بعض الجواسيس في صفوف المجاهدين، عن طريق تظاهر هؤلاء الخونة بالوطنية وحب الجهاد والتضحية والرغبة في الانضمام الى صفوف الثوار، وكادت أن تنطلي هذه الخدعة على بعض القيادات، حيث أخذت المؤامرة تؤتي أكلها في الظلام (...) إلا أنه هيهات أن يصمد الباطل أمام الحق، إذا كان مع الحق رجال صادقون أوفياء ولو قلائل!

فكانت القوة وصمام الأمان يتمثلان في الاحتكام الى المبادىء واختبار النوايا بمحك الأفعال... فكان سلوك الدخلاء على ثورة الجهاد

مخالفا في الشدة لما يدعونه في الرخاء! ومخالفا في الميدان لما يدعونه في الأمان، وكان ذلك كافيا وحده (بالرغم من وجود عوامل أخرى لا يسع المجال لتفصيلها) لكشف شبكة المجاهدين المزيفين من طرف المجاهدين الحقيقيين.وتم استئصال الخونة - كالشوك - من أرجل الثورة العملاقة لتواصل الزحف المظفر، الى الهدف المنشود.

وعلى الرغم من تغلب الثورة على المؤامرة لم يفت قيادة الجهاد آنئذ أن تستفيد من هذه التجربة الأليمة، وتستخلص منها العبر والدروس، وتتفادى تكرارها في المستقبل (لان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين).

وأذكر انه منذ ذلك التاريخ (1958) أصدرت قيادة الولاية الثالثة التي كنت أنتمي إليها تعليمات صارمة بعدم قبول أي متطوع في صفوف الجهاد إلا إذا نفذ عملية فدائية بمفرده، كتفجيرقنبلة في إحدى بؤر العدو أو قتل أحد الخونة المسلحين في صفوف العدو وما شابه ذلك...

وكان منطق القيادة في ذلك واضحا وسليما حيث يقول: ما دام الشخص يريد التطوع في صفوف الجهاد، فهو بالضرورة مؤمن بمبادىء الثورة، وإذا كان المتطوع كذلك حقا فهو بدون شك لا يخشى الموت لأن الموت (في تلك الأيام) هو أبسط الأمور التي تعترض طريق المجاهد، وعليه فليختبر إيمان هذا الشخص المتطوع من الأساس، حتى لا يحسب على الثورة ويعيش عالة على الثوار، وكم من مدع فشل في الامتحان الصعب، وأراح الثورة وكفاها شره واستراح...

ونعود الى موضوعنا ونقيس الحاضر على الغائب، ونقول: مادمنا نرفع شعار الثورة المستمرة، ونصرح بأن للثورة أعداء في الداخل والخارج... أفلا يكون من المحتمل جدا أن تتكرر المأساة المؤامرة ونجد أنفسنا أمام الأعداد الهائلة من «المتطوعين» في ثورة البناء، والتوازن الجهوي، والعدالة الاجتماعية؟..

فما هو - والحالة هذه - المحك الذي يختبر به إيمان هؤلاء «المتطوعين» بالمبادىء الثورية في مرحلة البناء والتشييد؟؟

أما الجواب - في اعتقادي - فان التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، وأن آخر الثورة لا يصلح الا بما صلح به أولها!

وإذا كانت ثورة الجهاد قد نجحت باختبار الإيمان بالعمل والاحتكام الى المبادىء قبل المصالح... فان سنن الثورات لا تتبدل، ومقومات النجاح واحدة، وطريقته غير متعددة، فاما مبادىء تحكم البعض من أجل صالح الكل، وأما مصالح تحكم الكل من أجل صالح البعض... ولئن أحتاج هذا الحكم الى توضيح فلا أجد خيرا من التعريب لاذكره كمثال بارز من مبادىء الثورة المستمرة، ولتقس عليه المبادىء الأخرى (...)

فمن الناحية النظرية والكلامية لا نكاد نجد أحدا (من ثوار المرحلة) يجرؤ على القول (الا سرا) بأنه ضد مبدأ التعريب، واسترجاع الشخصية الوطنية، وتحقيق هويتنا... إلا أن الاعتراف - قولا - بمبدأ التعريب، وسيادة اللغة الوطنية في المواثيق والخطب الحماسية الرسمية والشعبية... لم يحل دون بقاء اللغة الوطنية حبيسة المساجد والمحاكم وبعض الثكنات والمدارس والكليات، لان الاحتكام في هذا الأمر انتقل من طور المبادىء الى طور المصالح، فمن كانت مصالحه متعارضة مع التعريب أقره باللسان وحاربه في المبدان. ومن كانت مصالحه متعارضة مع سيطرة اللغة الأجنبية على اللسان الوطني (لسبب من الأسباب) تحمس للتعريب ونادى بضرورة سيادة اللغة الوطنية، رافعا قميص عثمان (الضحية) الى أن يتحقق المنال فيكف عن المقال، ولا نعدم الأمثلة الكثيرة عمن سكت عن نداه، بمجرد أن تعلم اللغة الفرنسية أو نال رضاه في التساوي الوظيفي مع من كان أعلاه...!!

وهكذا انتقل التعريب مع مرور الأيام وتبدل الأحوال من مبدأ وطني عام الى مبدأ (بطني) خاص بأفراد أو فئات، وفي غياب الاحتكام الى المبادىء العامة ظهر الاحتكام الى المصالح الخاصة، وقويت حجة الاتهام بأن من جهل لسانا عاداه، ومن فقد منصبا بكاه، وميعت القضايا الجوهرية، وقدمت المبادىء الوطنية قربانا على مذبح المصالح الفردية والفئوية!

(وأملنا كبير في تطبيق القرارات في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني الأخيرة في هذا الخصوص).

فذلك مثال حي لنتائج الاحتكام الى المصالح بدلا من الاحتكام الى المبادىء في غياب المحك الثوري الأصيل، المتمثل في تلازم الإيمان مع العمل، وتطابق الأفعال مع الأقوال، والاحتكام الى المبادىء الموضوعية الثابتة بدلا من الاحتكام الى المصالح الشخصية المتغيرة!

فذلك درس من المئات التي تزخر بها هذه الثورة المجيدة. ولقد حاولت أن أجتهد في استخلاص هذا الدرس الهام في نظري الذي أرجو أن يكون مفيدا لأجيال الخلف عن أبناء الاستقلال الذين لم يعرفوا ظلم الاحتلال، وأؤكد لهم في الأخير بأنه إذا كان كل احتلال يحمل بذور استقلال (مثلما حاولنا أن نثبت بالبيان والحجة والبرهان في طيات هذه الصفحات...) فإن كل استقلال - أيضا - يحمل بذور احتلال، والمسؤولية التاريخية تقع حتما على الجيل الذي يقع عليه هذا الاحتلال أو الجيل الذي لا يعرف كيف يحافظ على هذا الاستقلال الذي حققه الرجال الأبطال من مختلف المناطق والجهات والأجيال والفئآت.

ال[illegible]

[illegible]

[illegible] بين الكيميرة [illegible])

الملاحق

حقائق في وثائق

بيان أول نوفمبر 1954

« أيها الشعب الجزائري،

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

وأنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعني الشعب بصفة عامة والمناضلون بصفة خاصة - نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية، التي تهدف الى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.

فنحن نعتبر، قبل كل شيء، أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد ادركت مرحلة التحقيق النهائية. فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع - هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا (شيء ينهى) حول قضية الاستقلال والعمل. أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد. فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا. ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا كنا منذ مدة طويلة أول الداعين الى الوحدة في العمل. هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض الى مصير من تجاوزته الأحداث. وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة، نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء محرومة من سند الرأي العام الضروري، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية، إن المرحلة خطيرة.

وأمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا وأن مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، إن الوقت حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها في صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها الى المعركة الحقيقية الثورية الى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة

ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى. الذي رفض رفض وسائل الكفاح السليمة، أن يمنح أدنى حرية.

ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم:

«جبهة التحرير الوطني»:

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنضم الى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر.

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا:

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1) إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادىء الإسلامية.

2) احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

1) التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية الى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

2) تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

1) تدويل القضية الجزائرية.

2) تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

3) في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائل الكفاح:

انسجاما مع المبادىء الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفنا يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد هما:

أولا: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض.

ثانيا: العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية. وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشروعة للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2) فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3) خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الاجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

1) فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

2) جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3) تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تنضم إليها لانقاذ بلدنا والعمل على أن نسترجع له حريته. إن جبهة التحرير الوطني جبهتك وانتصارها هو انتصارك.

أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للامبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك».

أول نوفمبر 1954.

نداء الى الشعب الجزائري المجاهد... (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون الجزائريون:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله وأحياكم وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نورا يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يسمع الآذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها الى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطلق الذي يقوم القلوب الغلف، وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب والأوهام.

كان العالم يسمع ببلادنا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء، على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم الى المجازر البشرية، في الحروب الاستعمارية، فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدة، بل في سبيل فرنسا، وتوسيع ممالكها، وحماية ديارها، ولو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل الجزائر، لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء.

أيها الأخوة الجزائريون:

أذكروا غدر الاستعمار ومماطلته.

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن، وشهد لكم التاريخ، بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين، نصف هذه المدة.

فما رعت في حربها لكم دينا ولا عهدا، ولا قانونا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة، بديارها وحيواناتها وأقواتها.

ثم حاربتم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها، ورحمت بهم وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلا، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم، ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم، ثم تقتلكم، كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم، الذين ماتوا في سبيلها، وجلبوا لها النصر، الا أنها نقشت اسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق، والعدل، والقانون، والإنسانية، من أربعين سنة، بأن ترفق بكم، وتنفس عنكم الخناق قليلا، فما استجابت، ثم طالبتموها، بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية، فما رضيت، ثم طالبتموها

(*) بيان نشر ووجه من القاهرة في 15 نوفمبر 1954، وهو منشور في كتاب (الجزائر الثائرة) للمرحوم الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي طبع بلبنان في الخمسينات.

بحقكم الطبيعي، يقركم عليه كل إنسان، وهو ارجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فاغلقت اذانها في أصرار وعتو، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها، سائرة في معاملتكم من فظيع الى أفظع.

أيها الاخوة الجزائريون الأبطال:

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تداورونها لأجله، ولم يبق لكم خيط من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها ويشترى، وحظكم من خيرات بلادكم، النظر بالعين والحسرة في النفس؟ أم تخافون على القصور، وتسعة أعشاركم يأوون الى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله، ومحت آثاره من الأرض، وهي تجهد في محو آثاره من النفوس.

أيها الاخوة المسلمون:

إن التراجع معناه الفناء.

إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري، إنما يعيش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها.

وانها سارت بكم من دركة الى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم وشعائركم، وضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها على احداث (إسلام جزائري) ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إن الرضى بسلب الأموال، قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فانه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنكم في نظر العالم العاقل المنصف، لم تثوروا، وإنما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعُتُوّها الطاغي، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها المريع على مقدساتكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله وبالإسلام، أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، ان التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدي.

إن شريعة فرنسا، انها تأخذ البرىء بذنب المجرم، وانها تنظر إليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة، وهي أنها عدو لكم وأنكم عدو لها، ووالله لو سالمتموها ألف سنة، لما تغيرت نظريتها العدائية لكم، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروبتكم، وجميع مقوماتكم.

إنكم مع فرنسا، في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.

إنكم كتبتم البسملة بالدماء، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم.

ما كان للمسلم أن يخاف الموت، وهو يعلم أنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته، في سبيل الله، والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها قربة الى الله، وما كان له أن يرضى الدنية في دينه، إذا رضيها في دنياه.

اخلصوا العمل واخلصوا بصائركم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم، ما دعاكم القرآن، من الصبر في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله: «جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» وقول الله: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين».

أيها الاخوة الأحرار،

هلموا الى الكفاح المسلح.

إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصرين في الجهاد لاعلاء كلمته، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله، وبعونه وتوفيقه الى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد الى إحدى الحسنيين، إما موت وراءه الجنة، واما حياة وراءها العزة والكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة
محمد البشير الإبراهيمي - الفضيل الورتلاني
القاهرة، 15 نوفمبر 1954.

ميثاق جبهة تحرير الجزائر

تداعي ابناء الجزائر المسؤولين المقيمون في مصر الى مدارسه كل ما جرى، ويجري في بلادهم من عدوان وتنكيل وتقتيل وتشريد، من جانب استعمار غاشم حقود. استقر رأيهم على الوثيقة التالية والتي وقعها السادة: محمد البشير الإبراهيمي، أحمد مزغنة، أحمد بيوض، محمد خيضر، الشاذلي مكي، الفضيل الورتلاني، حسين الأحول، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد يزيد.

في الجزائر العربية المسلمة، اليوم كفاح مسلح خطير، لأجل استرجاع سيادتها واستقلالها، دفعها إليه استعمار بغيض، تسلط عليها بقوة الحديد والنار، واسترق خيراتها، وحاول طمس معالمها وتحطيم كيانها، وجردها من كل حق في الحياة الحرة العزيزة الكريمة ضاربا صفحا عن تطور الزمن، وعن أن الاستعمار لم يعد في القرن العشرين أسلوبا صالحا للبقاء.

ولقد كان من الطبيعي، والحالة هذه، أن تتوحد جهود المسؤولين الجزائريين الموجودين في القاهرة الموقعين أسفله، وأن يكونوا يدا واحدة في خدمة الجزائر، والكفاح في سبيل تحريرها واستقلالها مساندين بذلك جيش التحرير، وعاملين على انجاح الحركة الثورية القومية القائمة الآن في الجزائر.

ولقد اقتنع الجميع بما تضمنته هذه الديباجة، وقرروا بالإجماع ما يأتي:-

1 - يعتبر الشعب الجزائري على اختلاف أفراده، وهيئاته - فيما يختص بالكفاح الرهيب - كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية، ومن شذ شذ في النار.

2 - تسمى الهيئة المنضوي تحت لوائها أبناء الجزائر المسؤولون المقيمون في القاهرة «جبهة تحرير الجزائر».

3 - تعمل الجبهة لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ومن كل سيطرة أجنبية مستعملة كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها.

4 - الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت، وعلى الإسلام والعروبة تعيش، وهي في ذلك تحترم سائر الأديان، والمعتقدات، والأجناس، وتشهّر بسائر النظم العنصرية الاستعمارية.

5 - الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير، وأن اتجاهها الى العروبة، وتعاونها مع الشعوب، والحكومات، والجامعة العربية أمر طبيعي.

6 - الإيمان بوجوب توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاثة: تونس، الجزائر، مراكش.

7 - جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع وأشمل للأقطار المغربية الثلاثة بنظام يوضع،

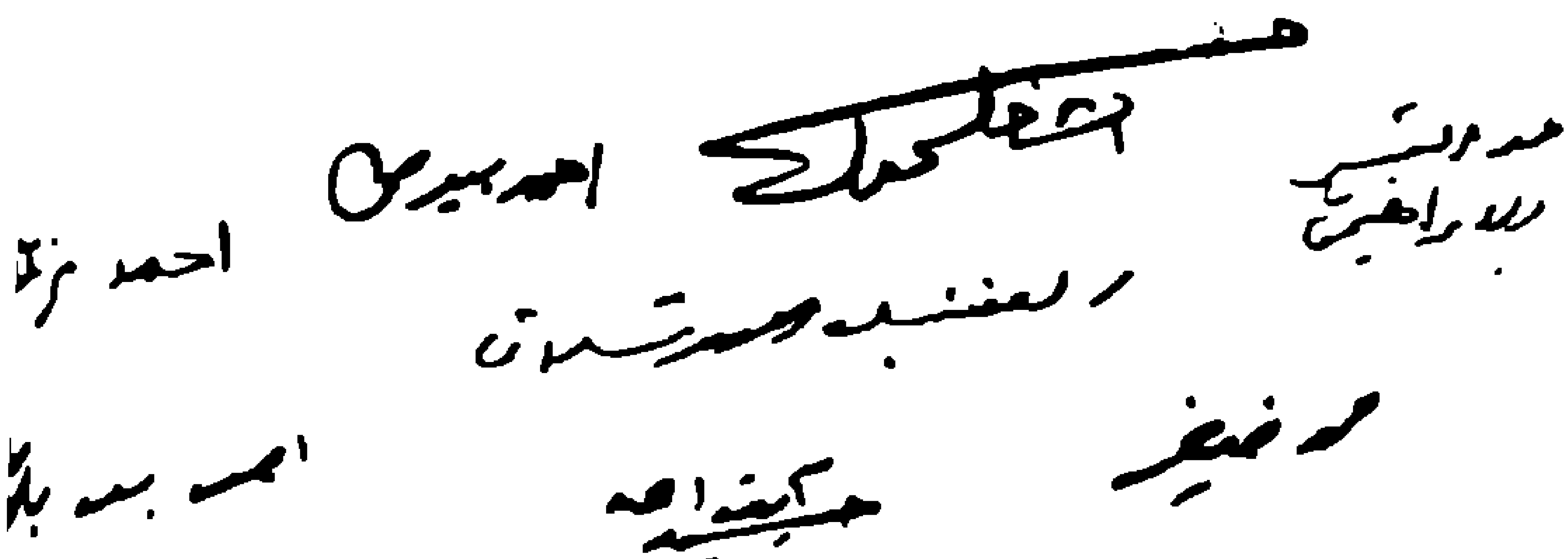
ومسؤوليات تحدد. وتهيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومراكش أن يضعوا أيديهم في يدها، وأن يعملوا معها على تأسيس هيئة تنتظم الجميع.

8 - تنتهز الجبهة هذه الفرصة لتبعث بتحياتها الأخوية الى سائر المكافحين في الجزائر سواء منهم من حمل السلاح، أم من كان عاملا وراء الميدان، والى المساجين والمعتقلين السياسيين ضحايا القمع والارهاب مترجمة على الشهداء.

9 - وتهيب جبهة تحرير الجزائر في القاهرة بأخوانها في العالمين: العربي والإسلامي، وبأحرار الدنيا جميعهم - ليناصروا الجزائر في كفاحها من أجل حريتها واستقلالها؛ فهم بذلك يناصرون الديمقراطية الحقة، والإنسانية المعذبة، والمبادىء السلمية...

امضاءات الاعضاء المؤسسين

القاهرة في { ٢٤ جمادى الثانية ١٣٧٤
١٧ فبرايـــــــر ١٩٥٥ }



موالاة المستعمر خروج عن الإسلام (*)

أيها المستمعون الكرام... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إذا قلنا أن موالاة المستعمر خروج عن الإسلام فهذا حكم مجمل، تفصيله أن الموالاة مفاعلة أصلها الولاء أو الولاية، وتمسها في معناها مادة التولي والألفاظ الثلاثة واردة على لسان الشرع، منوط بها الحكم الذي حكمنا به وهو الخروج عن الإسلام. وهي في الاستعمال الشرعي جارية على استعمالها اللغوي وهو - في جملته - ضد العداوة، لأن العرب تقول واليت أو عاديت، وفلان ولي أو عدو، وبنو فلان أولياء أو أعداء، وعلى هذا المعنى تدور تصرفات الكلمة في الاستعمالين الشرعي واللغوي.

وماذا بين الاستعمار والإسلام من جوامع أو فوارق حتى يكون ذلك الحكم الذي قلناه صحيحا أو فاسدا؟

إن الإسلام والاستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية، فالإسلام دين الحرية والتحرير، والاستعمار دين العبودية والاستعباد، والإسلام شرع الرحمة والرفق، وأمر بالعدل والإحسان، والاستعمار قوامه على الشدة والقسوة والطغيان، والإسلام يدعو الى السلام والاستقرار، والاستعمار يدعو الى الحرب، والتقتيل والتدمير والاضطراب، والإسلام يثبت الأديان السماوية ويحميها، ويقر ما فيها من خير ويحترم أنبياءها وكتبها، بل يجعل الإيمان بتلك الكتب وأولئك الرسل قاعدة من قواعده وأصلا من أصوله، والاستعمار يكفر بكل ذلك ويعمل على هدمه خصوصا الإسلام ونبيه وقرآنه ومعتنقيه.

نستنتج من كل ذلك أن الاستعمار عدو لدود للإسلام وأهله، فوجب في حكم الإسلام اعتبار الاستعمار أعدى أعدائه، ووجب على المسلمين أن يطبقوا هذا الحكم الإسلامي وهو معاداة الاستعمار لا موالاته.

الاستعمار الغربي - وكل الاستعمار في الوجود غربي - يزيد على مقاصده الجوهرية وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال، مقصدا آخر أصيلا وهو محو الإسلام من الكرة الأرضية خوفا من قوته الكامنة، وخشية منه أن يعيد سيرته الأولى كرة أخرى.

وجميع أعمال الاستعمار ترمي الى تحقيق هذا المقصد، فاحتضانه للحركات التبشيرية وحمايته لها وسيلة من وسائل حربه للإسلام.

وتشجيعه للضالين المضلين من المسلمين غايته تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النفوس، ثم محوه بالتدريج.

ونشره للالحاد بين المسلمين وسيلة من وسائل محو الإسلام، وحمايته للآفات الاجتماعية التي يحرمها الإسلام ويحاربها - كالخمر والبغاء والقمار - ترمي الى تلك الغاية، ففي الجزائر - مثلا - يبيح الاستعمار الفرنسي فتح المقامر لتبديد أموال المسلمين، وفتح المخامر لافساد عقولهم وأبدانهم، وفتح المواخير لافساد مجتمعهم، ولا يبيح فتح مدرسة عربية تحيي لغتهم أو فتح مدرسة دينية تحفظ عليهم دينهم.

(*) حديث ألقاه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بإذاعة صوت العرب بالقاهرة عام 1955م.

ويأتي في آخر قائمة الأسلحة التي يستعملها الاستعمار الغربي لحرب الإسلام اتفاقه بالإجماع على خلق دولة إسرائيل في صميم الوطن العربي، وانتزاع قطعة مقدسة من وطن الإسلام واعطائها لليهود الذين يدينون بكذب المسيح وصلبه، وبالطعن في أمه الطاهرة.

فالواجب على المسلمين أن يفهموا هذا، وأن يعلموا أن من كان عدوا لهم فأقل درجات الانصاف أن يكونوا أعداء له، وأن موالاته بأي نوع من أنواع الولاية هي خروج عن أحكام الإسلام، لأن معنى الموالاة له أن تنصره على نفسك وعلى دينك وعلى قومك وعلى وطنك.

والمعاذير التي يعتذر بها الموالون للاستعمار كالمداراة وطلب المصلحة، يجب أن تدخل في الموازين الإسلامية، والموازين الإسلامية دقيقة تزن كل شيء من ذلك بقدره ويقدر الضرورة الداعية إليه، وأظهر ما تكون تلك الضرورات في الأفراد لا في الجماعات ولا في الحكومات.

موالاة المستعمر أقبح وأشنع ما تكون من الحكومات، وأقبح أنواعها أن يُحالف، حيث يجب أن يخالف، وأن يعاهد، حيث يجب أن يجاهد، وأقبح ما فيها من القبح أن يحالف استعمار على حرب استعمار.

وقد كانت الحروب قبل اليوم لمعان بعضها شريف، وقد يكون أحد الجانبين فيها على حق، أما هذه الحروب التي لا تنتهي الواحدة منها إلا وهي حامل مُقْرِب بأخرى أشد منها هولا، وأشنع عاقبة، فلم يبق فيها شيء من معاني الشرف ولا من معاني الرحمة ولا من معاني الكرامة الإنسانية، وإنما هي حرب مجنونة يبعثها حب الاستعلاء والتسلط على الضعفاء، والاستئثار بخيرات أرضهم، والضعفاء دائما هم الأدوات التي تقع بها الحرب، وتقع عليها الحرب، فهم في السلم محل النزاع، وفي الحرب ميدان الصراع.

لا مثال للبلاهة والبلادة أوضح من محالفة الضعيف للقوي إلا إذا صح في الواقع وفي حكم العقل أن يحالف الديك النسر، أو يحالف الشاة الذئب.

كيف نحالف الأقوياء، وقد دلت التجارب أنهم إنما يحالفوننا ليتخذوا من أبنائنا وقودا للحرب، ومن أرضنا ميدانا لها، ومن خيرات أرضنا أزوادا للقائمين بها، ثمّ تنتهي الحرب ونحن المغلوبون الخاسرون على كل حال، وقد تكررت النذر فهل من مذكر؟

أيها المسلمون أفرادا وهيئات وحكومات.

لا توالوا الاستعمار فان موالاته عداوة لله وخروج عن دينه.

ولا تتولوه في سلم ولا حرب فان مصلحته في السلم قبل مصالحكم، وغنيمته في الحرب هي أوطانكم.

ولا تعاهدوه فانه لا عهد له.

ولا تأمنوه فانه لا أمان له ولا إيمان.

إن الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فلا يكتب عليكم التاريخ أنكم زدتم في عمره يوما بموالاتكم له.

ولا تحالفوه فان من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجزائر المجاهدة (*)

لو قسمت حظوظ الجهاد بين الأمم لحازت الجزائر قصبات السبق. ونطلق الجهاد على معناه الواسع الذي يقتضيه اشتقاقه من الجهد. ولنبدأ بمعناه الخاص وهو جهاد العدو الأجنبي المغير على الوطن. وقد وضع الله الجزائر في موضع يدعو الى الجهاد وعلى وضع يدعو الى الجهاد. فموضعها الضفة اليسرى للبحر الأبيض للمتجه الى المغرب. ووضع الأمم اللاتينية على الضفة اليمنى والبحر بينهما يضيق الى عشرات الأميال كما بين صقلية وبنزرت في تونس. ويتسع الى مئات الأميال كما بين مدينة الجزائر ومرسيليا. والأمم اللاتينية أمم مطامع وفتوح وكبرياء ودماء منذ كانوا. لم يزدها المسيحي السامي الروح إلا ضراوة بذلك لأن طبيعتها المادية المتكالبة غلبت طبيعته الروحية المتسامحة وبذلك أصبح دينا رومانيا لا شرقيا.

والأمة الجزائرية هي بعض جزء من البربر في القديم وبعض جزء من العرب في الحديث. وكلتا الأمتين لها خصائص متقاربة في الإباء والحفاظ والأنفة واعتبار الحمى عرضا تجب الموت دونه. وفي معنى السخاء الذي يبتدىء بالمال ويعلو فينتهي بالروح - والجود بالروح أقصى غاية الجود.

وجاء الإسلام فأخرج من المزاج المشترك بين العنصرين مزاجا ثالثا وقوى معنى الحمى والحوض والحفاظ وهي المعاني التي كان يتهالك العرب ويتفانون لأجل حمايتها الى معنى روحاني أعلى وأسمى وهو الجهاد دفاعا وهجوما لاعلاء كلمة الله وهي نشر العدل والإحسان في الأرض ونشر الخير والمحبة في نفوس أهل الأرض.

هذا المزاج المتحذر من الخصائصالفطرية التي زادها الإسلام تثبيتا وأولاها عناية وغربلة. هو الذي ترك الأمة الجزائرية أمة جهاد بجميع معانيه. وعلى هذا المعنى يجب أن يبني المؤرخ تاريخ الجهاد النفسي في هذه الأمة.

لم تخل العصور الإسلامية من الجهاد بالنفس في الجزائر لأن الجارين المتقابلين على ضفتي البحر الأبيض أصبح كل واحد منهما بالمرصاد لصاحبه. وانتقل لب الصراع بينهما من ميدان الى ميدان فبعد أن كان صراعا على العيش أو التوسع في العيش أو صراعا على الزيت والقمح - وهما المادتان اللتان جلبتا الفتح الروماني على افريقيا الشمالية - صار صراعا على الدين زاد في شدته أن العرب بدينهم خلفوا الرومان على حضارتهم في افريقيائم لمسوهم من جبل طارق تلك اللمسة المزلة التي تطيروا وطاروا فزعا وظنوا أنها القاضية على روما ودياناتها وحضارتها وشرائعها. وهذا الميدان الذي انتقل إليه الصراع أعمق أثرا في النفوس ويزيد في عمقه أن حامليه العرب قوم لا تلين لهم قناة ولا يصطلى بنارهم.

ندع الفترة الرومانية الضعيفة التي سبقت الفتح الإسلامي وبدأت من يوم انقسام روما الى شرقية وغربية وصاحبته فهي فترة سلم اضطراري. ومضى الرومان ففاضوا وقوي العرب ففاضوا. ونتحدر مع التاريخ الى ضعف الأندلس وملوك الطوائف وتداعي اللاتين الى احياء روح الثأر والانتقام وشن الغارات على سواحل المغرب من سواحل تونس الشرقية الى السواحل المراكشية على المحيط. فالجزائر كان لها القدح المعلى في الجهاد

(*) كلمة ألقاها الشيخ من إذاعة صوت العرب بالقاهرة، 5 جوان 1955م.

تارة منظما على أيدي الدول والاستنفار وتارة - وهو الدائم الذي لا ينقطع - بالوازع النفساني الفردي وهو الرباط الذي يشبه في جهته الفردية حرب العصابات اليوم.

فكانت الثغور الجزائرية المشهورة والمهجورة التي يتطرق منها العدو عامرة دائما وأبدا بالمرابطين وهم قوم نذروا أنفسهم لله ولحماية دينه يبتغون فضلا من الله ورضوانا لا يرزؤون الحكومات شيئا من سلاح ولا زاد وإنما يتسلحون ويتزودون من أموالهم ليجمعوا بين الحسنيين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس. وسلسلة الرباط لم تنقطع إلا بعد استقرار الأمر لفرنسا. وإنما كانت تشتد وتخف تبعا لما يبدو على الضفة الأخرى من نشاط وخمود. وكانت على أشدها في المائة التاسعة والعاشرة والحادية عشرة في الوقت الذي عادت فيه الكرة للاسبان على المسلمين في الأندلس واغتنمها الإسبان فرصة لاحتلال ثغور البحر المتوسط الافريقية ومعظمها في جزائر اليوم.

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830 تنفيذا لخطة مرسومة تقتضي إعادة شمال افريقيا لا تينيا كما كان قبل الإسلام، وإذا كان قديما على يد الرومان وكان اليوم على يد الفرنسيين فإنما ذلك توارث بين ابن العم وابن عمه، والخطة تقتضي احتلال الجزائر اليوم، واحتلال جناحيها يوم مجيء الوقت، ومعاونة من يريد احتلال جزء آخر من التراث الإسلامي.

وسكت العرب عن هذه الفاجعة التي حلت بقطعة جليلة من وطنهم الأكبر، وسكت المسلمون من ورائهم كأن الأمر لا يعنيهم، وما دروا أن ضياع الجزائر مؤذن بضياع غيرها وأن موت البعض من بعض قريب كما يقول الشاعر:

وانخنست تركيا قانعة بالموجود   وما درت أن الموجود اليوم مفقودا غدا

ولكن الجزائريين لم يسكتوا وبدأت المقاومة لأول أمرها قريبة من نظام المرابطة ثم نظمت على يد الأمير عبد القادر بن محي الدين وبقيادته وبلغت الأوج في سنواتها الأولى وأصبحت مرهونة يخشى بأسها في سنواتها الوسطى وذاق الفرنسي الوبال وتجلى الجزائري عن بطولة كاملة يرفدها الروح المركب بيد الإسلام من حقيقة العربي والبربري التي أصبحت بفضله حقيقة واحدة وبقي الحفاظ متأججا ست عشرة سنة تعاونت العوامل في آخرها على القائد عبد القادر فاستسلم مكرها وتحطمت المقاومة الجماعية المنظمة بتسليم الأمير. ولكن هل تحطمت المقاومة بتسليم الأمير؟.

لم تتحطم المقاومة إلا في السهول التي مهد سبلها وفعل فيها الجيش الفرنسي الأفاعيل الوحشية التي يعترف بها القادة مثل القائد سانت أرنو في كتابه المعروف برسائل سانت أرنو، فمن أراد أن يعرف ما تصنعه الوحشية العاقلة، وما صنعته فرنسا في الجزائر من تقتيل وتحريق للجماعة الكاملة بنسائها ورجالها وأطفالها فليقرأ ذلك الكتاب ولو اشتراه باحث بوزنه ذهبا لما كان مغبونا لأنه يضع يده على الفظائع التي ارتكبها أجداد هؤلاء الكاذبين المتبجحين المستطيلين على العالم بالدعاوي الزائفة في العلم والمدنية.

أما في الجبال فبقيت المقاومة على أشدها في شكل تمرد شامل وفي ثورات متتالية في جهات متباعدة لا تدل على قوة وإنما تدل على حمية وأنفة، الى أن كانت أكبرها وخاتمتها ثورة الحاج أحمد المقراني سنة 1871 أثناء اشتغال فرنسا بحربها السبعينية مع الألمان، في مقاطعة قسنطينة التي تشكل نصف القطر الجزائري تقريبا في عدد السكان ورقعة الأرض، وكانت ثورة المقراني بعد واحد وأربعين سنة من الاحتلال مرت كلها في المقاومات والثورات المسلحة ولم تسترح فيها فرنسا، ولا اطمأن لها جنب، فمدة المقاومة المتصلة إذن هي أربعون سنة وهي من أطول المقاومات أمدا في التاريخ ولو طالت الحرب السبعينية بين فرنسا والألمان سنتين أو ثلاثة لباءت ثورة المقراني بالنصر والنجاح، ولكن فرنسا انهزمت ودفعت الجزية للألمان عن يد وهي صاغرة، ودفعت بقايا جيشها الى الجزائر لتحطيم ثورة المقراني.

فهذه هي نهاية الجهاد المسلح، أما أنواع الجهاد الأخرى ففيها تظهر قوة الجزائر وإيمانها وصلابتها، ولا يعرف قيمة هذا النوع في الجهاد إلا من عرف (فرنسا في الجزائر) وما سلطت فرنسا على الجزائر وما ساقت إليها من شرور وبلايا.

إن فرنسا بعد التمهيدات العسكرية الأولى رأت أن عمل الحديد والنار لا ينفع ولا يدوم لأنه يمنع القرار والاستغلال وهي ما جاءت الا لتستقر وتستغل ورأت أن ملك القلوب بالإحسان ليس من طبعها ولا من سيرتها، وأن تحطيم المقاومة المادية لا يغني ما لم تحطم المقاومة الروحية فعمدت الى وضع برنامج واسع طويل عريض لضمان بقائها في الجزائر يجمعه مع طوله وتشعب فروعه قولك (افساد معنويات الشعب) ومن أقوى المعنويات الدين، فبدأت بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وأحالت كثيرا من المساجد الى كنائس. ثم شرعت في تنفيذ برنامجها البطيء، فضيقت على دروس الدين، ودروس العربية لأنهما حافظا المقومات الروحية حتى ينسى الناس دينهم ولغتهم بالتدريج وتسلطت على بقية المساجد تتصرف فيها تصرفا مطلقا فهي التي تعين المفتين والأئمة والمؤذنين والقومة وكل من له تعلق في المسجد، فتوصلت بذلك الى افساد هذه الطائفة الدينية بالرغبة في الوظيفة والتعلق، حتى أصبح رجال الدين كلهم جواسيس لها ومخبرين وحالتهم اليوم أتعس حالة، وأقبح مثال من مخالفة الوظيفة لمعناها، فالإمامة في الإسلام منصب جليل وصاحبه قائد روحاني يقلب قلوب الناس بخطبه الدينية في بيوت الله، والمساجد أجواء روحانية يعطرها الإمام الصالح العارف بما يخرج من فيه، بل من روحه ويتصل بنفوس فإذا هي تفعل فيها فعل المطهر الكيميائي الذي يبيد الحشرات والجراثيم.

كان من وسائل فرنسا لافساد المعنويات هذه الأعمال التي نذكرها مسرودة وكل واحد منها موضوع بالقصد لغاية، أو لغايات ينتهي إليها بالطبيعة إذا لم يجد في طريقه مقاومة طبيعية أو صناعية.

1 - حماية الدجالين والمضللين باسم الدين من شيوخ الطرق الصوفية، وقد جنت فرنسا من هؤلاء كل خير لنفسها فقد كانوا مطاياها وجنودها الروحيين في احتلال الأوطان الإسلامية، ويقول بعض المغفلين إنهم هم الذين نشروا الإسلام في أواسط افريقيا وفي السودان، وهذا تخليط، فان الذين نشروا الإسلام في تلك الأصقاع هم طائفة من أجدادهم الصالحين بمعونة التجار أما هؤلاء الأحفاد فما نشروا إلا الاستعمار الفرنسي.

2 - نشر الفجور وحمايته.

3 - نشر الخمر لاتلاف الأموال وافساد العقول وكم خربت معها الرذيلة من بيوت وكم أتت على ثروات وكم نقلت من مئات آلاف الفدادين من الأراضي الخصبة من يد أصحابها المسلمين الى أيدي اليهود ثم الى أيدي أوزاع أوروبية يسمونها المعمرين.

جهاد الجزائر وطغيان فرنسا (*)

أيها الاخوة الكرام.

اما الجزائر فقد أعربت عن نفسها بالأعمال الخالدة التي قامت بها ثورتها وثائروها، وبما أحيت من شرائع الجهاد وسجلت من مواقف البطولة والشجاعة ووقوف العدد القليل من أبنائها، بما يملكون من سلاح بدوي قليل لا يغني فتيلا في مجرى العادة، في وجه عدو يفوقه أضعافا مضاعفة في العدد والعدة والنظام والتدريب تسانده جميع الأسلحة العصرية الفتاكة من طائرات ودبابات ومدافع ثقيلة وقادة باشروا الحروب الاستعمارية وقادوها في ميادين مختلفة بالمشرق والمغرب، وتمرنوا على أساليبها، يستمدون لوازم الحرب من سلاح وعتاد ومال من بلدهم، فلا يرد لهم طلب ولا يتأخر امداد.

أعربت الجزائر عن نفسها بهذا كله، فحققت الجهاد بالنفس وهو أحد نوعي الجهاد، وهو النوع الذي علمت أخباره واشتهرت في العالم، ورفعت اسم الجزائر الى السماء، وأصبح ذكرها مقرونا بالاعجاب والاكبار، وذكر بنيها مقرونا بالمدح والثناء. وأصبحت بطولتهم وشجاعتهم وصبرهم واستماتتهم في سبيل حرية بلادهم مضرب الأمثال وحديث الركبان.

واما النوع الثاني من الدعائم التي تقوم عليها الثورة وهو الجهاد بالمال، فقد قامت الجزائر وحدها بما تتطلبه الثورة من مال، ولم تدخر عزيزا على أبنائها الثائرين المباشرين للجهاد، واذا كانت فرنسا تنفق على جيشها في الجزائر المبالغ الطائلة (فيقول المقللون أنها تنفق يوميا مليارا من الفرنكات، ويقول المكثرون انها تنفق مليارا ونصفا في اليوم الواحد، مما أثقل ميزانيتها وأوقف ماليتها على حافة الافلاس لولا إعانة أمريكا التي عرفنا عنها أنها حاضنة الاستعمار وممرضته) فان الجزائر المسكينة تنفق على ثورتها كل ما تملك من مال وسلاح وكسوة وطعام، وهي صامدة في ذلك محتسبة، كل ذلك والفلاحة التي هي قوام الجزائر تتعطل وتتنافه على التاريخ، وفق سياسة مرسومة من الاستعمار الفرنسي لأنه يعلم أن وفرة الفلاحة وخصب السنوات معناه امداد الثورة بالغذاء، فضيقوا دائرتها وأرهقوا الفلاحين بالضرائب من جهة وبالاجلاء من الديار وعدم الاستقرار وفقد الأمن وتشديد المراقبة في تقدير المحصول، واتلافه في كثير من الجهات قبل الحصاد أو بعده حتى يجوع الشعب ويجوع المجاهدون تبعا لهم فيستسلموا.

ولفرنسا في تجويع الشعب الجزائري سنة قديمة معروفة، فكلما أرادت حمله على مكروه عمدت الى تجويعه بوسائل شيطانية تبرأ منها الإنسان، وقد كان الوطن الجزائري قليل المجاعات يوم كانت أطرافه متباعدة ووسائل النقل فيه تعتمد على القوافل، ولكنه في عهد الحضارة الفرنساوية ووفرة وسائل النقل البخارية والميكانيكية - بحيث تصل النجدة الى أطرافه المتباعدة في يوم أو بعض يوم - أصبحت تتكرر فيه المجاعات المبيدة مرة أو مرتين في كل خمس سنوات، فكلما احتاجت فرنسا الى بضع مآت من الجنود المأجورين تعزز بهم جيشها أو الى بضع مآت من الأطفال المشردين تملأ بهم مدارس التبشير دبرت مجاعة اصطناعية وما أبرع الاستعمار الفرنسي في تدبير المجاعات في وطن يفيض بالخيرات وتكفي محاصيله لأضعاف سكانه، ووسيلتها

(*) كلمة للشيخ البشير الإبراهيمي ألقاها في القاهرة سنة 1956م.

الى هذا التدبير أن توعز الى شركات تصدير الحبوب في موسم التصدير بأن تصدر أكبر كمية منها الى أوروبا وغيرها، وتزيل من طريقهم كل القيود. فيجمعون كل غلة الموسم في الصيف، فإذا جاء فصل البرد والحاجة وجد الأهالي الأسواق خالية من الحبوب، وارتفعت الأسعار وحلت المجاعة واستحكمت حلقاتها فوجد العسكريون في الشباب الجائع حاجتهم من الجنود المأجورين، والمبشرون حاجتهم من الأطفال الجياع الحفاة العراة الذين يربونهم على النصرانية، ووجد المعمرون حاجتهم من قليل الأرض التي بقيت بيد الأهالي المسلمين يبيعونهم إياها بالثمن البخس، وبهذه الوسيلة الشيطانية خرجت معظم الأرض من أيدي الجزائريين، وبهذه الوسيلة دعمت فرنسا جيشها بتلك الكتائب من الشباب الجزائري الشجاع الذين ردوا عنها جحافل الغزاة من الألمان وجلبوا إليها النصر في الوقائع الكبرى باعتراف الفرنسيين أنفسهم.

كانت فرنسا تعد الجزائريين في أيام المحن وتمنيهم باعطاء الحقوق السياسية أو بعضها إذا انتهت الحرب وانتصرت فرنسا لتشتري بتلك الوعود حسن بلائهم في الحرب وصدق نياتهم معها لأنها تعلم أن شجاعة الجزائري في الحرب واقدامه إنما يصدر فيهما عن طبيعة متأصلة فيه، أما قلبه واما نيته واما عقله فهي ضد فرنسا التي بتلك الوعود الخلابة إنما تتملق عواطفه الى حين، وقد ظهر الطبع الفرنسي على حقيقته من الخداع والمراوغة وخلف الوعد والكذب في أعقاب الحربين العالميتين.

دور الدين في الثورة (*)

إن الدين كان يمثل في الواقع تكنولوجيا - إن صح التعبير - الثورة الجزائرية الأساسي عبر تاريخها الطويل فهو روح ومحرك مختلف مراحل الكفاح الوطني، ومفجر قوى الشعب. ولذلك كان رجال الثورة يسمون بالمجاهدين، وجريدتهم تسمى المجاهد، وكلمة (الجهاد) لدى الشعب لها رنين خاص وطابع تعبوي - كما يقال - وهذا ما يفسر استبدال كلمة «مقاومة» بكلمة: «جهاد».

وقد كانت جريدة الثورة في السنوات الأولى تسمى «المقاومة الجزائرية» ثم استبدلت بـ «المجاهد» وهذا التعبير له دلالة روحية وفكرية في رأيي. فكلمة «المقاومة» توحي بالضعف ويقابلها كلمة قوة. وبدون الدخول في التحليلات اللفظية للكلمة ومقابلها أقول: إن المقاومة أيا كان نوعها لا تمثل فعلا من الأفعال، بل هي مجرد رد فعل. فالمقاوم بهذا المعنى يقاوم فقط.

أما كلمة «الجهاد» فتعني باختصار، الهجوم، والفعل. والمستعمر هو الذي يقاوم، ويرد الهجوم. وشتان ما بين المعنيين في التحليل وفي الأثر النفسي. وعن طريق هذا اللقاء العنيف بين الجهاد والمقاومة المضادة، تتولد شحنة ذات طبيعة روحية تعطي لحركات الثورة صلابة، ونفسا جديدا.

(*) عثمان شبوب (عن مجلة الأصالة عدد: 22-1974)

أحداث مهدت لثورة نوفمبر 1954 (*)

إننا لا يمكن أن نؤاخذ الكتاب الأجانب بجهل بعض الأحداث أو الحقائق التي كانت وما زالت محاطة بالكتمان ولا يمكن أن نطالبهم بأن ينظروا الى أحداث تاريخنا القريب بنفس نظرتنا، ولكن تعمدهم لكتابة تاريخ منقوص للأحداث هو ما نؤاخذهم عليه، بل أنهم استغلوا هذا النقص استغلالا سيئا مقصودا أدى بهم الى أن «يتخيلوا» أحداثا و«يصطنعوا» أجواء للربط بين الوقائع الثابتة المعروفة، وبالتالي تشويهها بطريقة تنطلي بسهولة حتى على القارىء الذكي. وأخطر ما في هذه الكتب هي أنها تشوه جيلا كاملا من المناضلين، لأن القارىء يخرج منها بانطباع قوي بأن الدوافع الذاتية، والمناورات الوضعية والأفكار الضيقة، والمطامع المختلفة كانت هي المحرك القوي إن لم يكن المحرك الوحيد لكل هذا الجيل من المناضلين، كل المناضلين. فليس هناك إيمان بقضية وليس هناك فكر سياسي وليس هناك سمو نضالي، وليس هناك باختصار ماض يبعث على الفخر ولا تجربة قاسية وجديرة بالدرس والتمحيص. واعتقادي أن التاريخ الجزائري المعاصر سيظل عرضة للتشويه إذا لم يبادر الجزائريون أنفسهم بازالة الغموض الذي يكتنف أحداثه، وأن الحملة القائمة الآن لجمع الوثائق والآثار التي تتصل بهذا التاريخ يجب أن تعزز بجمع الشهادات عن بعض الفترات التي فقدت كثيرا من الحساسيات المتصلة بها وأصبح من الممكن - نظرا للاستقرار الذي تتمتع به البلاد والعمق الذي أصبحت تتسم به مفاهيم الثورة الجزائرية - مناقشتها مناقشة موضوعية هادئة. لان الشهادات بطبيعتها ناقصة وصورة الأحداث لا تكتمل إلا بتعددها ومناقشاتها ومقارنتها ببعضها.

(*) بقلم عبد الحميد مهري (عن مجلة الأصالة: عدد نوفمبر 1974).

من سجل الجهاد الجزائري(*)

كنت أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان المجلس منعقدا في مدينة قسنطينة المكافحة يوم غرة نوفمبر 1954، حينما هتفت البشائر بانبثاق نور الثورة واندلاع نارها الموقدة، فلبينا دعوة النور، واصطلينا بحرارة النار، واعلنا منذ الساعة الأولى أننا نكون من ركب التحرير في الطليعة، وأمرنا كل من انتمى إلينا في كل جهات الوطن، بأن يضع في ميدان الثورة روحه ودمه وجهده وعمله، واشعرنا بذلك يومئذ من كنا نعرف من قادة الجبهة المقدسة وأبطالها.

وكان الكفاح البطولي، وكان النضال المرير، وقام الشعب كاعصار فيه نار، يصب على الظالمين المستعمرين ما تراكم فوق فؤاده من حمم الحقد والضغينة التي تولدت خلال مائة وعشرين عاما كلها آلام، وكلها جراح وكلها مصائب وآثام وكلها لصوصية ونهب، وانتهاك حرمات، واهدار كرامة، واجتمعت في صفوف الثورة المقدسة كل ما يملكه شعب أبي، قام مستجيبا لدعوة الجهاد التحريري، فاجتمعت في جهاده الأقاليم الخمسة التي تكونت منها الحرية، ورفعت راية الاستقلال عالية رفيعة: دم الشهداء، وجهود الفدائي، ومداد الكاتب، وكلمة الخطيب، ومال المقتدر.

(*) أحمد توفيق المدني: (عن مجلة الأصالة عدد خاص بنوفمبر 1974).

البعد الريفي في الثورة الجزائرية (*)

إن الريف كان يعتمد على المدارس القرآنية والمعاهد الدينية والزوايا، كما كان يعتمد على المساجد والأسواق المحلية، لتمرير شعارات الكفاح وإيجاد منابر التوجيه، وتعبئة القواعد الشعبية ضد المحتل. لقد كانت كل تلك المواقع موضع اجتماعات ولقاءات شبه منظمة، تلتئم فيها الجماعات الريفية، تبادل الأفكار والأخبار والمعلومات بما يعزز الضمير الوطني. وقد كان الفرنسيون أنفسهم يندهشون للسرعة التي تنتقل بها الأخبار من مكان لآخر من أرجاء الجزائر الواسعة لأنهم لم يدركوا في الابان طبيعة الدور الذي تلعبه تلك الهياكل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وهذا هو ما يفسر، الى حد كبير، السرعة التي كانت تنتشر بها الثورات ضد المحتلين الفرنسيين. فقد كان يكفي أن يدعو للجهاد شخص ما، في منطقة ما من الوطن، حتى تتداعى لتأييده جموع غفيرة تستجيب له من خارج منطقته ومن داخلها، لأن تلك الهياكل التي كانت تنتظم في الريف كانت تتحرك بصفة شبه تلقائية لتلبي داعي الكفاح...

... والواقع أن تقاليد الريف الجزائري في إقامة هذه الهياكل الثقافية واستغلالها ترجع الى عاملين اثنين:

العامل الأول: هو أن التعليم وكل ما يتصل بالثقافة كان مرتبطا في القرن الماضي بالدين، أي كانت له مسحة من التقديس تجعل لتلك الهياكل مكانة خاصة بين جماهير الريف المعروفة بتدينها الشديد.

العامل الثاني: هو أن الإدارة العثمانية قبل الاحتلال الفرنسي لم تكن تضطلع بعبء التعليم والثقافة، فكان الشعب هو الذي يقوم بهذا الدور عن طريق الأوقاف التي كان يخصص ريعها للمعاهد الدينية والمساجد والزوايا. وهذا ما يفسر انتشار الهياكل الثقافية في الريف من جهة، واستمرارها بعد سقوط الدولة الجزائرية، وحتى بعد سقوط دولة الأمير عبد القادر.

وقد أسفر هذا الصمود الثقافي عن رفض «الشرعية الفرنسية» وخاصة في الريف الجزائري. وكان رفض الفرنسة في الريف، قد بلغ درجة رفض تعلم اللغة الفرنسية التي كان يعتبرها «لغة الكفار» مما دفع الإدارة الاستعمارية الى انتهاج أساليب عديدة لتحطيم هذا الصمود بالقوة حينا والحيلة حينا آخر. وقد ساعد هذا الرفض للشرعية الفرنسية، على تجنب الريف لأخطار التلوث الاستعماري وتشويهاته، وبالتالي ظل الريف محتفظا بأهليته واستعداده لاحتضان أية محاولة ثورية جديدة.

(*) محمد ابراهيمي الميلي (عن مجلة الأصالة عدد: 22 /1974).

جيل نوفمبر رصيد وقدرة (*)

نقول ذلك لأن عددا لا يستهان به من المؤرخين وخاصة منهم بعض العقائديين قد غالوا في محاولاتهم الرامية الى التقليل من فضل ذلك الجيل، والتنقيص من النتائج الإيجابية التي حققها لا لفائدة الجزائر فحسب، ولكن لصالح الإنسانية جمعاء، ومن جملة ما رفعوا به أصواتهم، زعمهم بأن نوفمبر لم يكن ثورة ولكنه حرب تحريرية فرضتها جدلية التاريخ، وادعائهم في خلاصاتهم بأن استقلال الجزائر حتمية لم تكن في حاجة الى دماء أو دموع، ولكن جبهة التحرير الوطني أتت بذلك لتبرير استحواذها على نصر سرقته وهو في الواقع من صنع تطور التاريخ.

لئن كانت هذه النظرة الى الثورة الجزائرية قد بدأت، مع الأسف، تجد طريقها الى نوع من المثقفين الجزائريين أنفسهم، ولئن كان جيل نوفمبر عرضة لاجحاف بات طبيعيا في كثير من الأوساط وخاصة منها تلك التي لم تستسغ ظهور ثورة عملاقة وانتصارها على غير الأسلوب المعهود أو المحدد بالنسبة للأحداث التاريخية التي هي في مثل ضخامتها وعظمتها، ولئن كان من حق المنظرين أن يكونوا أحرارا في ما يأتون به من أفكار وفي استعمال شتى الوسائل ومختلف الطرق لنشرها والدفاع عنها، فان من الواجب على أبناء هذه الأمة أن يتولوا كتابة تاريخهم بأقلامهم بعد تخليصها من كابوس التبعية ومركب النقص الذي كاد أن يصبح طبيعة فينا وجزءا لا يتجزأ من الشخصية التي نحاول تطهيرها من كل شائبة.

إن النظرة الى جيل الثورة يفرض علينا التذكير بأنه كان، منذ البداية، جيل المعجزات والتضحية والتفاني في خدمة المثل العليا التي تجاوز مزاياها إطار الوطن الضيق الى عالم الإنسانية المستضعفة المضطهدة في كافة أنحاء المعمورة... انه الجيل الذي نستطيع القول عنه بأنه لم يعمل لشهرة أو لمصلحة شخصية ولكنه آمن بمبدأ الجهاد فحمل روحه الغالية على فوهات البنادق وخرج لا ليصد الموت عن نفسه ولكن لتوهب الحياة لغيره. ان هذا الجيل يمكن التحدث عنه من جوانب متعددة...

... ان جيل نوفمبر قد حمل منذ البداية شعار انتسابه الذي لا تشوبه شائبة الى جسم الأمة العربية، وتبني كل قضاياها التي برهن في أكثر من مناسبة على استعداده الدائم للتضحية القصوى من أجل الدفاع

(*) بقلم محمد الشريف مساعدية (عن المجاهد الأسبوعي عدد: خاص بأول نوفمبر 1979).

عنها، كما أنه كان دائما شديد الحرص على التذكير بإسلاميته وارتباطه الوثيق بكل ما يجري في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ولكن تعلقه بالحضارة العربية الإسلامية لم ينسه انتماءه الجغرافي الى إفريقيا والى العالم المتخلف بصفة عامة، وهو العالم الذي تشاطره الآلام والآمال، ونشاركه المحن والنضال من أجل عالم أفضل.

... فالمجاهد كان يعرف أن الثورة تعبير صادق عن إرادة الجماهير ورغبتها في التخلص من السيطرة الأجنبية واسترجاع تلك القيم التي دنسها الاستعمار أو قضى عليها بوسائله المختلفة. وبما أن انتصار الثورة لا يكون إلا بواسطة الكفاح السلح، وهب نفسه للقتال، وجعل كل ما ملكت إيمانه فداء للوطن ووسيلة لدعم المعركة في جميع المجالات. ثم ضحى بالحمية القبلية والجهوية وصب كل احساساته وشعوره في إطار الأخوة النبيلة النزيهة التي لا تفرق بين الجزائريين إلا بمقدار تمسكهم بمبادىء الأسرة الواسعة التي تشمل كافة أبناء الجزائر.

ولكن هناك حقيقة فهي:

إن الأجيال الصاعدة لن تكون خير خلف لجيل نوفمبر ما لم تتخلق بأخلاقه، وما لم تتحل بخصاله وصفاته، وما لم تتأمل، صادقة في سلوكه وسيرته، وما لم تجاهد مخلصة، للقضاء على سائر الأمراض الاجتماعية التي تترصد كل شعب يطمع الى التقدم والرقي.

ما يجب أن تعرفه الأجيال عن ثورة نوفمبر 1954 (*)

إن أول نوفمبر 1954 أصبح يعتبر، نظرا لاطراد الأحداث التي نشأت عنه والنتائج التي أسفر عنها داخل بلادنا وخارجها، حدثا لا يستأثر به تاريخ الشعب الجزائري وحده، وإنما أصبحت لهذا الحدث مكانة من بين أمهات أحداث التاريخ العالمي.

... وإني لا أعمد الى هذا الحديث سوى من أجل الوفاء بشهادة مناضل من الجيل الذي عاش عهد السيطرة الاستعمارية، وعانى منه، وعقد العزم على خوض المعركة للتخلص من تلك السيطرة. اعتقد أن الرجال الذين عاشوا ذلك العهد، والعديد منهم لم يزل يذكره الى حد اليوم، بل أنهم ما زالوا يحملون آثاره المعنوية والبدنية، يتعين عليهم أن يرووا لجيل ما بعد حرب التحرير ما كانت عليه الجزائر وهي ترزح تحت نير الاستعمار وضراوة الكفاح الذي تكلل بتحريرها.

فشهادتي هي شهادة مناضل من بين آلاف المناضلين الذين في وسعهم أن يتحدثوا عما كابده شعبنا في عهد الاستعمار، وعن الأسباب التي دفعته الى خوض المعركة التي أسفرت عن استرجاع حريته واستقلاله.

... لقد كانت الوسائل المتوفرة لدينا جد قليلة، وكانت تأتي مواردنا المالية من اشتراكات مناضلي الحزب الذين كانوا يؤيدون حركتنا، وكذلك من تبرعات المتعاطفين معنا. أما الأسلحة أي بنادق الصيد، وبضعة أسلحة آلية، فلقد كان جلها يأتي من الأوراس حيث كانت أوفر مما كانت عليه في النواحي الأخرى.

... لقد بين التاريخ أن مبادىء العدالة والحرية تنتصر في النهاية ولو كانت التضحيات المبذولة باهضة الثمن. وفيما يخص بلادنا، لم تكن المطالبة بالاستقلال قضية مطروحة أو ينظر إليها كغاية في ذاتها، وإنما كوسيلة لضمان التحول الاقتصادي لمجتمع غير عادل.

لكنه كان لا يجدي الاعتقاد بأن يعترف لنا بذلك من دون أن يكافح الشعب الجزائري لانتزاعه متحدا ومنظما ومصرا في كفاحه.

إن أول نوفمبر لهو حدث من كبريات الأحداث التي شهدها تاريخ الشعب الجزائري لأنه كان بمثابة فجر للانبعاث والأمل. وكان الذين هدوا له والذين خاضوا غماره يعرفون أن تحقيق الاستقلال الوطني سيستغرق سنوات طوالا، مليئة بالآلام والتضحيات، وكانوا يعرفون أيضا أن بعد هذه المعركة الأولى سيأتي أبناء آخرون لهذه البلاد لشغل الأماكن التي خلفها شاغرة شهداؤنا الأبرار.

(*) رابح بيطاط، (عن مقال له في المجاهد بمناسبة ذكرى اندلاع ثورة نوفمبر 1979).

حيثما يفشل الرجال ينجح التنظيم (*)

برأس منحن كان المناضل يمشي تائها ذلك اليوم... يوم غرة نوفمبر 54. ثم فجأة تعلن جريدة «فرانس سوار» في صفحتها الأولى الطلقة النارية الأولى: أريس في الأوراس! الله أكبر!! وارتفع الرأس لن ينحني بعد: لقد صمد النظام وشرع في العمل ولم يبق في الحدود النظرية.

فالانقسام قد مكن في النهاية من الاستقطاب، والبذرة التي زرعها التنظيم قد أثمرت: من جبالنا طلع صوت الأحرار...

... فلا حاجة الى تكنولوجية عالية لخلق «حدث» هذا النصف الثاني من القرن العشرين.

ثلاثمائة بندقية تقريبا بعضها غير صالح للاستعمال الجيد قد نجحت في ضعضعة الانتفاع الاستعماري، وها هي «تعلن الحرب» ضدنا... «الآخرون من بيننا الذين ما انفكوا يصيحون في وجوهنا: لستم سوى صعاليك وغوغائيين! أنتم تريدون اخراج «فرنسا»! قوة مثل فرنسا وأنتم عاجزون عن صنع عود كبريت»!

... وبين هذين الاتجاهين السياسيين ظهر اتجاه ثالث يمثله العلماء، الذين شكلوا جمعية العلماء في ماي 1931 غير أن جذور هذه الجمعية تمتد الى فترة ما قبل الحرب الأولى، وعلى وجه التحديد... الى بداية القرن العشرين... وليست جمعية العلماء، كما يظن البعض حركة «دينية وثقافية» فحسب... وإنما هي الى جانب ذلك... حركة سياسية تجلت بوضوح في مواقفها الرافضة لسياسة الادماج.

ولنقتطف بعض ما جاء في قال «طويل» نشره رائد النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة «الشهاب» سنة 1936م...

«... اننا نرى أن الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض، وهي لا تزال حية ولم تزل... ولهذه الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقبيحة كمثل سائر أمم الدنيا، وهذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح هي فرنسا، ومن المستحيل أن تصبح فرنسا، حتى ولو جنسوها».

من خلال هذا الاستعراض الوجيز للحركات الوطنية نستنتج أن الجزائر قد عرفت في الفترة ما بين الحربين العالميتين ثلاث اتجاهات سياسية... بعضها يدعو الى الادماج كوسيلة لتحقيق الإصلاح والمساواة بين الجزائريين والمستوطنين، والبعض الآخر يدعو الى الاستقلال التام، ويرفض كل نقاش أو حوار لا يكون أساسه الاعتراف بالسيادة الجزائرية، الأمر الذي جعل الصراع يشتد بين أنصار حزب الشعب والمستوطنين الفرنسيين، الذين انكروا على الجزائريين حتى مطالب الادماج والمساواة... غير أن هذا التصلب الفرنسي له أثره البعيد في تكتيل الحركات السياسية وانقيادها الى وطنية أكثر تطرفا كما تنبأ بذلك «فيوليت» في مقال له جاء فيه ما يلي: «... ان ظلت الجزائر معقلا حصينا للمعمرين وأطماعهم اللامحدودة، فان فرنسا ستفقد الجزائر حتما خلال عشرين سنة، وإذا ارتكبت فرنسا الغلطة بعدم فهم المطالب الجزائرية، فان الجزائريين سينقادون الى وطنية أكثر تطرفا تهدد الوجود الفرنسي كله في الجزائر... وتكون فرنسا يومها ضحية غرور وعناد كمشة من المعمرين لا يرون العالم إلا من خلال مصالحهم الضيقة...».

(*) د. محمد أمير، عن صحيفة المجاهد (عدد خاص) نوفمبر 1979.

حديث عن ثورة أول نوفمبر(*)

اسمي الكامل هو قاسي عبد الله مختار ولدت في 1931/04/23 بالعاصمة في حي المرادية (لارودوت سابقا) من عائلة متوسطة الحال ومتدينة، لتحت عيني على حكايات كبار العائلة عن ثورة الشيخ الحداد (جدي لأمي) والشيخ بلقاسم (جدي لأبي). وقد كان هذان الثائران مثالا حيا، طبع حياتي فيما بعد ولا أزال احتفظ بنسخة من التصريح الذي أدلى به الشيخ الحداد يوم محاكمته إذ قال: بالحرف الواحد:

«إذا استطاع الاستعمار أن يخمد هذه الثورة فان أحفادنا سيشعلونها في يوم من الأيام» ثم كانت هناك حادثة أخرى في هذا المجال تركت أثرها في نفسي واظهرت لي بشاعة الاستعمار وظلمه إذ القى القبض على أبي وأنا في العاشرة من عمري بسبب نشاطه النقابي والى جانب هذا الجو العائلي وجدت نفسي عندما كبرت قليلا في محيط آخر لا يختلف عن الأول كثيرا إذ كان حي (لارودوت) المرادية حاليا مثل بعض الأحياء الأخرى أسرة واحدة يتعاون أهلها في كل شيء، وبمثابة مدرسة كبيرة تلقن فيها مبادىء الثورة ضد الاستعمار وينشر فيها الوعي الوطني على يد مناضلين كانوا لنا وباستمرار قدوة حسنة في كل أعمالنا وسلوكنا من هؤلاء الشهيدان: ديدوش مراد، ودبيح الشريف والمرحوم خليفي عبد القادر (مات بعد الاستقلال) والمدهش أن نظريات هؤلاء الآباء الروحيين تستمد أسسها الفكرية والنضالية من تعاليم الإسلام. وقد كان السلف الصالح قدوة لنا مثل الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، مما يجعلنا نستغرب الأفكار التي تتهم الإسلام ظلما وبغيا بعدم الثورية.

فقد تعلمنا أن الإسلام ضد الظلم والاستغلال وأن حب الوطن من الإيمان وأن التفاني ونكران الذات من أجل الصالح العام هي المعالم البارزة لهذا الدين القويم.

(*) مختار قاسي عبد الله، (عن المجاهد الأسبوعي، نوفمبر 1979.

الفئة القليلة... (*)

«... وتحس على إثر الكلمات القليلة التي يتلفظ بها أنك تشاهد الصور الأولى من فيلم يروي قصة واقعية، لكنك لا تلبث أن تعقد المقارنة بين أبطال ثورة التحرير والآلاف من الأبطال الذين حفل بهم التاريخ العربي الإسلامي، وتتساءل في قرارة نفسك: «لم تظل تلك التجارب الحية دفينة في الصدور وفي القلوب؟ ألا يحق لنا أن نعرفها ونقرأ عنها في الكتب؟».

«... كم من فئة صغيرة غلبت جيوشا جرارة! وزايلت الدهشة الجميع، واستقرت العزيمة في النفوس وازداد الجميع قوة على قوة وهم يسمعون شخير الشاحنات العسكرية المقتربة شيئا فشيئا. ليس هناك إذن أدنى مجال للتردد!

وانتظرنا حتى دخلت الشاحنات الأربع الأولى مجال الكمين. وان هي إلا بضع ثوان حتى انطلقت من الحناجر كلمات التكبير، وما أسرع ما تبعتها طلقات النيران من كل صوب وحدب، وأحدق المجاهدون بالعدو من كل جهة، بينما راح العساكر الاستعماريون يحاولون الاختباء تحت شاحناتهم ووراء العجلات وعلى أطراف الطريق، لكنهم أبيدوا عن بكرة أبيهم. ثم اتسع نطاق الكمين وشمل الشاحنتين الباقيتين فدمرتا تدميرا كاملا، وقد دامت المعركة حوالي ساعة وسط زغاريد النساء، وهتافات التكبير والاعجاب التي انطلقت من حناجر المواطنين على مبعدة من مكان الكمين. ولم ينج من العدو إلا عسكري واحد برتبة رقيب استطاع أن يهرب على متن العربة المجنزرة التي كان يقودها والتي كانت مجهزة بمدفع رشاش من نوع 30 مم.

الإيمان بالقضية إذن هو الذي كان وراء نجاح العملية، فكانت في الحقيقة بداية مشرفة في تاريخ الحرب التحريرية».

(*) العقيد عبد الله بلهوشات، (عن صحيفة المجاهد نوفمبر 1979.

الجانب الأخلاقي في ثورة نوفمبر (*)

وليس من المبالغة في شيء القول: بأن وجود هذا العنصر (الأخلاق) هو الذي جلب للثورة ورجالها الثقة والتصميم المطلقين في نكران الذات، وهو الذي جعل من الشعب الجزائري رجلا واحدا، ينصهر في الثورة، مستميتا من أجل تعزيزها، والسير من ورائها... وبذل أغلى ما يملك من نفس ونفيس... ومال وبنين حتى يتم انتصارها.

وكانت إرادته من إرادة الله، وكانت عبره مآثره ما نذكر به الآن. ونحن نوثق ارتباطنا بالماضي، لنثب في حاضرنا الجلي وبكل حماس، نحو مستقبل زاهر أكيد...

... ان أولئك الرجال قلة في عددهم، ولكنهم أمة في ارتفاع معنوياتهم، وفي شجاعتهم واخلاصهم وتفانيهم.

تسلحوا بسلاح الإيمان بالله والوطن، فكانوا مثالا في التفكير العبقري والسلوك الإنساني والنموذج الأخلاقي القويم الشيء الذي جعلهم يندفعون في أجيج اللهيب المقدس، لهيب الحرب التحريرية...

... ولولا أن كانت الثورة العارمة أخلاقا وانضباطا لما حققت على أيدي المجاهدين ما حققته من انتصار واسترجاع لسيادتهم وكرامتهم وعزة دينهم ووطنهم ولغتهم.

فكنت تجد سلوك المسؤول الأول والجندي البسيط واحدا، وكان من الصعب عليك أن تفرق بين هذا وذاك حتى في المأكل والملبس وأداء الواجب، فلا امتياز لأحد على أحد، وليست هناك حظوظ لأحد على الآخر.

بل ما يمكنك معرفته حقا: أن المسؤول يتقدم الصفوف عند الشدائد ويتأخر كثيرا بعد ذلك، مسخرا ذاته وراحته من أجل اخوانه. أن القانون الداخلي للثورة التحريرية كان يطبق بصرامة وديمقراطية وعدالة على الضابط والجندي والمدني...

... ولعل القارىء الكريم يتشوق الى سرد بعض الأمثلة التي تبرهن عن جدية الثورة وتأثيرها وتوفر العناصر الإيجابية فيها، والتي أتذكر من بينها هذه الأحداث:

(*) يوسف اليعلاوي، (عن مقال بمجلة الأصالة عدد نوفمبر 1979).

الحادثة الأولى: وقعت في الولاية الأولى سنة 1958 وكانت كالآتي: جاء المسبلون بمرأتين جزائريتين الى المركز الذي يتواجد به جيش التحرير، بعد أن شوهدتا مع رجلين أجنبيين داخل سيارة - جنوب مدينة سطيف - متلبستين بالسكر والاختلاط غير الشرعي (وقد فر الأجنبيان بالسيارة). جاءوا بالمرأتين وبعد البحث والبت في القضية، وقع الحكم بالاعدام على واحدة منهما... ولحظة تنفيذ الحكم عليها... التفتت لتقول:

- يا عمار اني جزائرية، فأجابها الجندي المنفذ:

- أنت كذلك فعلا، ولكنك جزائرية «سفيهة»، جزائرية مريضة... ولهذا أوجب استئصالك من هذا الجسم الطاهر السليم...

الحادثة الثانية: (الولاية الثالثة سنة 1960). أقيم المجلس العسكري لمحاكمة أحد الضباط يدعى (سي عمر فاقر) وكان موضوع القضية الزنى. قال رحمه الله أمام المجلس: «إني أشعر بفداحة ما اقترفته، وسوف أكون أكثر اطمئنانا بنزاهة الثورة وقوتها إذا طبق علي قانون العقوبة الصارم، وهو الاعدام».

وبعد فان العديد من الأمثلة والمواقف والأحداث من ثورة نوفمبر 1954 لا زالت حاضرة وتتطلب الوقوف والدراسة والبيان لتغدق على أجيالنا الصاعدة، ينابيع هي تاج الصفاء والخلود.

العناية الإلهية حمت ثورتنا (*)

«في البداية أحب أن أقول بأن العامل الديني كان عاملا أساسيا في نجاح الثورة الجزائرية.

فمن جهة كان الدين هو السياج الذي حمى مقومات الشخصية الجزائرية طوال فترة الاحتلال، كما كان أساسا للوحدة الوطنية خاصة خلال الحرب التحريرية، ومن جهة أخرى فان الدين هو عامل إيجابي في بناء المجتمع، لأن الإسلام بالنسبة لنا هو دين العدالة الاجتماعية الحقيقية، ولقد نشأت شخصيا في أسرة متدينة وكان لهذا أثر كبير في نشأتي تدعم بعد ذلك خلال حربنا التحريرية بالأحداث التي عشناها وأحسسنا فيها بالقدرة الالهية حمت ثورتنا، وكانت سلاحنا الأساسي لتحقيق هذا النصر».

(*) الرئيس الشاذلي بن جديد، نقلا عن جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1980/02/26.

مخاطر التزييف (*)

إن الذي مازلنا نشاهد بروزه بشكل مخطط مضبوط من التآمر على مبادىء ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 والاستمرار في بذل المحاولات العديدة من أجل تزييف تاريخ هذه الثورة العارمة، ابتداء من دوافع اندلاعها وأسباب سرعة انتشار لهيبها، ومساهمة الشعب بجميع فئاته في خوض غمارها، الى العوامل الأساسية التي جعلت انتصارها يتحقق بالرغم من تكالب كل قوات الاستعمار، وعملائه المتعاطفين والمتعاونين مع المستعمرين الذين عجزت قواتهم الضخمة البشرية منها والمادية عن فرض أي حل للقضية الجزائرية ضد إرادة الشعب وفي غياب جبهة التحرير الوطني.

فعملية التزييف أخذت تبرز بعد الاستقلال مباشرة، وقد دبرت هذه العملية بقصد ادخال نوع من التشكيك في نفوس شبابنا وأجيالنا الصاعدة من جهة، ومن جهة أخرى إضعاف جانب الانتصار العسكري لجيش التحرير على قوات الاحتلال الفرنسي، أو على الأقل التقليل من سمعة الثورة، وتغطية الهزيمة النكراء التي مني بها الجيش الفرنسي ومعه الحلف الأطلسي بأكمله.

وقد ألفت منذ الاستقلال عدة كتب لتحقيق تلك الأغراض، ونشرت عدة مقالات،وألقيت محاضرات، واخرجت عدة أفلام، كان البعض من تلك المؤلفات صدر من الأجانب وربما من الضباط الفرنسيين الذين كانوا بالأمس يحاربون في صفوف الجيش الاستعماري أو كانوا ممن دخلوا الى الجزائر إبان الثورة تحت حماية الجيش الفرنسي.

لقد أبى الله قسم المجاهدين وانتصرت كلمة الله أكبر التي كانت هي الشعار الذي يرتفع وينطلق من أفواه المجاهدين عند انطلاق الرصاص من أفواه بنادقهم، ومما يؤكد هنا أن التعليمات التي ترسل من قيادات جيش وجبهة التحرير الوطني تحث بالإضافة الى التنظيم السياسي والعسكري على أداء الصلوات والمحافظة على الشعائر الدينية، والأخلاق الإسلامية، وقد يعاقب من لا يقف عند حدود الله، ولا يحترم أوامر الثورة، التي لم تخرج قط عن تعاليم الإسلام، وكثيرا من المجاهدين يعاقبون عقابا شديدا لارتكابهم الأخطاء التي يعتبرها الإسلام خطيرة تستوجب العقاب، كما أن الثورة قد دعمت تعليم القرآن الكريم في كل الولايات، وهي التي تدفع أجور المعلمين، بل شجعت ماديا ومعنويا كل المدارس العربية الموجودة على مواصلة سيرها لتعليم أبناء الشعب العربية والإسلام تحت دوي القنابل.

(*) بقلم الشيخ يوسف اليعلاوي، (عن مجلة أول نوفمبر عدد: 34/ 1980.

نظام الزواج في الثورة (*)

يمثل هذا الجانب الاجتماعي الهام الذي هو الزواج دورا طريفا في حياة المجاهدين والمجاهدات أيام الكفاح المسلح. ويستحق الاهتمام والتسجيل، نظرا لكونه كان ظاهرة مشوبة بلون من الغرابة فرضها الثوار على أنفسهم. إذ كانوا في السنوات الأولى للثورة لا يهتمون بهذا الجانب الاجتماعي الطبيعي الحتمي، بل كان همهم الوحيد هو الجهاد وكأنهم لم يخلقوا إلا له. وكأن الله جردهم من أية مسؤولية غير مسؤولية تحرير الوطن.

وبالفعل كانوا كذلك، فلا زوجة ولا ولد، ولا مال ولا زواج. وان الحياة التي يحيونها تتسم وتتصف بنوع من الزهد والتصوف... تتصف بالحياة الثورية التقشفية إذ لا يهمهم الحصول على أكل جيد بقدر ما يهمهم الحصول على كمية من البنادق، ولا يهمهم المظهر واللباس الحسن، بقدر ما يهمهم الحصول على كمية من الخرطوش، ولا يهمهم ولا يغريهم النظر الى الجنس اللطيف بقدر ما يهمهم نظر ولمس قطعة السلاح.

ولا يلذ لهم التباهي إلا بعدد الكمائن والاشتباكات والهجومات التي نظموها أو حضروها والغنائم التي حققوها. أضف الى كل هذا أن أوامر الثورة كانت صارمة وقاسية فيما يتعلق بالأخلاق، وليس أشد صرامة وقساوة من تنفيذ حكم الاعدام في كل من الزاني والزانية والأشد غرابة أن المجاهدات كن أشد معارضة للزواج من المجاهدين ومن المدنيين، وكن يرددن بأنهن لن يتزوجن إلا بعد الاستقلال أو في الجنة. وكثيرات لم يعشن ولم يتمتعن بلذة الانتصار ثم الزواج، وكثيرون من المجاهدين لم يحققوا سنّة الزواج...

إن معظم هذه الوقائع كانت قد حدثت في السنوات الأولى للثورة، السنوات الممتدة من فاتح نوفمبر 54 الى عام 1958. أما بعدها وهي السنوات الأشد فان وضع الثورة والثوار قد تبدل وحتى المفاهيم قد تغيرت. ويرجع ذلك الى عدة عوامل، بعضها يتعلق بحياة الثورة وفي مقدمتها طول مدة حرب التحرير، وكثرة العنصر النسائي من ممرضات ومرشدات اجتماعيات في مراكز جيش التحرير الوطني ومناضلات في جبهة التحرير الوطني، واهتمام القيادات بهذا الجانب الاجتماعي والايحاء بالزواج وتسهيل تدابيره ثم كثرة الشباب العازب في الثورة وكثرة المناطق المحرمة. أما بعضها الآخر فيتعلق بما جد في صفوف العدو وفي مقدمتها مجيء «ديغول» الى الحكم وتصحيحه لمؤسسات الحكم في بلاده وإعادته لبناء جيشه ومواصلته لحرب إبادة الثوار، واتباعه لسياسة الأرض المحروقة واسناده القيادة العسكرية لأعتى القادة العسكريين، وفي مقدمتهم «شال» الذي اشتهر بعملياته العسكرية الاجرامية التي أطلق عليها العديد من الأسماء مثل: عملية الاحجار الكريمة وعملية المنظار الخ... ثم مواصلة سياسة عزل الداخل الجزائري عن نظامه الخارجي بواسطة اتمامه للخطوط السلكية المكهربة على طول الحدود الجزائرية التونسية، والجزائرية المغربية، ولكل هذه العوامل ثبت للثوار أن الزواج لن يضر الثوار والثائرات ولن يعجل ولن يؤجل النصر على الأعداء، وما الزواج إلا سنة طبيعية تربع الزوجين وتحافظ على النسل وتحفظ الشباب من الزلل الأخلاقي وتزيد في الثروة البشرية التي لا غنى للبلاد عنها خاصة وأن البلاد تفقد يوميا المئات من أبنائها.

وهكذا حلت العقدة وبدأت أخبار الزواج بين مجاهد ومجاهدة وبين مجاهد وشعبية تحتل هي الأخرى مكانها بين أخبار الكمائن والاشتباكات والهجومات وأعمال الفداء، والغنائم والخسائر، وبدأت بعدها براعم زيجات الثورة ترى النور فتباركها الطلقات النارية وتتلألأ في وجود الثورة أسماء سكينة وليلى واسماء، وخالد وعقبة وأسامة وطارق من جديد.

(*) بوطمين جودي الأخضر، (من كتابه «لمحات من ثورة الجزائر») مطبعة البعث قسنطينة 1981.

ثورة المصحف الشريف (*)

«وعلى ضوء هذه المعطيات التي استجدت بعد الحرب العالمية الثانية واستراتيجية الأوراس وتطعيم الحركة بالشباب المخلص أمرت الحركة بتأسيس النظام العسكري في الأوراس سنة 1947، بقيادة مصطفى بن بولعيد وقد أسس هذه الخلايا تأسيا برسول الله (ص) في المساجد على ضوء الشموع كما روي لي ذلك أحد المناضلين (يدعى محمد الطاهر عثماني وهو ما يزال على قيد الحياة).

وقد حلفوا على المصحف ألا يخونوا ولا يتراجعوا ولا يكشفوا سرا الى المماة».

(*) الأستاذ محمد الطاهر عزوي من محاضرة ألقاها في قصر الأمم بالجزائر العاصمة في الملتقى الأول لكتابة تاريخ الثورة (28-31 أكتوبر 1981).

مؤرخو الإستعمار.. وشهادة الزور (*)

ليس تاريخ الكفاح المسلح بالجزائر تاريخا للجزائريين وحدهم، بل هو تاريخ للمغرب العربي، وللعرب والمسلمين، ولافريقيا، وللعالم الثالث من وجهة المقاومة والتمايز الحضاري والدفاع عن الهوية الثقافية، ولكن أيضا تاريخ للإنسانية جمعاء من وجهة الصراع بين الحضارات وجدلية التطور البشري واكتناز التجارب في سلبياتها وإيجابيتها وفي سبيل تحرير الإنسان ورقيه واعترافه بأخيه الإنسان، وإن كان متميزا عنه حضاريا وثقافيا، ولعله أمل بعيد المنال أن نصل الى هذا الرقي، ولكن التاريخ بمعناه المثالي، الذي يحرك الشعوب، يدفع بنا الى هذا الاتجاه من التحرير الإنساني، وبهذا المعنى التاريخي والأخلاقي الشمولي وردت الآية التي تقول: **«ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»**. لقد كان مؤرخونا يقولون بالعبر وليس معنى العبرة مقتصرا على الدروس الأخلاقية، بل العبر هي أيضا قوانين الحياة الاجتماعية، وقوانين التطور، وهي من أجل هذا من صميم المعرفة العلمية، وأن أحسن عبرة نستخلصها من تاريخ كفاحنا تتلخص في اليقين العلمي بأن الشعوب التي تكافح الاستعمار بحد السلاح هي الشعوب التي تحقق التطورات الجذرية ولا ترضى بالمهادنات الكاذبة، إذ الاستعمار نفسه ظاهرة تسلط مطلق يمتد الى جميع بقاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وليس الكفاح لشعبنا مجموعة عفوية من الثورات المحلية، بل هو سلسلة موحدة تعد ظاهرة واحدة من النضال الحضاري الرامي الى إثبات الاستقلال وعمق الكيان الثقافي المميز لذات أمتنا العربية الإسلامية.

إن تجربة عشرات القرون من الحياة السياسية كونت في ضمير هذه الأمة تصورا للدولة وتصورا للروح الجماعية وتصورا للأخلاق الإنسانية وللحضارة، قد بلغ درجة من الوضوح بحيث استطاع أن يحرك العزائم الى الجهاد والرضا بالاستشهاد، إذ كان المرجع التاريخي للشعوب مرجعا مليئا بالحيوية يقارن بين طغيان الروم القدماء وطغيان الاستعمار، وبين جهاد المستضعفين المجندين تحت لواء الإسلام وجهاد شعوب العالم الثالث المغلوبة على أمرها، ان المؤرخ ليشاهد أن ضعف الحكومات المركزية لا يؤدي حتما في مجتمعاتنا ذات الضمير السياسي الحي، الى استكانة الشعوب، بل أن الجماعات المحلية مهما كان حجمها ومهما كانت قوتها لا تتخلى

(*) د. عبد المجيد مزيان (وزير الثقافة) (عن جديدة الشعب الصادرة بتاريخ 1982/02/28.

عن مسؤولية الكفاح المسلح وواجب الجهاد... ولقد سجل التاريخ في ذاكرة الشعوب الكثير من الخذلان من لدن الأسر الملكية الضعيفة الطاقات الجهادية. وسجل مع ذلك قدرات الشعوب في جماعاتها المحلية السياسية والدينية على القيام بمهام الجهاد، ولعل هذه الظاهرة كانت من التجارب الإنسانية الفذة التي أثرت التاريخ الإنساني بجمله انطلاقا من تاريخ الجزائر، إذ أن مجتمعات ما بعد التسلط الاقطاعي أو شبه الاقطاعي كانت تمتاز بديمقراطية نوعية هي ديمقراطية الجماعات الإسلامية وبحيوية مستمدة من الوعي الحضاري الخاص بالعالم الإسلامي. ففي كل تجنيد وبيعة وجهاد وهجرة عرفها كفاحنا، تجديد للحياة الاجتماعية الإسلامية مع يقظة ضميرنا التاريخي الكثيف الوجود، اننا نعتبر إنطلاقا من هذه الإجمالية بأن عملية التاريخ ليست تبريرا للتاريخ، ولا يجوز لنا ونحن ندعو الى الواقعية أن نتجاهل مفعولات التاريخ في ضمائر الشعوب.

إن الاقتداء بالبطولات واقع، والمثالية التاريخية واقع، وتسخير السياسة للتاريخ وكذلك تسخير التاريخ للسياسة واقع، كل ذلك واقع تاريخي، فأي منهج يعد هذا المنهج الذي يسرد الأحداث ببرودة ولا يعطي آية صورة إجمالية عن تشابك الأحداث وتلاحمها؟ أو من العلم في شيء، أن نتصور تحرك فاعلي الأحداث من شهادات جزئية لا تنغمس في الكيان الحضاري وفي الوجدان الحقيقي للمجتمعات؟.

لقد كنا في بداية استقلالنا ندعو الى نزع الصبغة الاستعمارية عن تاريخنا لأن المؤرخ الاستعماري لا يمكن أن يتجنب شهادة الزور في كل بحوثه. واننا اليوم إذ ندعو الى علمنة التاريخ، إنما نستغل حتى شهادات المدارس الاستعمارية لأنها التزمت ولو جدليا بتاريخنا، غير أننا نتطرق في منهجنا الى أعماق الحياة الاجتماعية من وثائقنا ومراجعنا المختلفة لنستفسر الشعر البطولي، بقدر ما نستنطق تراثنا المكتوب ورواياتنا المسموعة، ونستعد في كل هذا لعلمنة التاريخ وابرازه في حيويته وواقعيته. هذا وسندافع عن كفاحنا الطويل والغني بالعبر، كل الخرافات التي الصقت به، وسنثبت أن التمدين الاستعماري كان خرافة وأن عجزنا الحضاري كان خرافة وأن تعصب شعوبنا كان خرافة، وأن الروح التواكلية التي اتهمنا بها كانت خرافة، وسنجد آخر الأمر أن جهاد كل قرية من قرانا أو جماعة من جماعاتنا كانت ترجع الى تراثها الفكري الحي لتنادي بوجوب الجهاد وتفضيل الاستشهاد على الحياة تحت سيطرة الاستعمار.

وشهد شاهد من أهلها(*)

شبّه الله عزّ وجلّ الصّراعَ بين الحق والباطل بما تحمله الأودية من سَيْل؛ فيه ماءٌ نافع للحياة وللناس، وفيه غُثاءٌ لا فائدة فيه ولا قيمة له. يقول الله سبحانه وتعال:

«كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأمّا الزّبَدُ فيذهبُ جُفاء، وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال»: فالماء النافع هو الحق وجنده، والغُثَاءُ والزّبَدُ هو الباطل وَأرذاله.

إن الغثاء فارغ، أجوف، ولذلك فهو يطفو على سطح الماء لفترة قصيرة من الزمن. فيستغل أصحابُ الأهواء تلك الفرصة فيُهِمُون الناسَ بما يُوحُون إليهم من زخرف القول أن ذلك الغثاء هو الحقيقة. فيُصَدّقُهُم من في قلوبهم مرض: قُصّار الأبصار، عُمْيُ البصائر. ويَسْخر منهم المومنون العالمون أن ذلك الغثاء سَيَذْهَبُ جفاء، وأن الرياح ستذروه بعد قليل.

ذلك هو مثلُ الصراع العنيف الذي دار فوق هذه الأرض المجاهدة بين الحق وجنوده والباطل وأتباعه منذ دنّست في الخامس من جويلية 1830 في عهد شارل العاشر، الى أن طهّرها من الرجس شعبُهَا المجاهد في الخامس من جويلية 1962 في عهد شارل دوقول.

كبُرَ على أعدائنا ومن ألقَى إليهم بالمودة أن يبُوءوا بالخسران المبين، وأن يُولّوا الأدْبارَ أمام شعب جهّلوه بعد علم، وأمْرَضُوه بعد صحة، ونجّسُوه بالخمر والميسر والزنا بعد طهارة؛ وزاد حقدُهم على شعبنا حتى عضوا عليه الأنَامِلَ من الغيظ، أنه كان دائما يُصَارِعُهم تحت شعار: «الجهاد في سبيل الله»، وأن نشيده يوم النصر كان:

أمُحَمّد مَبْرُوك عليك الجزائر رَجْعَت ليك!

كبُرَ عليهم ذلك فقال كبيرهم وردّد معه زبانيتُه: «أنا الذي منحْتُ الجزائر الاستقلال». كبُرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

إن الاستعمار تسَلّط علينا ليس له في الاستعمار مثيل، ذلك لأنه لم يقتنع باغتصاب الأرض وسَخر الشعب، بل امتدت يدُهُ النّجِسَة فشوّهَت وجه شعبنا، ولطّخَت صورته، ومسخت شخصيته، وزيّفت تاريخه، ومحَتْ لغته، وأهَانَت دينه، وحَطّت من مكانه وقيمة رجالاته وأبطاله، وسرقت أمجاده، وهل هناك شيء

(*) حديث «متلفز» للأستاذ محمد الهادي الحسني في الذكرى الثامنة والعشرين للاستقلال الوطني (1990)

أبلغ في الدلالة على هذا من نكران تضحيات شعب والأدعاء بأن استقلال هذا الشعب هو منّةٌ وتكرُّمٌ من رئيس الدولة المستعمرة.

إن الهزيمة ليست جديدة في تاريخ ذلك العدو الذي تصارعنا معه فصرعناه؛ فقد هُزِمَ قبل هذه الهزيمة مرات ومرات، ولكنّ مرارة هزائمه كلها لم تبلغ معشار مرارة هزيمته فوق هذه الأرض، فهزائمه هناك كانت عسكرية؛ أما هزيمته هنا فهي عقيدية حضارية، ولذلك فهو لا يجد حرجا، ولا يضيق صدره بالاعتراف بهزائمه هُنَاك، ولكنه إذا ذُكِّرَبهزيمته هنا يقوم كما يقومُ الذي يتخبطه الشيطان من المَسِّ.

إن حبل الكذب قصيرٌ، وها هي نهايتُه قد وصلت، وحان الوقتُ لتظهرَ الحقيقة ساطعة كسطوع شمس الخامس من جويلية 1962، وليذهب الزَّبَدُ والغُثَاءُ جُفَاء.

إن العبرة - لمن في قُدْرَته أن يعتبر - هي أن تأتي الحقيقة على اللسان نفسه الذي أنكرها أول مرة، وما أشبه هذا بالمجرم الذي يتَفَنَّنُ في التهرب من الوقوع في الحقيقة، فإذا به - وهو يعيد تمثيل الجريمة - يكشف الخيوط دون إرادة منه، ثم لا يلبث أن يعترف بالحقيقة كما هي.

إن ما جاء في مُذَكَّرَات الأمل «للجنرال دوقول» حول الجهاد الجزائري يؤكد أن الرجل عندما اعترف بحق الجزائر في استعادة استقلالها كان مُكْرَهًا لا بَطَلاً كَمَا صوَّر نفسه وصوَّره غيره.

إن قراءة هذه المذكرات بتأنٍ، وتأمُّلها جيدا، وربطَ القضايا بعضها ببعض، وجَمْعَ الأجزاء المتفرقة في ثنايا الكتاب يُفْضي ذلك كلُّه الى حقيقة واحدة، وهي أن دوقول أنقذ فرنسا التي كانت على شفا جُرُف هار بسبب جهاد الجزائر؛ فَفَضْلُ الرَّجُل كان على شعبه وبلده، أما الشعب الجزائري المجاهد فقد أخــذ حَقَّهُ غِلابًا، واستَعَادَ استقلاله عنوة، ودوقول في مذكراته على ذلك من الشاهدين. يريدُون أن يسرقوا مَجْدَ شعبنا ويَأْبى اللهُ إلا أن يُظْهِرَه وعلى لسان خصمه.

قبل أن نذكُر بعض الحقائق التي سجلها دوقول في مذكراته حول جهاد شعبنا لابُدَّ من الإشارة الى بعض الملاحظات وهي

1 - إن الذين يُحْسِنون الظن بدوقول ويُصَوِّرُونَه كَأَنْبَلِ ما يكون يَتَنَاسون أن مجزرة 8 ماي 1945، التي قتل فيها الفرنسيون آلافًا مُؤَلَّفَةً من شعبنا إنما وقعت بأمر حكومة كان دوقول هو رئيسها.

2 - إن نعضل في عودته الى السلطة يعود الى جهاد شعبنا، فقد عرفت فرنسا أحداثا خطيرة في إفريقيا وآسيا، ولكن تلك الأحداث لم تُخْرِج الرجل من زاوية النسيان، ولكنّ تأزُّمَ الوضع في فرنسا بسبب جهاد شعبنا لفَتَ نظر الفرنسيين الى جنرالهم فجاءُوا به لعله ينجح فيما فشل فيه سابقوه.

3 - إن الذين يدَّعون أنه كان في نية الرجل - منذ البداية - أن يعترف باستقلال الجزائر إنما يكذبون الرجل نفسه، لأنه يعترف بأنه أعطى أوامره بأن لا يكون هناك تهاونٌ في الجهد العسكري، وأنه يجب البحث عن الخصم والتغلب عليه وإلحاق الهزيمة به، وقد زجَّ لتحقيق هذه المهمة بكل جيشه وطيرانه وأسطوله، كما تخلَّص بمجرد تَسَلُّمه السلطة من كل ما يمكن أن يشغله عن تحقيق الانتصار في الجزائر، حتى إنه منَحَ ثلاث عشرة دولة إفريقية استقلالها دفعة واحدة.

4 - لقد استخدم وجرَّبَ السلاح الذري في بلادنا، محاولاً بذلك إرهاب شعبنا وإرعابه.

5 - لم ينس الرجل تقديم بعض المشروعات المسمومة كمشروع قسنطينة، مستغلا الوضع المأساوي الذي كان يعيشه شعبنا لصرفه عن مواصلة الجهاد ومَدِّ المجاهدين بالعون والتأييد.

يعترف دوڤول في مذكراته أن: «أهمية الجزائر لا مجال للموازنة والمقارنة بينها وبين بقية البلاد التي كانت تابعة لنا؛ فقد تعزز موقفنا في إفريقيا والبحر المتوسط بفضل الجزائر. إذا أقمنا فيها نقطة انطلاق لتسللنا الى تونس والمغرب والصحراء، واستطعنا أن نجد فيها عدداً من المجاهدين،، وكشفنا حقول البترول والغاز التي ساعدتنا على استكمال حاجتنا الماسة الى الطاقة الصناعية. ولقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلفتنا تضحيات كثيرة.. ص: 49. ومن أجل هذه الأسباب «كان الشعب الفرنسي يَعُدُّ امتلاك الجزائر أمراً مفيداً ومُسْتَحَقّاً». فالرجل، إذن، يعرف جيدا هذه المكانة الهامة للجزائر، ولم يكن مستعدا للتنازل عنها، بدليل حشد قواته العسكرية فيها، وزيارته لها ثماني مرات خلال عامين للاطلاع على الأوضاع، والإشراف على الأمور، ورفع المعنويات.

لقد اعترف بأن مهمة جيشه لم تكن سهلة، رغم وصفه لهذا الجيش بأنه «كان متدربا تدريبا جيدا»، ص: 59. فقد «كانت الاشتباكات حامية الوطيس من جراء وعورة الأرض واستبسال الخصم»، ص: 59. ولذلك فإن «أي اشتباك مشؤوم ومقرون بخسارات فادحة بالرجال والعتاد كان أمرا ممكنا حُدُوثه في أي وقت»، ص: 72. لأن «القتال كان شديد الخطر، وأحيانا منهكا، وغالبا مخيِّبًا للآمال»، ص: 82. وفي الوقت نفسه كان المقاتلون - أي المجاهدون - يبدون شجاعة واستبسالاً، ص: 102.

كما اعترف أن معنويات جيشه قد مُسَّت، لأنه «أصبح مورّطًا في قتال لا طائل تحته ولا نهاية له»، ص: 54. لأن «القتال انتشر في جميع مناطق الجزائر وعلى طول حدودها»، ص: 21. وصار الجيش الفرنسي «ينتابُه قلق الانتهاء الى مصير يؤدي كما تمّ في الهند الصينية الى هزيمة عسكرية تُلحق العار بأعلامه»، ص: 21. وقد أدّى ذلك كله الى فقدان الانضباط في الجيش الفرنسي الذي لم يَعُد إليه إلا بعد انتهاء الحرب الجزائرية، ص: 361. وبسبب فقدان هذا الانضباط فقد وقع تَمَرُّدان في صفوف الجيش الفرنسي، أحدهما جاء بدوڤول، وثانيهما كان ضده، حتى توقع دوڤول أن يقوم المتمردين سنة 1960 بإرسال حملة الى باريس قد تتمكن من القضاء على السلطة، ص: 119. وعند هذا أدرك دوڤول أن «استمراره في متابعة نضال وهمي سيسيءُ الى معنويات جيشنا، وبالتالي الى وحدتنا الوطنية، وإن طبيعة العمليات الحربية تؤدي في الواقع الى شطر قواتنا الى فئتين يزداد اختلافهما»، ص: 85.

أما بالنسبة للجبهة الداخلية الفرنسية، فإن دوڤول يعترف بأن شعبه «كان يتحمل على مضض، ويصبر فارغ القتال البالغ النفقات»، ص: 49. ولاحظ أن الرأي العام الفرنسي أرهقه الجهد العسكري والمالي فتخلى عن قيادته، ص: 52. بل لقد أصبحت فرنسا «مهددة بحرب أهلية»، ص: 333.

وفي الجانب المالي يعترف دوڤول بأنه عندما استلم السلطة كان العجز في ميزانية 1958 يبلغ 1200 مليار فرنك، ويتجاوز دين فرنسا الخارجي ثلاثة مليارات دولار، ولم يكن احتياطي الدولة الفرنسية يتجاوز 630 مليون دولار، وهو مبلغ يكفي لتغطية ما تستورده فرنسا لمدة خمسة أسابيع. مما جلعها تعجز عن تنفيذ التزاماتها المالية في الميدانين الأوروبي والعالمي، ص: 154. ويؤكد أن فرنسا كانت أمام «احتمالين: إما ظهور المعجزة أو الإفلاس».

وقد اضطر الى طلب قرض وطني لضمان المال لصناديق الخزينة، وقد تجمع لديه مبلغ 324 مليار فرنك، منها 293 مليار من الأموال النقدية، يضاف إليها 150 طنا من الذهب، وفرض رسومًا إضافية على الشركات بلغت 50 مليار فرنك، ورفع سعر البنزين، وزاد في رسوم النبيذ والتبغ، والغاز، والكهرباء، والمواصلات، والفحم، والبريد، وجمَّد المرتبات والأجور، وخفَّضَ أو أوْقَفَ جميع الاعتمادات الممنوحة الى كثير من

مشروعات الأبنية وأعمال التجهيزات مّا وفّر للدولة الفرنسية مبلغ 600 مليار فرنك، ص: 157. ومع ذلك كله فإن نفقات الحرب كانت تتزايد يوما بعد يوم مّا جعل فرنسا «يكاد يرهقها الإفلاس»، ص: 333.

أما المعركة الدبلوماسية التي خاضها خصمنا ضد الجهاد الجزائري فقد انتهت بنسيان العالم لصوت فرنسا، ص: 333.

في مقابل ذلك يعترف دوفول بأن الجزائريين أختاروا «تحمُّلَ الأذى دون الاستسلام»، ص: 58، وهم مقتنعون بأن الجزائر «ستحصل على استقلالها إن عاجلا أو آجلا»، ص: 107، وأنهم أوصلوا العمليات الى شوارع باريس، ص: 101 . فتأكد له «أن استمرار الوضع لا يمكن أن يجلب لبلادنا سوى الخيبة والمآسي، ص: 108 ، ولذلك «عليّ إنقاذ فرنسا من المهام والخسارات التي يتزايد عبئها باستمرار»، ص: 80. لأن «الجزائر أصبحت صندوقا للأحزان»، وأن «الجزائر كما كانت في عهد أبي قد أضمحلت. وستضمحل مثلها إذا لم نتفهم الحقيقة»، ص: 81.

ألم يَأن للجاحدين أن يعترفوا، وللمكذبين أن يؤمنوا بأن شعبنا المجاهد كان دائما فاعلا مرفوعًا، وأنه جَرَّ في التراب كل من سوّلت له نفسه الاقتراب من حماه ومقدساته، وأنه إذا أمهل خصمه حينا من الدهر فإنه لا يهمله، ويكفيه مجدا في هذه المعركة أنه أسقط جمهورية، وسبع حكومات فرنسية.

يقول المرحوم رمضان حمود رحمه الله:

«التاريخ مُحْيِي الأمم وإذا شربته في كأس غيرها قتلها»، وإن أعداءنا يريدون الثأر لهزيمتهم النكراء بأن يضربوا بكل وسيلة سوراً من النسيان بيننا وبين أمجادنا، لننسى هذا التاريخ وأبطاله، ونشك فيه وفيهم، وإن أعداءنا يعرفون أننا ما غلبناهم إلا بعقيدتنا الإسلامية ووحدتنا الوطنية، ولذا فهم لا يألون جهدا في محو هذه العقيدة وتمزيق هذه الوحدة، فإن مكّنّاهم من ذلك فقد خُنّا أمانة المجاهدين والشهداء، وإنا إذن لخاسرون. ولكننا على يقين من أن شعبنا لن يخون أمانة الجهاد والشهادة.

أما أنت أيها الشعب الجزائري المسلم فأقول لك ما قاله الإمام محمد البشير الإبراهيمي: «فسلام عليك يوم لقيت من عقبة وصحبه برا، فكنت شامخا مشمخرا، ويوم لقيت من بيجو وحزبه شرا فسلمْتَ مضطرا، وأمسيت عابسا مكفهرا، وللانتقام مسرا، وسلام عليك يوم تصبح حرا (ولما تصبح بعد) متهللا مفترا، معتزا بالله لا مغترا».

محمد الهادي الحسني

هل كان مؤتمر الصومام بداية؟ (*)

مؤتمر الصومام - إن جاز لنا موضوعيا وصفه بمؤتمر - لم ينطلق من فراغ، بل تقدمته أحداث هامة، وانطلقت فكرته قبل عقده بما يقارب العام. ومن الواجب ذكر بعض الأحداث لاستكمال الصورة. ففي تاريخنا الحديث، وتاريخ الثورة على الخصوص، قضايا لم تأخذ حقها من التوضيح والتحليل، وبقيت تساؤلات كثيرة تنتظر لها جوابا... مؤتمر الصومام خلاصة مخطط وضع قبل انطلاق الثورة، وتنفيذ لفكرة وتجربة ظهرتا في الولاية الثانية... وهذا ما يدفعني للتعرض لبعض النقاط التي قد تجيب على بعض التساؤلات حول مؤتمر الصومام.

حقيقة، يصعب على من عايش الأحداث، وكان طرفا فيها أن يحيط بأي موضوع يتطرق إليه، لتشعب القضايا، وارتباط الأحداث ببعضها البعض.

أوت 1955 وأوت 1956 والعلاقة:

بعد حدث أوت 1955 العظيم، عاد مسؤولو المنطقة الثانية الى مواقعهم، وقام كل واحد منهم بتقييم انتفاضة أوت 1955، وإعداد تقرير عن الحالة العامة، استعدادا لاجتماع دعا إليه زيغود يوسف في أول نوفمبر 1955 بمناسبة الذكرى الأولى للثورة، في المكان المعروف بتاير أو دوار بني صبيح.

وفي اليوم المقرر، حضر حوالي 400 مجاهد بين مسؤولين وجنود للاجتماع، من أجل:

- استعراض نتائج 20 أوت 1955.
- تقييم النشاط السنوي (1954-1955).

تبين من استعراض النتائج أن حدث 20 أوت 1955 حدث عظيم، مشجع، بما أحدثه من أصداء على الصعيد الداخلي. وتأثيره النفساني والمعنوي على الشعب الجزائري... وعلى صعيد الثورة، بوضع القاطرة على السكة، وتخفيف الضغط على الأوراس، وخلق فرصة للاتصال بين الولايات... (1) وعلى الصعيد العالمي، حيث صارت القضية الجزائرية حديث الأوساط الفرنسية، وحديث المحافل الدولية...

كما تبين من الاستعراض متطلبات وملاحظات...

ومن المتطلبات أنه يتعين على الثورة أن تعد نفسها لاستقبال المئات والآلاف من المتطوعين، وخاصة من المثقفين، وأن تعزز الوحدة الوطنية بفتح المجال وإتاحة الفرصة لكل وطني مخلص قادر على أن يسهم في دعم الثورة...

(*) الرئيس علي كافي، عن صحيفة الشروق العربي مارس 1997.

(1) الولاية الوحيدة التي لم تنقطع معها الاتصالات، رغم المحاصرة والتطويق هي الولاية الأولى.

ومن الملاحظات: أن هناك بعض الأعراش مازالت مترددة، وترددها يشكل خطورة، لأنها تحتل مواقع استراتيجية هامة بالنسبة لتحركات المجاهدين، ولترددها أسباب، منها:

1 - القمع الاستعماري الذي أحدث الرعب في النفوس...

2 - نقصها في التكوين السياسي، وعجزها عن التعرف على الأهداف الحقيقية للثورة... ولعلاج وضع هذه الأعراش تقرر القيام بحملة واسعة للشرح والاقناع، بدل اللجوء الى استعمال العنف لحملها على الانضمام الى الثورة...

أيضا من الملاحظات: وقوع تصرفات، لا تمت الى الثورة بصلة من قبل عناصر قد تكون مدسوسة... كادت هذه التصرفات تنحرف بالثورة عن مسارها النظيف، وتزج بها في حمامات من الدماء، والانتقامات... ولعلاج هذه الظاهرة تقرر تطهير الصف الثوري من هاته العناصر بحزم وصرامة، وبعدم التسامح مع كل من يرتكب خطأ يمس بقدسية، أو يحاول أن ينحرف بها...

ومن الملاحظات التي أثيرت: أن البعض من المسؤولين أو النواحي لم تقم بتنفيذ ما تم عليه الاجتماع لانتفاضة أوت 1955...

أما في تقييم النشاط، فقد تقدم المسؤولون بالتقارير السياسية والنظامية والمالية والتعبويةوالتمويلية... ولهذا كان عقد الاجتماع ضروريا...

بداية الاتصالات مع العاصمة:

إن انتفاضة 20 أوت ونتائجها الهائلة والمكاسب التاريخية التي حققتها، كانت دافعا لمسؤولي بعض المناطق للتعرف على حقيقة الوضع في المنطقة الثانية وطريقة تنظيمها وأسلوب عملها، مع العلم أن المراسلات كانت متواصلة والاتصالات المباشرة مع المنطقة الرابعة مستمرة بالوسائل وعن طريق أشخاص مسؤولين في مدينة قسنطينة تابعين للمنطقة الثانية.

وفي شهر نوفمبر 1955 زار المنطقة الثانية الطالب عمارة رشيد مبعوثا من المنطقة الرابعة (الولاية الرابعة فيما بعد) كانت زيارته حدثا هاما، لأنه تأكيد واعتراف بالأهداف التي حققها 20 أوت 1955. هذا من ناحية، والناحية الثانية، أن مجيئه من عاصمة القطر له دخل في رفع المعنويات لدى الجنود والمناضلين الذين كانوا يعانون من العزلة، وقد أتيحت الفرصة للزائر أن يطلع عن قرب على تنظيم المنطقة، وحضر عدة اجتماعات على مستوى المسؤولين بما في ذلك المستوى المحلي، وجرى بينه وبينهم نقاش في قضايا الثورة، من ذلك رغبة المنطقة الثانية في ضرورة تنسيق العمل الثوري على مستوى القطر أولا لتقييم الوضع منذ انطلاقة الثورة، وثانيا لتوضيح الرؤى المستقبلية. وأبدت المنطقة استعدادها لعقده فوق ترابها وعلى مسؤوليتها. وأخيرا زودته القيادة بتقرير شامل عن الوضعية العامة بالمنطقة.

عاد عمارة الى العاصمة حاملا معه رسالة وافية من قيادة المنطقة الثانية، وسلمها الى عبان رمضان الذي نقل بدوره محتواها الى أوعمران، فأعجب هذا الأخير بالفكرة ووافق في الحين بإلحاحه على عبان بأن يرسل مبعوثا آخر، فوقع الاختيار على سعد دحلب.

وفعلا وصل دحلب الى قسنطينة، حيث استقبله بوجريو مسعود المدعو مسعود القسنطيني، وتولى هذا نقله الى الناحية التي كان يقودها صالح بوبنيدر، ومنها توجها معا الى بني أحمد قرب عين طاية (حمام

المسخوطين) حيث كان زيغود ومعه كل من عبد الله طوبال، وعلي كافي، وباقي أعضاء مجالس المنطقة والنواحي..» (1).

عاش دحلب حوالي ثلاثة أسابيع داخل المنطقة، وتابع سيرها في مختلف النواحي، وتعرف على وضعيتها في الميدان فأبدى دهشته من التنظيم، والانضباط والانسجام، ومما شد اهتمامه أنه شاهد بعض المجاهدين يقومون بمباريات في النواحي شبه المحررة، ومن خلال معاينته تأكد بأن الثورة في المنطقة الثانية بخير. المعنويات مرتفعة، والمعارك متواصلة. توثقت العلاقة بين دحلب وزيغود، حتى أن هذا الأخير عرض عليه البقاء في المنطقة الثانية (2).

بعد رجوع دحلب الى العاصمة جاءت رسالة بالموافقة، فأعطى زيغود تعليماته بالاعداد لاحتضان المؤتمر واختير في الأول مكان المشروحة أو بوزعرور في شبه جزيرة القل الحصينة. وأخيرا تمت الموافقة على بوزعرور لأنه حصين ومحرر من طرف جيش التحرير الوطني. وبدأت الأشغال في توفير الأمن وحفر الملاجيء تحت الأرض وإعداد التموين وامتد ذلك على عشرات الكيلومترات.

وفي هذا الظرف بالذات وصلت من قيادة المنطقة الأولى (الأوراس النمامشة) رسالة عقب عليها زيغود عند قراءتها وهو دامع العينين «لقد استشهد مصطفى بن بولعيد» وأحسّ زيغود - وهو الذي يعرف المنطقة الأولى وأوضاعها أحسن معرفة - أن استشهاد مصطفى بن بولعيد - بالإضافة الى أنه خسارة كبيرة جدا للثورة لم يكن صدفة...

وعلى إثر هذا جاءت رسالة ثانية من العاصمة تقترح مكانا وسطا تسهيلا لجميع القادة من الوصول الى المكان المقترح للمؤتمر، وهو وادي الصومام مع تحديد يوم 20 أوت 1956.

هكذا كانت بدايات فكرة مؤتمر الصومام، وإثر هذه الاتصالات بدأ الاعداد له...

في فترة الاعداد:

يلاحظ المتتبع للأحداث أن فترة الاعداد لمؤتمر الصومام عرفت تحركات غير عادية، ونشاطا غير معهود في المنطقة الرابعة (الولاية الرابعة) بإشراف عبان رمضان، ومن أبرزها: اتصالات متنوعة مع مختلف الطبقات والأشخاص. تأسيس الاتحادات والتنظيمات، وفي مقدمتها الاتحاد العام للعمال الجزائريين. اتحاد الطلبة المسلمين. اتحاد التجار الجزائريين...

هذا النشاط الحثيث لتكوين تنظيمات واتحادات من الناحية المهنية مقبول، تحبذه كل الولايات، ويرحب به كل المسؤولين، لو وقع إثر استشارات بين قادة الولايات، ولو لم يقع مباشرة قبل انعقاد المؤتمر، مما أضفى على هاته العمليات غموضا، وأحدث شكوكا في نوايا الذين اهتموا بها اهتماما فائقا، وذهبت الشكوك

---

(1) لقد استعرض سعد دحلب بعض تفاصيل رحلته الى الولاية الثانية في كتابه «مهمة كاملة».

(2) من الطرائف التي يرويها دحلب عن المنطقة الثانية بعد التحاقه بالعاصمة أنه كان يروي لرفقائه المناضلين بالعاصمة ما شاهده بها، وكان يقدم مشاهداته في شكل قصة يقدمها لزملائه على حلقات بالتقسيط وبشرط أن يتناول العشاء عند الراغب في سماع القصة، وهكذا عاش أسبوعين... على حساب ما شهده في المنطقة الثانية، بعد 20 أوت 1955 (حسب ما رواه لنا شخصيا).

الى حد أن العملية تمهيد لإقحام أناس لا علاقة لهم بالثورة بعناوين جديدة، وتحت غطاء الوحدة الوطنية... وتركزت الشكوك حول عبان رمضان نفسه... ألا توجد هنا خلفيات؟...

انعقاد مؤتمر الصومام:

رغم كل الصعوبات، ورغم تردد العديد من الأطراف، فقد انعقد المؤتمر، وتناول الذين حضروه النقاط التالية:

1 - أسباب وموضوع الاجتماع.

2 - تقديم عرض حال حول:

- الجانب التنظيمي: التقسيم، الهياكل، مراكز القيادة.

- الجانب العسكري: العدد، الوحدات، تشكيلها، الأسلحة.

- الجانب السياسي: الحالة المعنوية للمجاهدين والجماهير الشعبية.

3 - الأرضية السياسية.

4 - التوحيد في المجالات:

- النظامية: التقسيم، الهياكل، التنقلات، مراكز القيادة.

- العسكرية: الوحدات، الرتب، النياشين، الأوسمة، المرتبات، المنح العائلية.

- السياسية: المحافظون السياسيون ومهامهم.

- الإدارية: المجالس الشعبية.

5 - جبهة التحرير الوطني: الجانب العقائدي. القانون الأساسي. النظام الداخلي. هيكلة القيادة: المجلس الوطني للثورة، لجنة التنسيق والتنفيذ.

6 - جيش التحرير الوطني: المصطلحات (مجاهد، مسبل، فدائي) دور الجيش في المرحلة الراهنة: توسيع دائرة المعارك والعمليات، وتصعيد الهجومات.

7 - العلاقة بين جبهة التحرير وجيش التحرير. وعلاقة الداخل بالخارج (تونس، المغرب. فرنسا).

8 - العتاد.

9 - رزنامة العمل سياسيا وعسكريا. الوسائل المادية. إيقاف القتال. المفاوضات. هيآت الأمم المتحدة. حكومة مؤقتة.

10 - شؤون مختلفة.

المؤتمر والحيلولة دون التناقضات:

لم ينعقد مؤتمر الصومام إلا من أجل أهداف، والهدف الرئيسي هو توحيد العمل الثوري على جميع المستويات، والقضاء على المواقف الفردية والتصرفات الشخصية، والتناقضات التي ظهرت على سطح العمل الثوري خلال السنتين الفارطتين... فقد كان كل مسؤول يتخذ المبادرة التي يراها مناسبة لمنطقته، وحسب اجتهاده مادامت الاتصالات منعدمة، أو شبه منعدمة، ومادامت الوسائل غير متوفرة، وخاصة منها السلاح الذي كان يمثل الحاجة الأولى للثورة... ومن التناقضات بروز بعض بوادر الصراع حول تزعم الثورة، فهناك عدة جهات

وشخصيات تزعم بأنها الأولى بزعامة الثورة وقيادتها، وخاصة بين مسؤولي الداخل وممثليهم في الخارج. لكل هذا كان الاجتماع ضروريا، وكان جدول الأعمال الذي ذكرته، لأنه يلخص إنشغالات المناطق.

ولعل من المفيد تاريخيا أن نقرر هذه الحقائق، وهي:

1 - اعتماد المؤتمر تقرير المنطقة الثانية كوثيقة عمل، وأرضية للنقاش، حيث اتفق عليه كل الحاضرين.

2 - اعتماد الهيكل التنظيمي للمنطقة الثانية في تنظيم المناطق.

3 - اعتماد جماعية التسيير، وأهم ما في التقرير تجربة المجالس الشعبية بالنقطة الثانية. المجالس في جوهرها تنظيم الجماهير تنظيما محكما... فما حقيقة هذه المجالس؟

المجالس الشعبية:

بادرت المنطقة الثانية قبل غيرها بتنظيم الشعب، وتأطيره، وتعبئته، لأنه يمثل لجيش التحرير الوطني - القليل العدد - الماء للسمكة... فكما لا تستطيع السمكة أن تعيش بدون ماء، كذلك الجيش لا يستطيع أن يتحرك، فضلا عن أن يقوم بعمل هام، بدون التأييد الشعبي، والتفافه حول جيشه... هذا هو السبب الرئيسي في إنشاء المجالس الشعبية، وكانت القاعدة الصلبة للهرم التنظيمي للمنطقة. وتتكون في كل دوار من مسؤول وأربعة أعضاء ينتخبون بكل حرية وديمقراطية من سكان الدوار، وهم مكلفون بـ: المال، التموين، الأخبار، الأمن، يساعدهم مسؤولو المشاتي.

مهام المجالس الشعبية:

ونظرا لأهمية المجالس التي أعجب بها حضور المؤتمر، يجدر التعرض لمهام كل مسؤول فيها:

1 - مسؤول المجلس، مهامه:

- التنسيق بين أعمال ونشاطات مختلف الأعضاء.
- السهر على تنفيذ التعليمات والتوجيهات.
- تنشيط ومراقبة الهياكل النظامية في الدوار، والسهر على تطبيق قرارات المجلس الشعبي بالدوار.
- تنظيم اجتماعات المجلس ورئاستها.
- مراقبة نشاط رجال الشرطة.

2 - مسؤول المالية:

- جمع الاشتراكات والتبرعات من مسؤولي المشاتي والقرى والمدن. ويقدم تقارير شهرية بذلك.
- تسديد نفقات الهياكل النظامية.
- صرف منح أسر الشهداء، وعائلات المجاهدين المنكوبين، ويتم ذلك بواسطة مسؤولي المشاتي.

3 - مسؤول الدعاية والأخبار، مهامه:

- تنظيم مراكز البريد.
- جمع المعلومات وتبليغها للقيادة.

- مراقبة تحركات العدو وعدده وعدته.

- تنظيم شبكة الاستعلامات داخل الدوار والقرى والمدن.

- إحصاء الشهداء والمساجين، وتسجيل أعمال القمع التي يقوم بها العدو.

- إحصاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي بمختلف أصنافهم.

- كشف الخونة والمتجبرين.

4 - مسؤول الأمن، مهامه:

- الإشراف على رجال الشرطة وتحديد الأماكن الملائمة لمراكز جيش التحرير الوطني.

- تنظيم التنقلات، ومراقبة رخصها الخاصة بالمواطنين، وتحديد الطرق والمسالك الخاصة بالأفراد وقوافل التموين.

- تنظيم ومراقبة الحراسة الشعبية، ومساعدة مسؤولي المشاتي ومساعديهم.

5 - مسؤول التموين، مهامه:

- جمع التموين وتخزينه وتوزيعه على مراكز جيش التحرير الوطني.

- القيام بجرد ممتلكات الثورة من حبوب ومواد غذائية، وحيوانات والعناية بها.

6 - مسؤول الدشرة. مهامه:

- جمع الاشتراكات والزكاة والتبرعات.

- تنظيم الحراسة الشعبية بالتناوب حتى تكون المشاركة جماعية وعادلة.

- تبليغ مختلف المعلومات والأخبار لأعضاء المجلس الشعبي.

- مراقبة الخونة والمشبوهين وتحركات العدو.

- استقبال مجاهدي جيش التحرير الوطني. وتأمين المأوى والأكل لهم، ومدهم بكل ما لديه من معلومات تهم الجانب العسكري.

- تحضير قوافل التموين والسهر على حفظ التموين وتخزينه.

- توزيع المنح العائلية على أسر الشهداء والمجاهدين.

- تسجيل الحالة المدنية وتبليغها لمسؤول الدوار.

- العمل على حل المشاكل التي تقع بين المواطنين عن طريق الصلح.

الهيكل التنظيمي:

اعتمد المؤتمر الهيكل المعمول به في المنطقة الثانية، وهي هيكلة موروثة في الحقيقة عن حزب الشعب الجزائري: القسم. الناحية. المنطقة. الولاية.

من مقررات المؤتمر:

بخصوص التنظيم العسكري (هيكلة الجيش) قرر المؤتمر ترتيبه كالآتي:

* أولا:

- الكتيبة: 110 جندي.
- الفرقة: 35 جنديا.
- الفوج: 11 جنديا.
- نصف فوج: 5 جنود.

وأختيرت رتبة العقيد لقائد الولاية.

* ثانيا:

- أعيد التقسيم الجغرافي، ووقع تقسيم القطر الى ست ولايات.

* ثالثا:

- تم الاتفاق على توحيد الزي والرتب والشارات العسكرية.
- تكوين هيآة تشريعية أطلق عليها عنوان: المجلس الوطني للثورة، وهيآة تنفيذية أطلق عليها عنوان: التنسيق والتنفيذ CCE.

جماعة التسيير (مجلس الولاية):

مما قرره المؤتمر:

1 - وضع الولاية تحت إشراف مجلس الولاية، ويرأسه قائد الولاية برتبة عقيد، وليس من صلاحيته تعيين نوابه، أو فصلهم، أو تجريدهم من رتبهم، بل أوكلت هذه المهمة للجنة التنسيق والتنفيذ، مع السماح لقائد الولاية أن يدلي باقتراحاته فقط. كما أن لجنة التنسيق والتنفيذ بدورها تتشكل من مسؤولين: سياسي، عسكري، استعلامات ومواصلات، ينسق مع قائد الولاية بتفويض من لجنة التنسيق والتنفيذ.

2 - أولوية الداخل على الخارج.

3 - أولوية السياسي على العسكري، وطبقا لهذا القرار، فإن لجنة التنسيق والتنفيذ أن يكون مقرها داخل الوطن.

4 - الصلاحيات والتنظيمات في تقرير الولاية.

5 - تحديد كل ولاية جغرافية مع تعيين قائدها، وفي هذا الإطار وقع تقليص في الولايات الأولى والرابعة والخامسة لفائدة الولاية السادسة.

6 - إقرار الثورة الزراعية لمصلحة الفلاح الذي يعد الرافد الأساسي للثورة، وتحقيقا للعدالة الاجتماعية.

ملاحظات وتساؤلات:

من أجل هذه القرارات، اكتسى مؤتمر الصومام أهمية خاصة، وهذا مما لا يشك فيه أي شخص. إلا بعض التساؤلات طرحت نفسها، ولا تزال.

أولا: هل مؤتمر الصومام مؤتمر أو مجرد اجتماع؟ لا تهمنا مدلولات المصطلحات بقدر ما يهمنا الواقع. بما أن الحضور اقتصر على ثلاث مناطق: الثانية. الثالثة. الرابعة. أما الخامسة فقد كانت غائبة، رغم حضور محمد العربي بن مهيدي، لأن هذا لم يستشر القيادة المسيرة للولاية الخامسة آنذاك. ولم تحضره المنطقة الأولى

لاستشهاد مصطفى بن بولعيد. كما لم يحضره ممثلو الثورة بالخارج، وممثلو الحادية لفرنسا... وهذا هو السبب في رفض قرارات المؤتمر من البعض، ووقوف بعض المسؤولين ضدها...

ثانيا: لماذا أختارت لجنة التنسيق والتنفيذ العاصمة مقرا لها بدل الجبال ومقار الولايات، حيث جيش التحرير الوطني يتحكم في الوضع نوعا ما، وحيث يتوفر الأمن لها بنسبة أكبر من العاصمة، لاسيما وأن وجود اللجنة بالولايات والتحامها بالجيش والجماهير الريفية يشجع المجاهدين والمناضلين، ويرفع معنوياتهم، ويتيح الفرصة أيضا لأعضاء اللجنة كي يطلعوا بأنفسهم على واقع الحياة ومشاكلها!!..

ثالثا: لماذا غادرت لجنة التنسيق والتنفيذ القطر الجزائري؟ إن المغادرة لها مفهوم واحد هو أن القيادة بكاملها تخلفت عن مهمتها التي كلفت بها، ونصبت نفسها في عواصم العالم، وهو أمر غير طبيعي في ثورة بحجم ثورة الجزائر التي تفتقر الى القيادات ذات التجربة السياسية والقتالية، والى المساعدات المنظمة المتواصلة من الخارج كما هو الشأن في ثورات أخرى، تعتمد كثيرا على الجيران، وجيراننا تونس والمغرب لم يكونا في وضع يسمح لهم بتقديم أكثر مما قدموا... لماذا لم يقتد أعضاء اللجنة بماوتسي تونغ، وهوشي وغيرهما: لم يغادر أي منهما معسكر ثورته حتى النهاية، مع أن لهما إمكانية الخروج من البلاد والاكتفاء بتسيير ثورتهما من موسكو أو بكين؟.

رابعا: وأخيرا هل أدى المجلس الوطني للثورة واجبه كمجلس ومرجع للثورة.

الاتجاهات داخل المؤتمر:

من الطبيعي أن تختلف النظريات، وأن تكثر الاتجاهات. وتنشأ أحيانا تيارات، تدخل صراعا، قد تنتهي منه... ولثورتنا اتجاهات، لم تتطور الى تيارات متصارعة والحمد لله...

تحتاج قضية الاتجاهات داخل قيادة الثورة الى نوع من التوضيح العابر والمبسط... كان أغلب الثوريين العسكريين متأكدين بأن الثورة ليست عملية سهلة، ولذلك ستطول، ولربما تمر بمراحل معقدة وشائكة، وفعلا، استغرقت الثورة سبع سنوات ونصف، ومرت بمراحل قاسية وعسيرة، لأن فرنسا بذلت كل جهودها، وجندت كل ما في إمكانها من طاقات لتحطيم ثورة تطمح الى زعزعة أركان البناء الاستعماري الذي اقتضى من فرنسا حوالي قرن وثلث... ولا ننسى بأن الجزائر تحتل موقعا استراتيجيا حيويا بالنسبة لفرنسا كقوة عالمية، وقد جربت هذا في الحربين العالميتين.

في حين أن السياسيين ومحترفي السياسة كانوا يظنون أن المعركة ليست سوى جولات، لا تلبث أن تنتهي بسرعة، كأن القضية ملاكمة في الحلبة معدودة الجولات... وكان أكثرهم يعتقد أن الحرب والمواجهة لا تتعدى سنة 1957. وهؤلاء السياسيون هم الذين حاولوا أن يدعموا مواقفهم بالمنظمات الجماهيرية التي كرسوا جهودهم وأوقاتهم من أجل إنشائها... وهذا التفكير والتصور هو الذي دفعهم الى وضع قواعد مشبوهة، أو تخفي خلفيات، من ذلك مثلا: قاعدة أولوية السياسي على العسكري... هذه قاعدة تتطلب نقاشا حول الهدف منها، من هو السياسي، ومن هو العسكري عام 1955؟ من يجهل بأن الذين التحقوا بالثورة هم أساسا مناضلون متخرجون من حزب الشعب الجزائري، وهو حزب ملأ الساحة سياسة، ولما رأى عجز السياسة عن إنقاذ الوطن، قرر خوض المعمعة والمعركة الكبرى (الاستقلال التام)... الثوري قبل كل شيء يؤمن بمبادىء سياسية، اقتضت منه الظروف أن يلبس البذلة العسكرية، وقد كانت أكثرية الجنود لا ترتدي إلا اللباس المدني، أفضل للاختفاء والتنكر ومغالطة القوات الفرنسية، بل هناك من يرتدي في النهار لباسا مدنيا، وفي الليل لباسا عسكريا، فكيف نقسم هذا المناضل الى عسكري وسياسي!!.. وقد وصل الأمر بهذا الاتجاه الى إسناد

مسؤوليات لأشخاص لم يؤمنوا في حياتهم بالعمل الثوري، وكانوا يعتبرون الثورة عنفا، لا داعي للجوء إليه، ويعتبرون المؤمنين بها حلا للمشكل الجزائري مجانين!... لقد اقترح عبان رمضان مثلا فرحات عباس والشيخ عباس بن الشيخ الحسين أعضاء في المجلس الوطني للثورة، وكاد هذا الأخير يتحصل على عضوية المجلس الوطني... (1) والشخصان من بين الشخصيات السياسية التي نددت بحوادث أوت 1955 التي أضفت على الثورة بعديها الوطني والعالمي.

ومما لوحظ لدى هذا الاتجاه تركيزه واهتمامه على طبقات معينة بورجوازية ومثقفة وبيروقراطية على حساب الطبقة الريفية التي تحملت العبء الأكبر في الثورة، من التضحيات، والتشريد والإبادة... وسجل الاستشهاد يشهد بأن عدد شهداء الريف يفوق عدد إخوانهم في المدن... أهملت هذه الشريحة الأصلية...

ومن استسهالهم للقضايا، واعتمادهم على السياسة أنهم كانوا يعتقدون أن القضية الجزائرية ستسوى بتفاوض بسيط، وأن الحل أكيد في عهد «جي مولي» ولولا اختطاف الطائرة لحدثت أمور... ومن الطرائف أن بن مهيدي قال ليوسف زيغود أثناء توديعه بعد الانتهاء من مؤتمر الصومام «سنلتقي قريبا في نهج إيزلي (نهج بن مهيدي حاليا) في نهاية السنة أو في مطلع 1957 إن شاء الله للاحتفال بالنصر، مع أن بن مهيدي من المؤمنين بالعمل الثوري، ومن رواد ثورة التحرير، إلا أن تصوره لانتهاء المعركة مع فرنسا سيكون بمعركة حاسمة في العاصمة شبيهة بديان بيان فو. ولم يكن تصورا صائبا... ذلك لأن المحيطين به كانوا يتوهمون بأن الثورة جولات...

أما شعار أولوية الداخل على الخارج، فقد أحدث شرخا في التعبئة الثورية... تكرست الخلافات بين الداخل والخارج، وازداد التسابق على السلطة، وظهرت الأطماع، وعادت الانقسامات ومخلفات ما قبل الثورة، وعرفت الساحة مراكز قوى أدت الى تناقضات، واصطدامات، وتمزيق الصفوف، لولا يقظة المؤمنين برسالة الثورة ومبادئها من رجال جيش التحرير الوطني.

الثورة عند انطلاقتها كانت كتلة واحدة، لا تعرف سياسيا وعسكريا ولا داخليا أو خارجيا... فما هو هدف الذين رفعوا هاته الشعارات التي جعلت يوسف زيغود يقول لرفاقه في مرارة وحسرة: «إننا سنتحصل على الاستقلال، لكن الثورة انتهت»!...

ورغم أن المؤتمر تبنى تقرير الولاية الثانية، ورغم موافقة هاته على الخطوط العامة لقرارات المؤتمر، فإنها تحفظت على بعض النقاط، وتصرفت معها بأسلوب خاص، من ذلك أن مسؤولي الولاية رفضوا تعليق الرتب، وظلوا محافظين على أسلوبهم القديم، وذلك لأمرين: أولهما تجنب كل ما يميز بين الأسرة الثورية الواحدة، ويعود الفضل في تماسك الولاية لهذا التصرف الحكيم. ثانيهما: اللباس العسكري والرتب قد تسبب أحيانا بعض المتاعب، وكم من مسؤول استشهد في الميدان، ولم يتعرف عليه العدو إلا بعد فترة من الزمن، ويوسف زيغود، لم تتعرف عليه الفرقة الفرنسية التي قتلته إلا بعد غد، لأنه لا يحمل شارة الرتبة.

التغيير الطارئ على الولاية بعد المؤتمر:

طرأت على الولاية الثانية بعد مؤتمر الصومام مستجدات كثيرة من الناحية القيادية، وفي التوعية، وفي التنظيم.

---

(1) فوجيء قادة الولاية الثانية بوجود الشخص ضمن قائمة المجلس الوطني، فاعترضوا بشدة على هذا التصرف، وتم بعد ذلك شطب الاسم من القائمة.

كلف مؤتمر الصومام القائد يوسف زيغود رفقة إبراهيم مزهودي بالتوجه الى الولاية الأولى وإبلاغها قرارات المؤتمر، والعمل على حل بعض المشاكل التي تعرضت لها الولاية بعد استشهاد بشير شيهاني أولا، ثم مصطفى بن بولعيد، وتوفير حد من الانسجام والوئام بين قادة الولاية بوصفها قلعة الثورة وحصنها... غير أن زيغود وهو في طريقه زار عائلته وودعها، ولما وصل ناحية سيدي مزغيش، فوجيء بتطويق الجيش الفرنسي له، وليس معه إلا عدد قليل من الجنود، لأن من عادته أن لا يرافقه أي عدد محدود من الجنود، وينفر من العدد الكبير للحراسة... وبذلك فقدت الولاية بطلا ثالثا بعد ديدوش مراد وباجي... نعم، كانت الصدمة عنيفة، للولاية وللثورة، ولكن الإرادة كانت أقوى إذ سرعان ما تشكلت "القيادة، وواصلت المسيرة وشرعت في النشاط.

افتتحت نشاطها بعملية واسعة لشرح قرارات المؤتمر، وتطوير الهياكل العسكرية، والنظامية، والاجتماعية، والصحية، والإدارية، وتعيين المسؤولين.

أعيد النظر في التقسيم الجغرافي والهيكلي للولاية، وأصبحت الولاية تضم خمس مناطق، وقسمت كل منطقة الى نواح، وكل ناحية الى أقسام، والقسم يضم عددا كبيرا من الدواوير والمشاتي. وتحددت الصلاحيات في كل مستوى.

1 - صلاحيات مسؤول اللجنة:

- يتمتع مسؤول اللجنة بالسلطة المركزية في حدود دائرته الترابية، ويعتبر المسؤول الرئيسي أمام الهيآة الأعلى منه مباشرة، ومن مهامه:

1) تنظيم اجتماعات اللجنة ورئاستها.

2) السهر على احترام مبدأ الإجماع أو الأغلبية في إتخاذ القرار.

3) الحرص أثناء الاجتماعات على حفظ التوازن، والتكامل، والانسجام فيما يتعلق بالميدانين السياسي والعسكري.

4) تبليغ التعليمات والتوجيهات اللازمة الى جميع الأعضاء، والبحث مع الجهات المعنية عن ظروف التطبيق.

5) تفتيش ومراقبة لجنته، ومجموع اللجان حسب السلم التنظيمي.

2 - صلاحيات المسؤول العسكري:

المسؤول العسكري مسؤول عن دائرته فقط على جيش التحرير الوطني (مجاهدين، مسبلين، فدائيين، رجال الدرك، حراس الغابات) ويعتبر المسؤول عن:

- التدريب العسكري لجنود جيش التحرير الوطني.
- التربية الفكرية والعقائدية لجيش التحرير الوطني.
- النشاطات والعمليات العسكرية التي تقع في حدود دائرته.
- تحديد أماكن العمليات ومراقبتها وتقييم نتائجها.

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن على المسؤول العسكري أثناء تأدية مهامه أن يسترشد برأي مسؤول الاستعلامات.

- دفع مرتبات المجاهدين والسهر على تطبيق الطاعة والانضباط داخل وحدات الجيش. وهو المكلف أيضا بتقديم التقارير: النظامية، الأدبية، العسكرية، المالية، وضعية العدد والعدة.

كما أنه مطالب بتقديم تقريرين عقب كل عملية، أو نشاط عسكري: الأول يقدمه الى لجنة الناحية، وإن تعذر ذلك عليه لسبب من الأسباب، فعليه أن يرسله مباشرة الى قيادة الولاية، لاستغلاله والاستفادة منه في ميدان الدعاية... والثاني يقدمه الى لجنة القسم التي ترسله بدورها الى الهيئة الأعلى المباشرة.

3 - صلاحيات المسؤول السياسي (في حدود دائرته):

- التربية السياسية لعناصر جيش التحرير الوطني.
- الاتصال الدائم والمستمر بمختلف شرائح الشعب.
- توضيح الأهداف الحقيقية للثورة كما حددها بيان أول نوفمبر.
- الإجابة على مختلف الأسئلة والاستفسارات التي تطرح عليه.
- النشاط الدعائي، وتعريف الجماهير الشعبية بمختلف أنشطة جيش التحرير الوطني.
- تسلم مختلف الأموال والتبرعات.
- دفع النفقات والمنح العائلية.
- تسيير الاعتمادات المخصصة لمرتبات المجاهدين.
- مراقبة الإيرادات والنفقات.
- الاجتماع بالمجالس الشعبية للدواوير، وتبليغها التعليمات، ومراقبة أنشطتها.
- مراقبة أعمال لجان العدل، والفصل في المشاكل العالقة بها.
- اعداد تقرير مفصل عن انتهاكات العدو ضد المدنيين من قمع وزجر.
- السهر على شراء اللباس والتموين الضروريين، وإعداد مراكز خاصة بذلك تحسبا لكل الطوارىء.

اجتماعه باللجنة، ويقدم فيه: تقريرا عن الحالة المعنوية للشعب. تقريرا ماليا، وإداريا. وله الحق في إختيار نائب له يساعده في القيام بمهامه السالفة.

صلاحية مسؤول الاتصال والاستعلامات (في حدود دائرته).

- مراقبة الاتصالات البريدية وحسن سير البريد.
- الاطلاع باستمرار على نشاط قوات العدو ومراكزها، وتحركاتها، وتسريبها، وتبليغ المعلومات المتوفرة لديه لأعضاء اللجنة بصفة عامة، وللمسؤول العسكري خاصة.
- تنظيم شبكة استعلامات عبر كامل تراب المنطقة التي يتواجد فيها العدو. لا فرق في ذلك بين المدن والقرى والدواوير وغيرها، مع التكفل بالسهر على حسن سيره لكن فيما يتعلق بالمدن والقرى، فإن شبكة الاستعلامات لابد أن تمر عبر مسؤول اللجنة المحلية الذي يبلغ بدوره ما توفر لديه من معلومات في تقرير.

وأهم ما يشترط فيه لما لمسؤوليته من خطورة وسرية هو أن يحيط نفسه في كل الظروف بأناس غير معروفين ويتمتعون بقدر كبير من الإيمان والإخلاص ونكران الذات ليتمكن من استقصاء المعلومات، ومتابعة الحالة المعنوية للشعب، والتعرف وكشف الخونة والمنحرفين والمتعاونين مع العدو...

- استمرار البحث عن طرق الاتصال بالمجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي لإقناعهم بكل الوسائل، ودعوتهم الى الالتحاق بالثورة بأسلحتهم، واستخراج المعلومات، والأسرار بصفة خاصة منهم للتمكن من مهاجمة مراكز العدو بفضل تواطؤهم ومعلوماتهم.

دور مسؤول التموين:

نظرا لأهمية التموين ودوره في العمل الثوري، وبقصد التخفيف على الشعب، قررت قيادة الولاية ضبط تنظيم محكم ودقيق لعملية التموين. وتحقيقا لهذا الهدف عينت مسؤولا يعمل تحت إشراف اللجنة، وهو تابع لها هرميا من القسم الى الولاية.

واللجنة هي التي تخصص له الاعتمادات اللازمة للقيام بمهمته، وتحدد له مختلف الطلبات (تموين. لباس. أدوية. الخ...) وبما أن دوره حيوي وضروري، ويتبين هذا مما ذكرناه، ولتمكينه من أداء المهمة والقيام بواجباته على أحسن وجه، فقد تركت له حرية تعيين مختلف أعضاء اللجان التابعة له والتحديد دورها ومراقبة أنشطتها.

واللجان هي كما يلي:

1 - لجنة الشراء ودورها:

- تنظيم عملية الشراء في المدن والقرى.
- تنظيم مراكز التجمع والمحتشدات لإرسال التموين بواسطة النساء، والأطفال.
- إقامة عدة «سلاسل» [1] للتموين والسهر على حسن سيرها.

2 - لجنة التوزيع ودورها.

- تزويد دائرتها الترابية ومراكزها بالتموين ومختلف الأدوات والحاجات الضرورية.
- مراقبة الاستهلاك في المراكز.

3 - دور لجنة النقل والتخزين:

- تحضير وإقامة مخابيء الضروريات.
- السهر على حفظ وصيانة وأمن مخازن التموين.
- السهر على حماية الحيوانات (وأساسا البغال) التي تستخدم في نقل التموين.

هذا وبحكم المهام فإن مسؤولي التموين، بالمجالس الشعبية بالدواوير تابعون لمسؤولي التموين في القسم ويساعدونه على تأدية واجبه.

فمن الناحية النظامية:

إن مسؤول التموين مطالب بإعداد سجلات وتقديم تقارير شهرية، والسجلات الأساسية:

1 - سجل خاص بالحبوب (مدخول - استهلاك).

2 - سجل خاص بالمنتوجات الأخرى (مدخول - استهلاك).

---

(1) الطرقات والمسالك التي تمر بها قوافل التموين.

3 - سجل يتضمن أعضاء مختلف اللجان والمراكز.

4 - سجل خاص بالحيوانات (أغنام، بغال، حمير).

أما التقارير التي عليه أن يقدمها فهي:

1 - تقرير خاص عن المدخولات والمخروجات والباقي في المخازن من مختلف المواد.

2 - تقرير خاص بالشراء (المشتريات).

3 - تقرير خاص بنشاط مصالح التموين، القوافل والمكلفين بالشراء، الصعوبات المعترضة، ارتفاع أو انخفاض الأسعار وسبب ذلك، حالة طرق التموين، ووسائل النقل، وهل تتم تلبية حاجيات الدائرة بصفة مرضية.

4 - تقرير حول وضعية المخازن والمخابىء وحماية الحبوب والمواد الغذائية - وغير الغذائية - من التلف والفساد.

5 - تقرير أدبي حول سلوك عناصر منظمات التموين وعددهم وعدتهم.

أمانات اللجان:

في ميدان التنظيم الإداري كان لكل لجنة من اللجان (لجنة الولاية، لجنة المنطقة، لجنة الناحية، لجنة القسم)، أمانة خاصة بهم تتشكل من مجاهدين أكفاء تسهر على اعداد وتنظيم وحفظ وصيانة مختلف الوثائق: تعليمات، قرارات، محاضر، منشورات، قوائم، الخ...

ورغم الظروف الصعبة والامكانيات المحدودة فقد كانت تقوم بمهمتها.

النظام القضائي (لجان العدل):

لقد كان تنظيم الشعب وتأطيره يحتلان اهتماما بالغا لدى مسؤولي قيادة الولاية الثانية في مختلف الميادين: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فبعد تنظيم المجالس الشعبية - الخلية الأساسية للتنظيم القاعدي - وبعد تنظيم المشاتي واحداث نظام للشرطة يساعد المجالس في تأدية مهامها، اهتمت الولاية الثانية، وفي إطار التنظيم القاعدي بقطاعات أخرى لا تقل أهمية ولها علاقة مباشرة بالمواطن وبالمجاهد على السواء، مثل القضاء والصحة وغيرها.

لقد كان اهتمام القيادة بهذا القطاع منذ انطلاق الثورة بواسطة ما كان يعرف آنذاك بلجان الصلح، وبعد انتشار الثورة وتطور مسيرتها - خاصة بعد مؤتمر الصومام - مهمتها النظر في المنازعات والمخالفات والجنح التي تقع بين المدنيين.

أما الجنايات فكانت من اختصاص المحاكم الثورية، مهما كانت صفة مقترفيها.

وبموجب التعليمة رقم 11 المؤرخة في 1957/06/16 وضع مجلس الولاية القواعد التي تحكم لجان العدل وتنظم عملها من الناحيتين التشكيلية والموضوعية.

1 - تكوين اللجان:

على مستوى القسم، القاعدة، تتشكل لجنة العدل من مسؤول وأربعة أعضاء تعينهم لجنة المنطقة باقتراح من لجنة الناحية (ونلاحظ هنا احترام التسلسل الهيكلي الهرمي)، والأعضاء يختارون من بين المواطنين الذين يتمتعون بسلوك مثالي وقدر كاف من المعرفة بأحكام الشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الأول والمرجع الأساسي لجميع الأحكام.

ويتم عزل عضو من أعضاء اللجنة من طرف وتتكفل لجنة الناحية بعزل أي عضو من أعضاء اللجنة عند ارتكابه خطأ جسيما أثناء ممارسة مهامه أو نتيجة لسلوك مشين.

2 - الإختصاص:

هناك نوعان من الإختصاص: نوعي ومحلي. (وهو ما عرف بولاية القضاء). ذلك أنه بالإضافة الى لجان العدل، كانت هناك: المحاكم الثورية.

* لجان العدل:

من مهامها الأساسية: الفصل في قضايا المدنيين المتعلقة بالحقوق الشخصية والحقوق العينية والالتزامات والعقود بالإضافة الى قضايا الحيازة - الوصية، الميراث، الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة الخ...

كذلك الجنح على اختلاف أنواعها.

والجدير بالذكر أن أحكام اللجان تعتبر نهائية وغير قابلة للاستئناف، كما أن المتهم يتمتع بحق الدفاع عن نفسه أو اختيار من يدافع عنه.

*** المحاكم الثورية:** تختص بالنظر في القضايا التي يكون أطرافها من جبهة أو جيش التحرير الوطني بالإضافة الى الجنايات حتى وإن كان مقترفها مدنيا. والجدير بالذكر هو أن تنفيذ مختلف العقوبات كان يخضع لاجراءات يحددها القانون الداخلي لجيش التحرير الوطني.

فالهيئة الأعلى مباشرة هي المكلفة بتنفيذ جميع الأحكام الصادرة في حق أفراد الجيش والنظام السياسي، طبقا لدرجات المسؤولية باستثناء الحكم بالاعدام الذي يصدره وجوبا مجلس التأديب العسكري للمنطقة وبحضور قيادة الناحية المعنية.

كما أنه لا يتم تنفيذ حكم الاعدام - بعد صدوره - إلا بعد إبلاغ الولاية بذلك.

للتذكير

أقوال من أفواه الجلادين

- الجنرال كاترو حاكم الجزائر سنة 1943.

«استقلال الجزائر لا يمكن أن يدخل الى عقلي لحظة واحدة وأحداث الاضطرابات من أجله لا يمكن أن أقبله أبدا».

- منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا 1954.

«إن انفصال الجزائر عن فرنسا شيء لا يمكن أن يتصوره أحد، وهذا أمر يجب أن يكون واضحا لكل إنسان في كل زمان».

- ليمولي رئيس وزراء فرنسا 1956.

«إن فرنسا لا يمكن أن تخرج من الجزائر أبدا».

- كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية 1957.

«لا يمكن أن ينتظر منا أحد أن نضحي بالزاس لورين أخرى في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط».

- الجنرال ديغول رئيس الجمهورية الخامسة عند مجيئه الى الحكم في مايو 1958.

«إنه لمن السخف ومن المؤسف أن نقطع ما بين فرنسا والجزائر».

- الجنرال ديغول في سبتمبر 1959.

«إن المستقبل السياسي للجزائر يقرر في الجزائر نفسها».

- ديغول سنة 1960.

«جزائر الأمس قد ماتت والذين لا يفهمون ذلك سوف يدفنون معها».

- ديغول في آخر سنة 1961 (بعد سبع سنوات من جهاد الأباء وبحيرات الدماء).

«إن فرنسا توافق على أن يؤلف سكان الجزائر دولة كاملة الاستقلال».

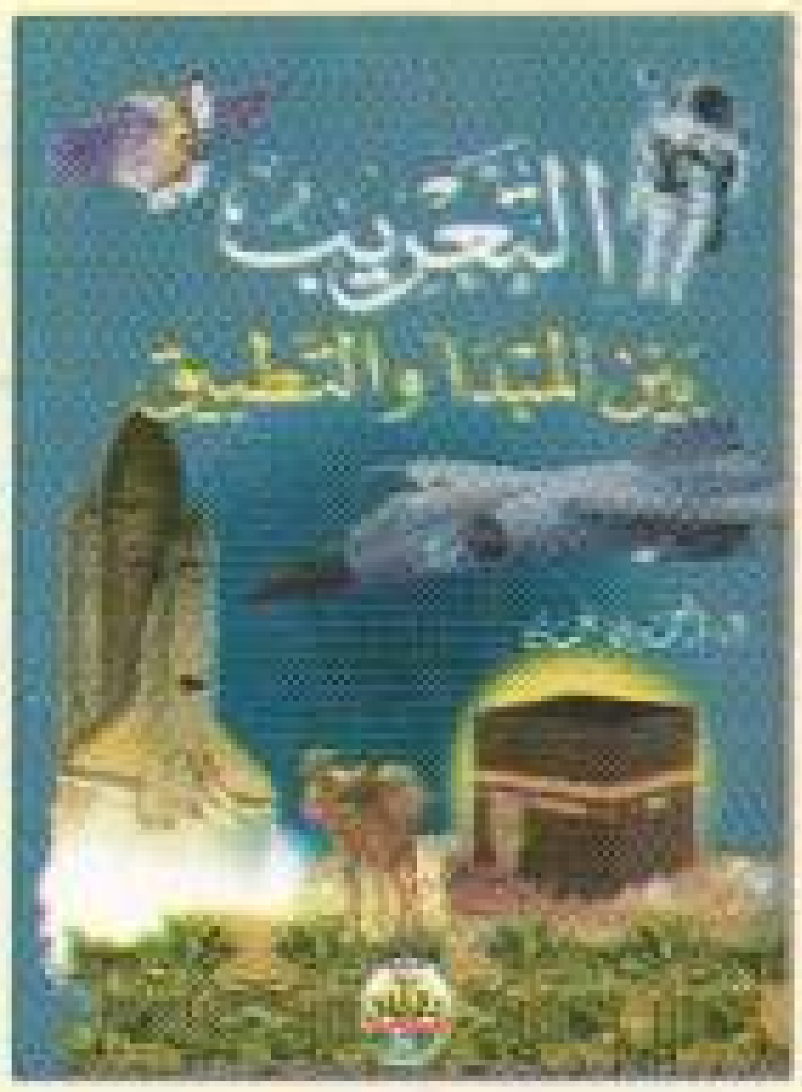
هذا للذكرى، فعسى أن ينتفع بها المؤمنون من أجيال السلف، والصاعدون من أجيال الخلف.

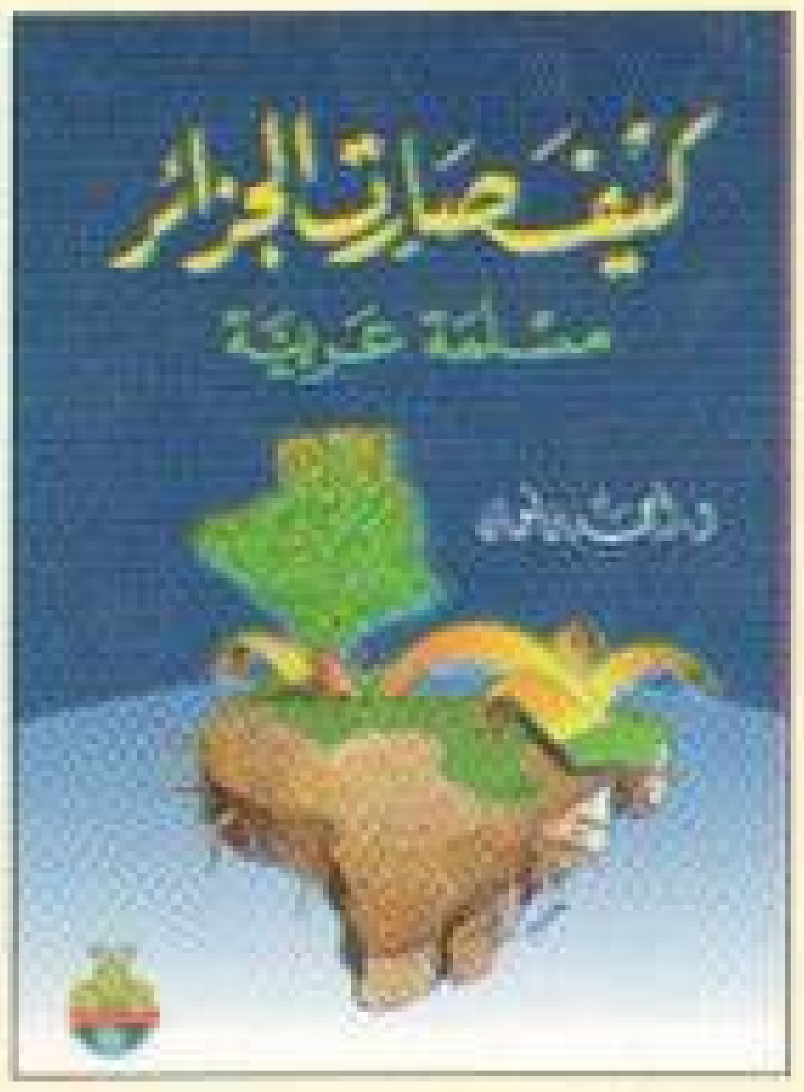
وإذا كان الصعود الى القمة مهما، فالأهم منه هو المحافظة على مقومات البقاء في هذه القمة!!

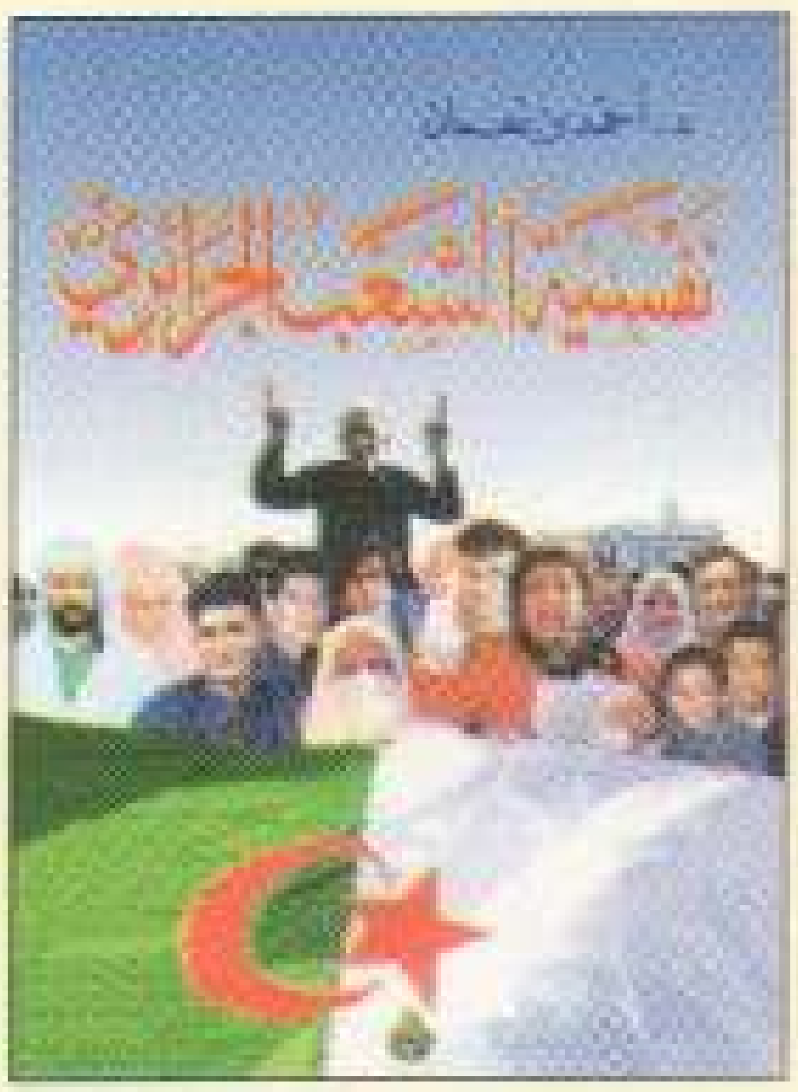
الفهرس

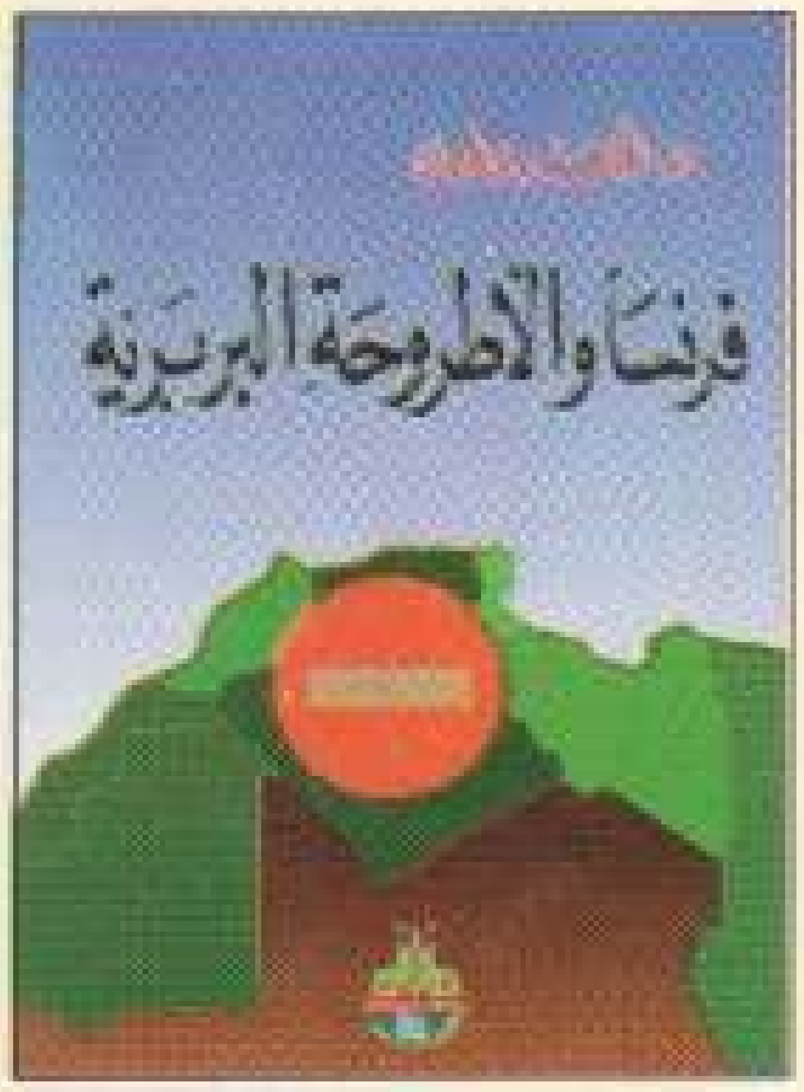
ملاحق

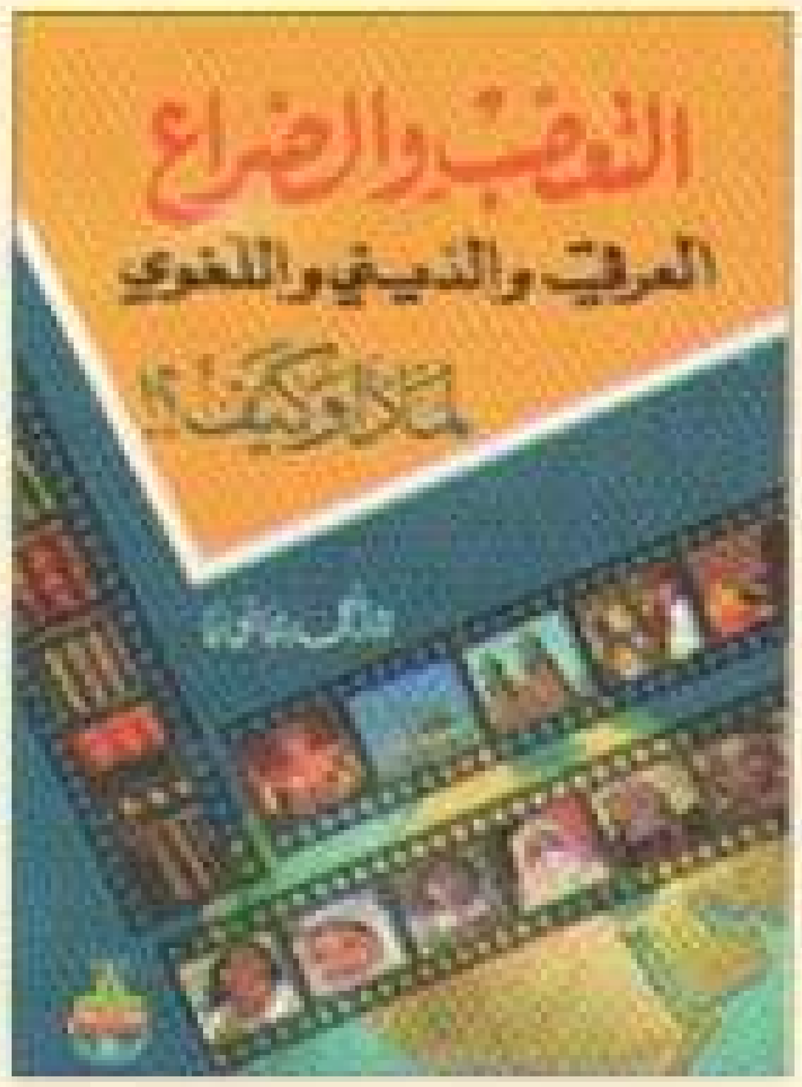
من منشورات الدار لنفس المؤ

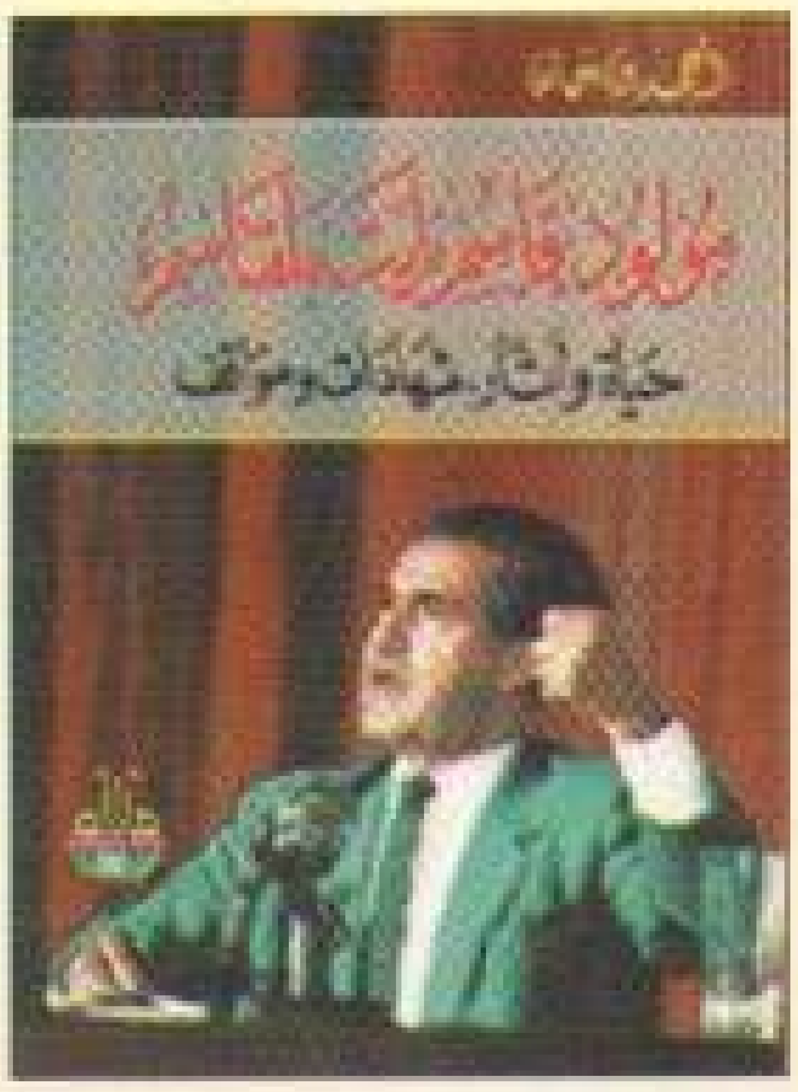


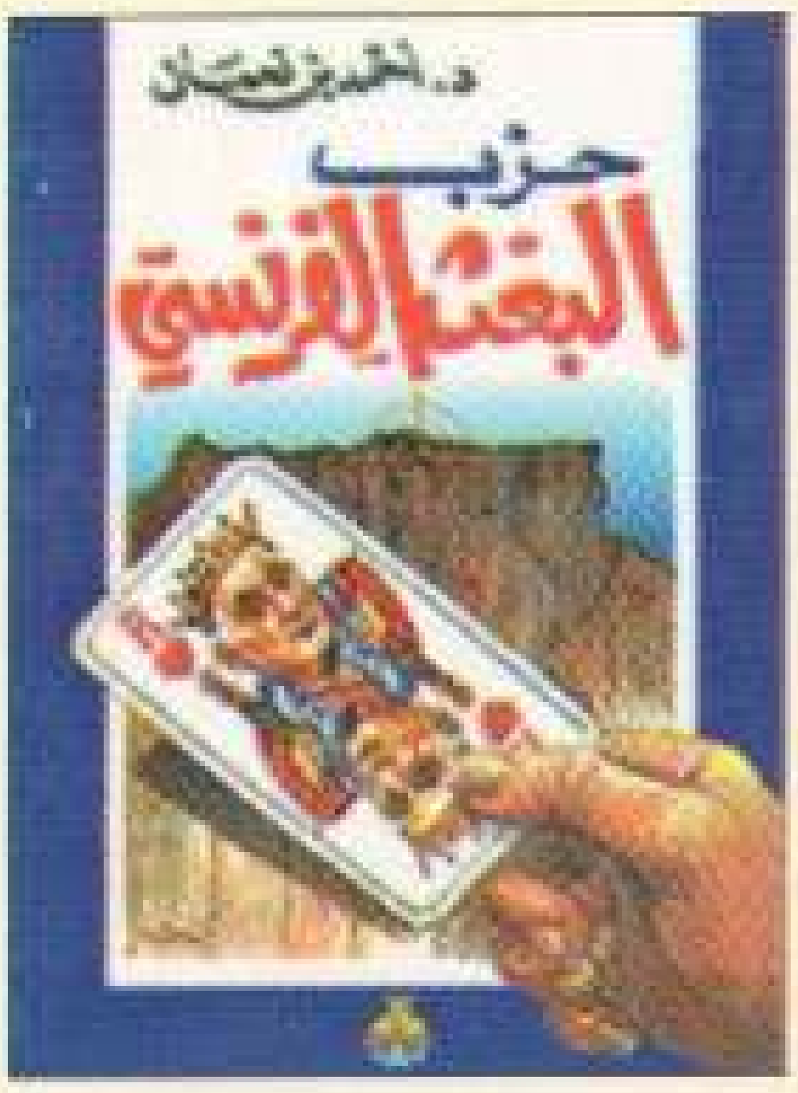


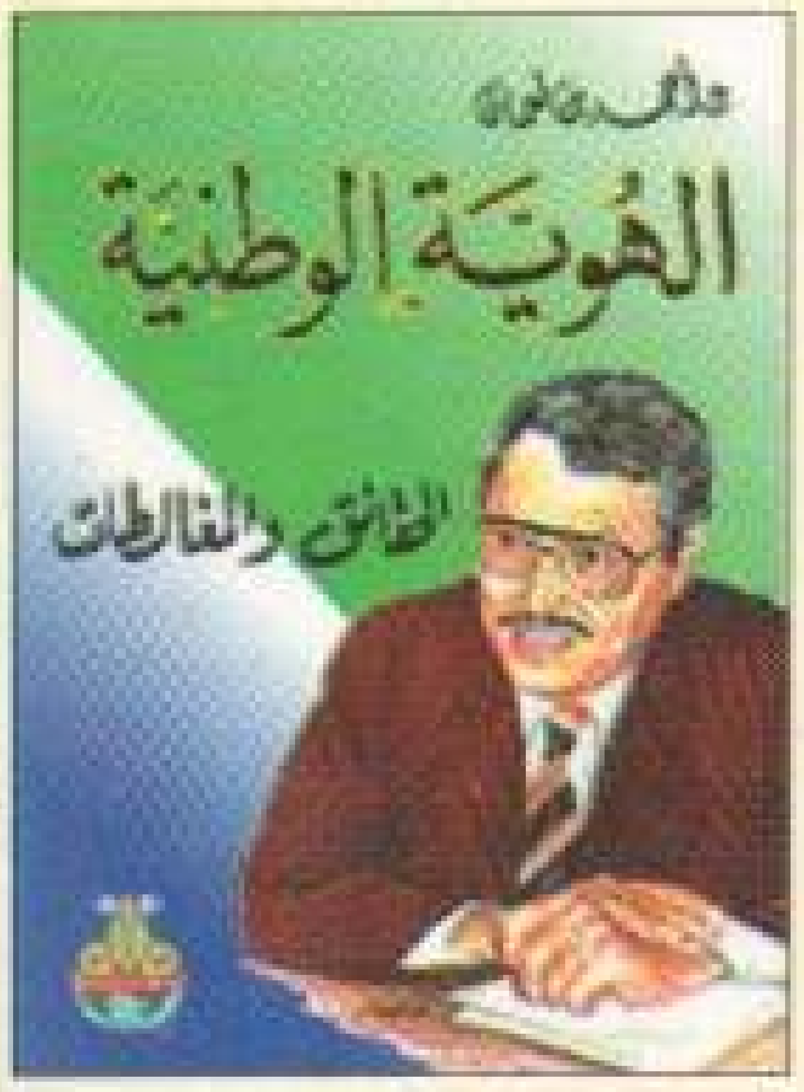


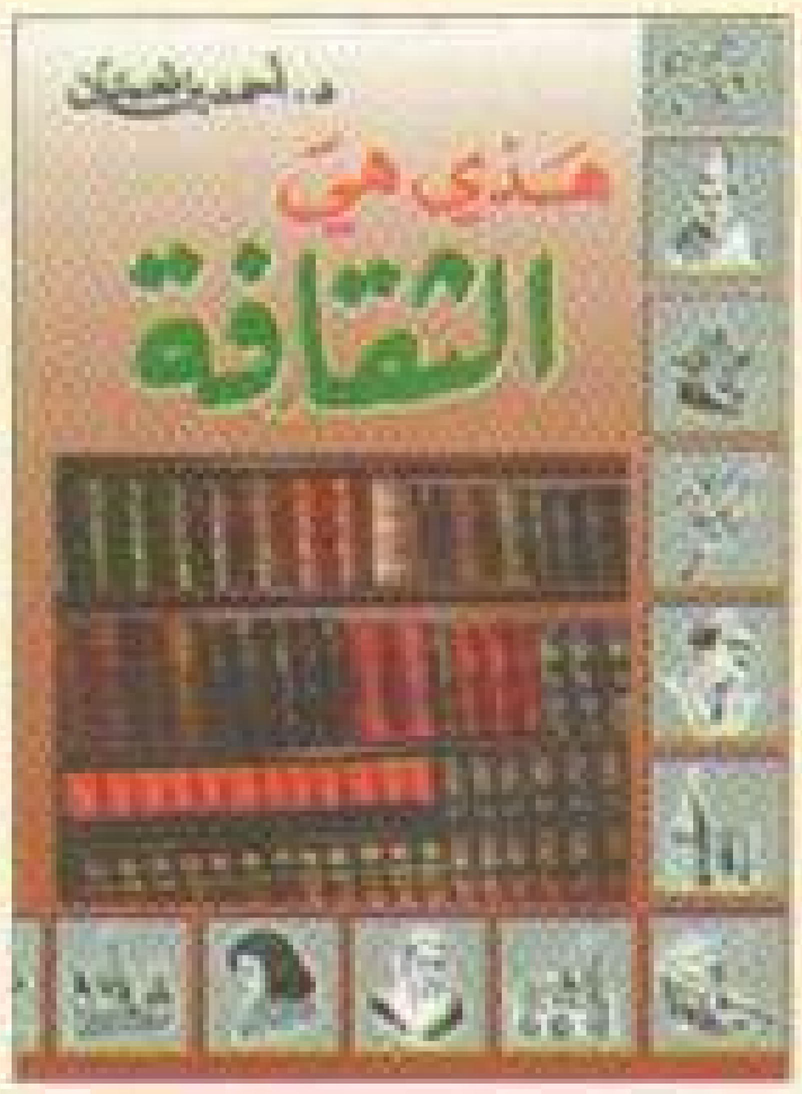


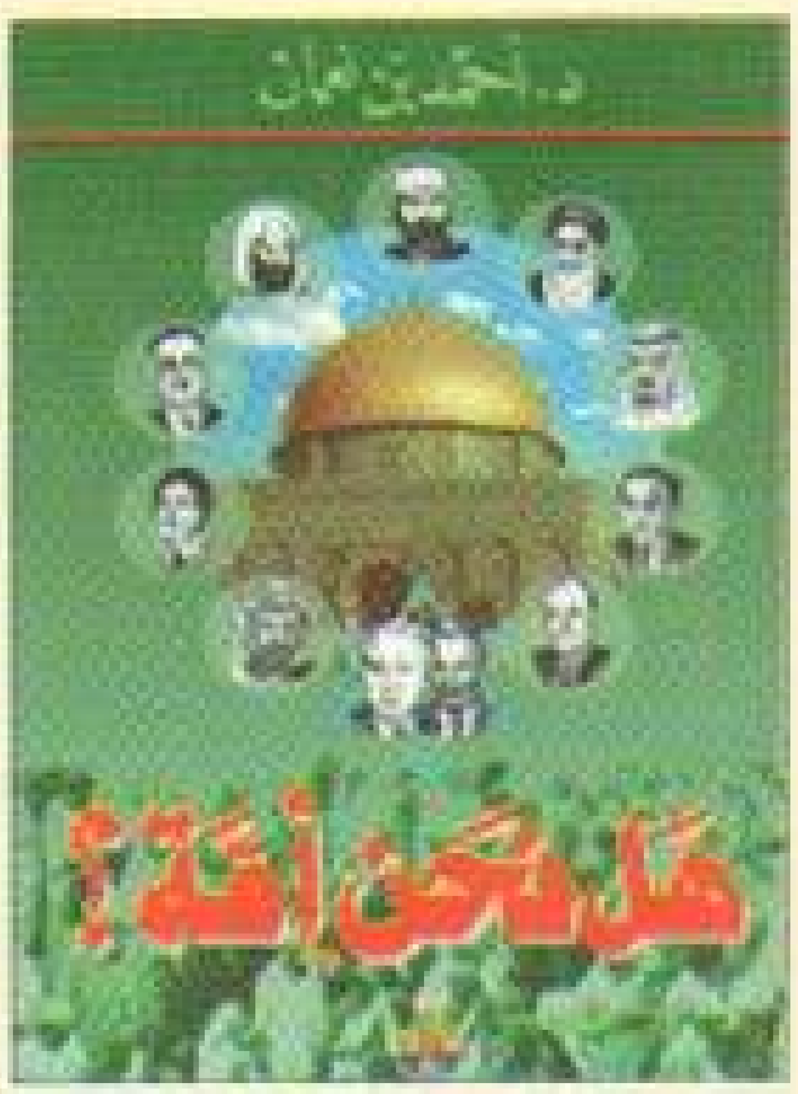


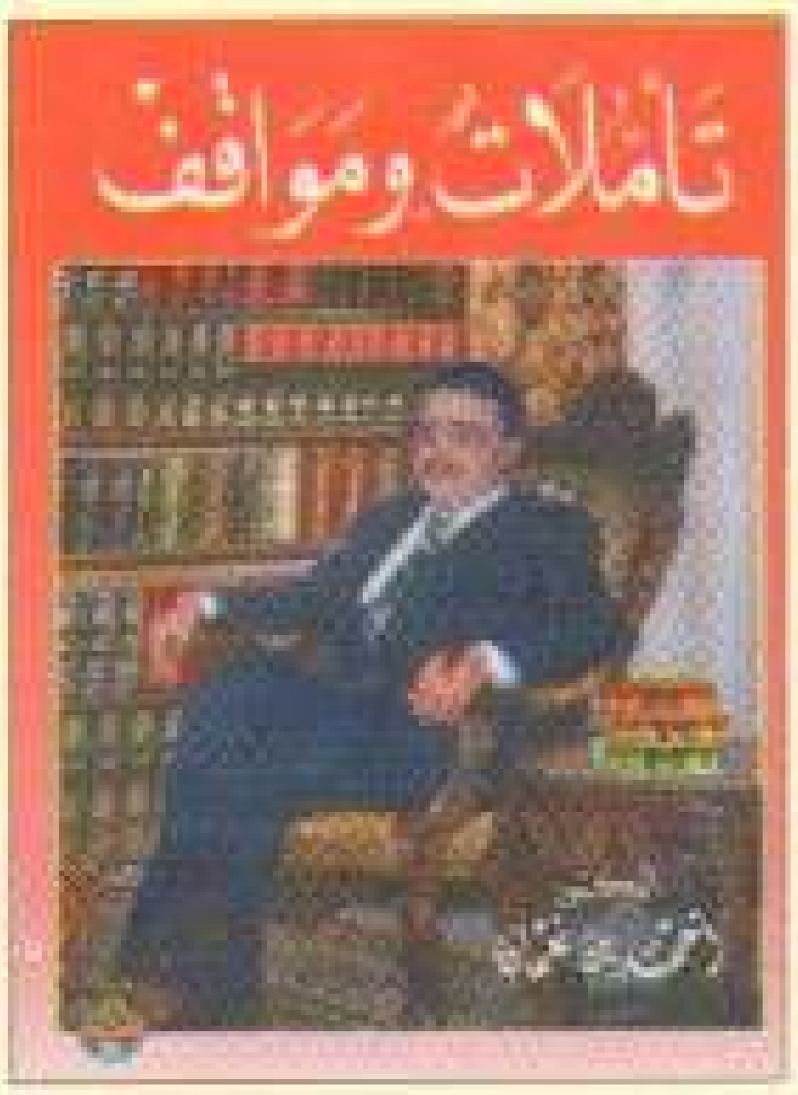


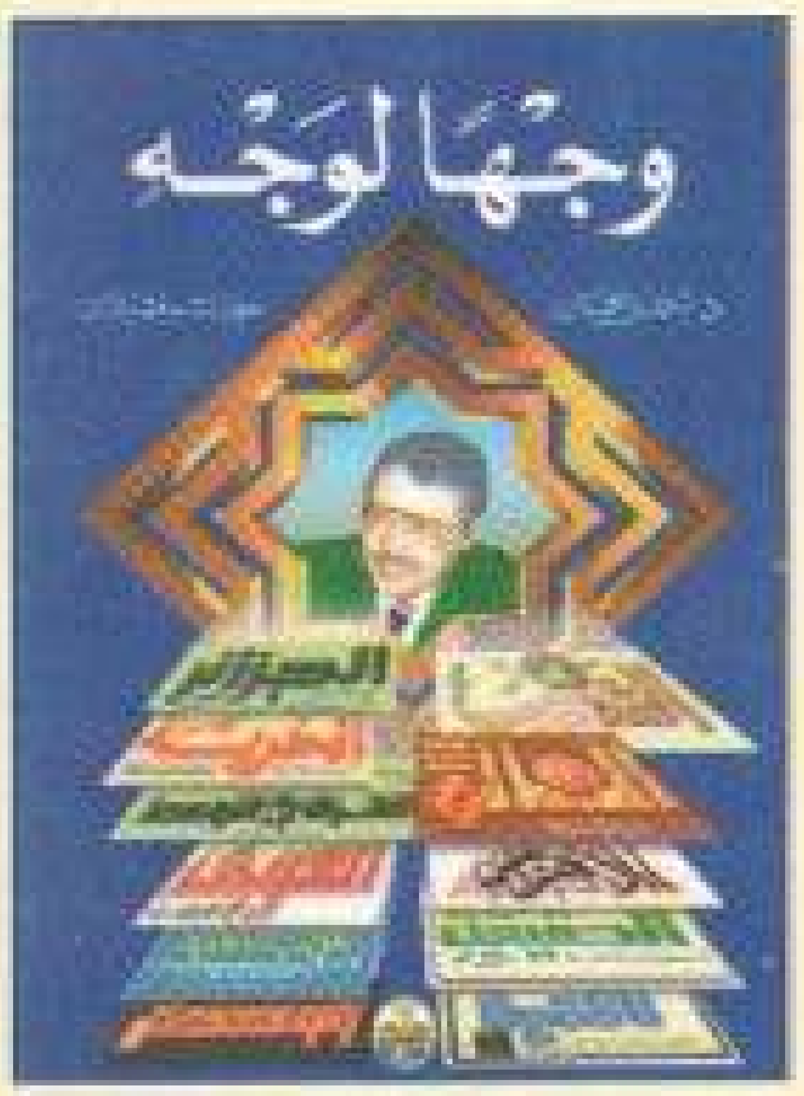


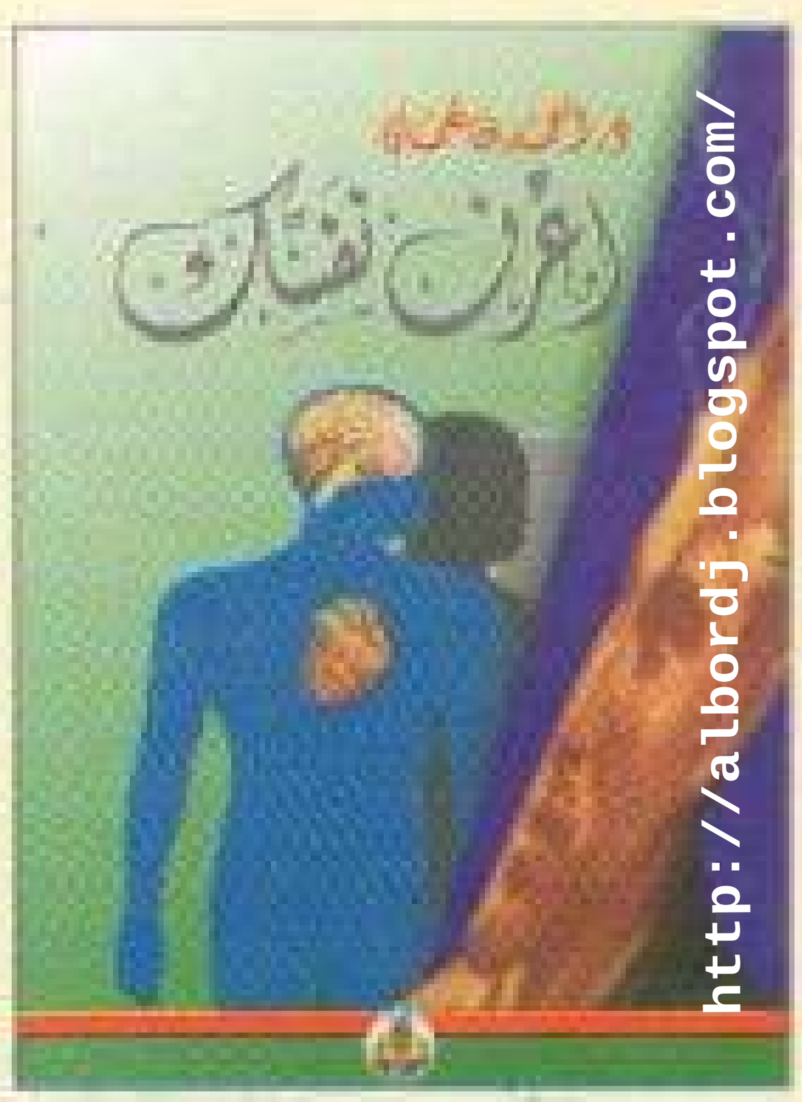


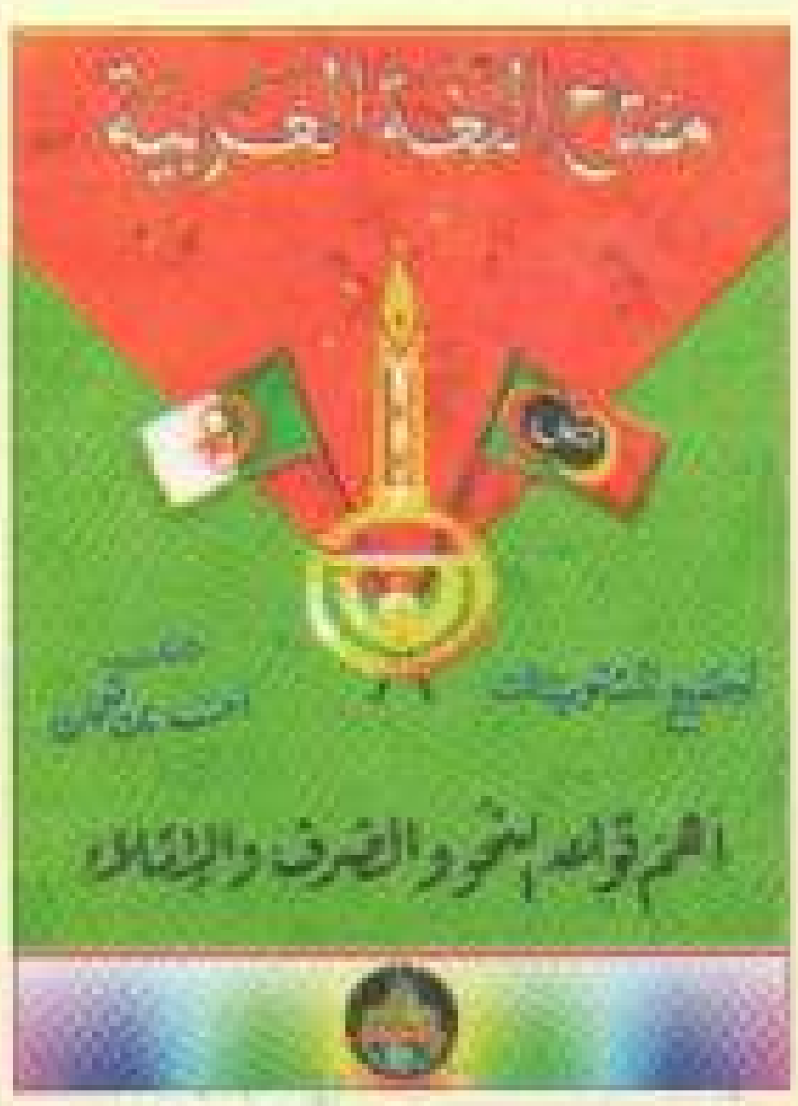


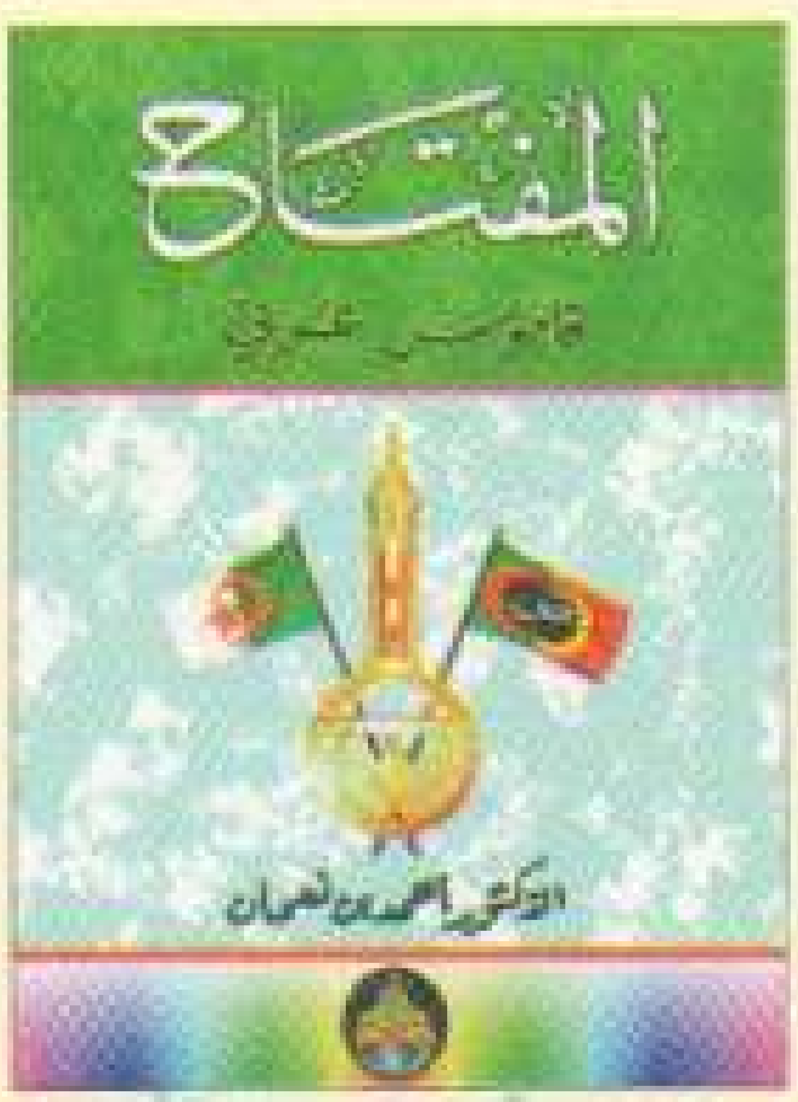


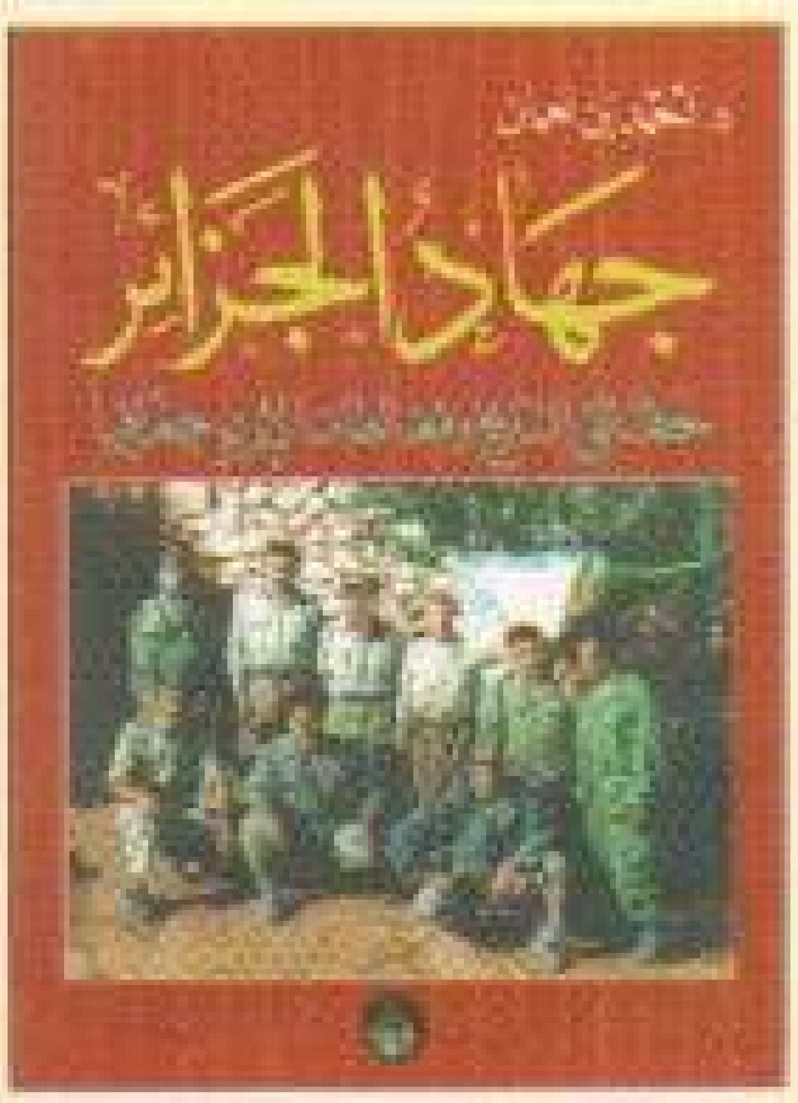












I.S.B.N. 9961-67-050-7 تدمك